فتيحة فرحاتي

نوميديا

من حكم الملك جايا إلى بداية الإحتلال الروماني

213 ق.م - 46 ق.م



منشورات أبيك

فتيحة فرحاتي

نوميديا

من حكم الملك جايا إلى بداية الإحتلال الروماني

الحياة السياسية و الحضارية

(213 ق.م / 46 ق.م)

منشورات أبيك
حتى لا يتمكن منا النسيان

ر.د.م.ك: 978-9961-769-27-0
الإيداع القانوني: 2007-49

فتيحة فرحاتي

نوميديا

من حكم الملك جايا إلى بداية الإحتلال الروماني

الحياة السياسية و الحضارية

(213 ق.م / 46 ق.م)



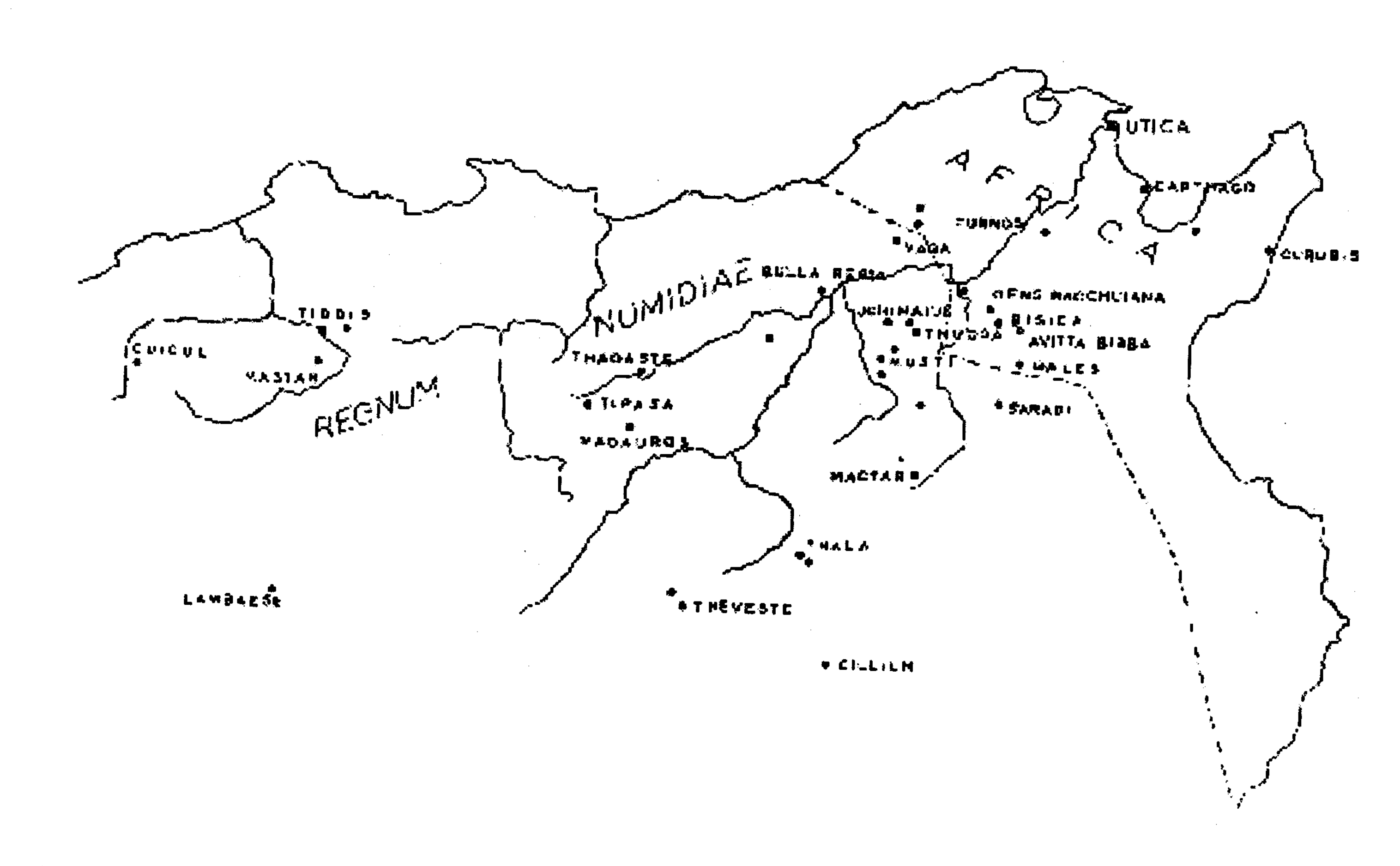
منشورات أبيك

لا يسعني في هذا المجال إلا أن أقدم واجب الشكر إلى كل من عاونني على إخراج هذا المؤلف. و أخص الذكر أختي بركاهم فرحاتي التي كان لإلحاحها و تشجيعها و توجيهها الفضل في أن يخرج هذا الكتاب من طي النسيان. كما لا أنس أن أتوجه بشكري إلى موظفي مكتبة المركز الوطني للبحوث في عصر ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ بالجزائر العاصمة، و أخص بالذكر السيدة الجيلالي أمينة المكتبة التي سهلت لي مهمة الاطلاع على أمهات المصادر و المراجع.

و الله ولي التوفيق.

الفهرس





UTICA
AFRICA
CARTHAGO
CURUBIS
TURNOS
VAGA
NUMIDIAE
REGNUM
BISICA
AVITTA BIBBA
SARADI
MACTAR
THALA
THEVESTE
TIPASA
MADAUROS
TIDDIS
CUICUL
LAMBAESE

المقدمـة

إهتم الباحثون و المؤرخون الغربيون بدراسة تاريخ نوميديا في العصر الليبي – البونيقي و وضعوا فيه مؤلفات عديدة في لغاتهم المختلفة تخدم الأغراض الإستعمارية بصفة ذاتية أو من أجل مناصرة فرضية «البعثة التحضرية». حيث أقر أغلبيتهم أن النوميديين أخذوا كل ما لديهم من الحضارات الوافدة و أنهم كانوا مجتمعا منعزلا نسبيا غير قادر بطبيعته عن خلق الحضاري إلى جانب ذلك فإن المؤلفات الكلاسيكية الإغريقية و اللاتينية لم تتكلم بصفة مباشرة عن تاريخ نوميديا، حيث نلاحظ أن تاريخ نوميديا قد إرتبط بتاريخ روما و قرطاجة و كان يعد من تاريخ الحضارة القرطاجية و الرومانية. لم تذكر النصوص أمورا تفصيلية عن السنوات الأولى الباكرة و لا عن ظروف تاسيس الممالك النوميدية و يرجع ذلك أن مؤرخي هذه الفترة لم يفهموا التاريخ إلا بوصفه تسجيلا للوقائع السياسية و العسكرية التي تهم روما أو قرطاجة لذلك سنجد أن البدايات الأولى المدونة للوقوف عند تفاصيل تاريخ نوميديا هي التي تبدأ مع بداية الحرب البونيقية الأولى. كما أن النصوص الكلاسيكية بها فجوات و غموض و تصف الأحداث و الأزمات بصفة متقطعة غير منتظمة. كان

المؤرخون الرومان يسعون لتبرير أعمال روما التوسعية و إيجاد العذر القانوني لها بطرق ملتوية و يفسرون بان حروبها حروب عادلة.

على كل فإن التوصيف التاريخي الأقرب إلى منطق واقع الحال النوميدي خلال تلك الفترة يمكن الأخذ في الأمرين التاليين:

الأمر الأول : هو-على ما يبدو- أن كل ما هو نوميدي قومي قد تراجعت أهميته الذاتية في ظل المد الحضاري القرطاجي و الروماني بحيث أصبح كل فعل مؤثر في التاريخ لا يحمل هوية نوميدية طالما أن الفعل روماني أو قرطاجي ورد الفعل نوميدي.

الأمر الثاني : أن نوميديا إفتقدت ذلك المؤرخ القومي أو الوطني الذي يحفل بالمواقف القومية للأحداث خاصة بعد إتلاف ما تبقى من مكتبة قرطاجة، التي أهداها مجلس الشيوخ الروماني إلى ماسينيسان (Massinissa) و أيضا ضياع المؤلفات النوميدية التي كتبها حمبسيال الثاني (Hiempsal) و يوبا الثاني (JubaII) التي وصلنا صداها عن طريق المؤرخين الكلاسيكيين.

يتناول هذا البحث دراسة عن الحياة السياسية و الحضارية لنوميديا (ماسيليا و مازاسيليا) من حكم الملك جايا (Gaia) إلى بداية الإحتلال الروماني. كان الهدف منه هو إثراء المكتبة العربية ببحث عن تاريخ الجزائر باللغة العربية و أيضا من أجل إبراز شخصية المنطقة في ظل صراع قوي بين قرطاجة و روما.

ظاهرة التحول من المرحلة البدوية إلى المرحلة المدنية قد إستوجبت وقتا طويلا، لذلك ينبغي إقرار حقيقة هامة و هي أن النوميديين نجحوا في إجراء عملية التحول التاريخي من العصر الحجري القديم الأعلى إلى مرحلة الإستقرار و الزراعة و إنشاء القرى و المدن و نمو المجتمعات الحضارية إلى درجة وصولها إلى ممالك ذات أنظمة إجتماعية و إقتصادية و سياسية قائمة بذاتها.

لقد تعرض القرطاجيون إلى إنتفاضات و حروب من طرف النوميد، عبروا فيها عن إستيائهم لعمليات التوسع على حساب الأراضي النوميدية الذي بدأ القرطاجيون يطبقونها منذ القرن الخامس ق. م. كان لنمو الروح الإستقلالية و نمو حركات المقاومة في الداخل و ظهور بعض القوى الوطنية خطرا يهدد كيان قرطاجة بشمال أفريقيا. لذا كانت قرطاجة دائمة التخوف و كانت ترغب بالإرتباط بإحدى القوى الوطنية لعدم ترك الفرصة لتوحيد الجهود ضدها. فايدت سيفاكس (Syphax) ملك مازاسيليا (Masaessylie) في أعمال حربية أمكنه من خلالها أن يمد نفوذه على معظم أراضي ماسيليا (Massylie). قد كان للخصائص الشخصية التي حازها سيفاكس إضافة إلى الخصائص الإستراتيجية التي كانت تتمتع بها مواقعه الساحلية أن تتنافس على محالفته كل من روما و قرطاجة لقد لعب سيفاكس دورا تاريخيا هاما في الحرب البونيقية الثانية. كانت لمازاسيليا روابط تجارية مع أثينا بواسطة التجار الصقليين، مستقلة عن الحركة التجارية القرطاجية.

أما بالنسبة لماسينيسان ملك ماسيليا فقد إستعاد ملكه و قهر أعدائه من القرطاجيين و المازاسيليين. كان مبعث رغبته في الإرتباط بروما هو التخلص من قرطاجة حيث وضع لذلك ثلاث خطط :

الخطة الأولى هي إستعمال الأسلوب الدبلوماسي إذ أسند حججه وفقا لمادة القانون الروماني التي ظهرت لأول مرة في روما و هي حق الممتلكات (Ius Possessionis) و أسباب الممتلكات (Causa Possessionis) و أن قرطاجة لم يكن لها بافريقيا (Proprius Ager) و قد تمادى في المطالبة بحقوقه في ضم الأراضي الشرعية وفقا لإتفاقية 201 ق.م.

الخطة الثانية هي إستخدام الأسلوب الحربي و قد بادر في جس نبض القرطاجيين على المستوى العسكري ذلك بالإقتراب من دفاعاتهم الحصينة في المناطق الإقتصادية (Emporias) و إسترجاعها بالقوة.

أما الخطة الثالثة فهي جس نبض الرومان على المستوى السياسي بإختيار حدود نواياهم في تعضيده و موازرته سياسيا و إطلاق يده و أماله في المنطقة خاصة و أنه كان ينوي إحتلال قرطاجة و جعلها عاصمة لإمبراطوريته. أن لعبة السياسة و الحرب لها قواعدها الثابتة في كل زمان و مكان و بالقياس إلى هذه القواعد يمكن وضع إحتمالين إثنين لتفسير المرمى السياسي لمساعدة مجلس الشيوخ الروماني لتوسعات ماسينيسان :

- أن تترك الفرصة أمام ماسينيسان لإضعاف قوة قرطاجة لتسهيل تدميرها فيما بعد.
- التدخل في الوقت المناسب و منع الملك النوميدي من جني ثمار جهودها في أفريقيا.

بالفعل نجحت خطة روما و ربما يعود السبب إلى أن ماسينيسان لم يتمكن من الوصول إلى هدفه حيث وافته المنية. كانت ربما تخشى أن تخوض غمار حرب جديدة في المنطقة ستكلفها نفقات بلا داع أو أنها كانت تخشى شخصية ماسينيسان الطموحة و لم تتحرك إلا بعد وفاته حيث أطلق العنان لروما في أفريقيا، ظهرت المبادرات الأولى لنواياها الإستعمارية عندما وضعت تسوية في المنطقة بإشرافها على تقسيم و توزيع إمبراطورية ماسينيسان بين أولاده و بهذا طبقت سياستها الشهيرة « فرق تسود» و بهذا إرتاحت للوضع في نوميديا التي كانت من أهم مواردها الإقتصادية.

أما مظاهر الحضارة النوميدية في عصر الممالك النوميدية فتتلخص في النقاط التالية:

أن تاريخ نوميديا الحضاري يمثل تاريخ مجموعة من العناصر الحضارية التي كان لكل عنصر من عناصره مقوماته الحضارية في المجالات الدينية و الفنية و الإقتصادية، مما ساعد على التحول من مرحلة المجتمع المنعزل إلى مرحلة الإستقرار و الزراعة و إنشاء القرى و المدن و الأنظمة الدستورية و الإقتصادية و الذي تسبب في إنطلاق حضاري سريع المدى من المجال المحلي إلى مجال البحر الأبيض المتوسط.

قد إكتسب النوميد من إحتكاكهم بالحضرات المجاورة القرطاجية و إتصالاتهم بالعالم الهلينستي و الروماني الكثير من الأنماط الحضارية الشيء الذي ساعد على إزدياد عملية التطور الحضاري؛ و جمعوا بين الأنظمة المحلية و التاثير الصحراوي و الفنيقي و اليوناني و الروماني.

و نلاحظ أنه بالرغم من إستمرار التاثر الفعلي الخارجي فقد إحتفظوا ببعض المقومات الحضارية المحلية البحة. كما أنهم ساهموا في إثراء الحياة الفكرية البونيقية و المصرية- فادخلو و مع إحتكاكهم بالفينيقيين الغزوات التي شنوها على مصر، تربية الماشية، و بعض الممارسات الدينية المتعلقة بالماشية مثل عبادة أش (Ach) و حوروس (Horus) و نائت (Neith) و أيضا طقس عبادة البقرة حاتور (Hator) و الثور أبيس (Apis) و الكبش (Amon). و هي عبادات ذات طابع وعوي تنسب إلى الليبين، و التي توجد بقاياها في الرسومات الجدارية بالصحراء الجزائرية الكبرى.

لقد إمتازات نوميديا منذ العهد النيوليتيي بوجود نوعين من الشعوب، شعبا أتى من الصحراء بعد حلول القحط عليها. فهؤلاء النوميد الرحل، الفرسان و رعاة البقر الذين يسكنون في بيوت المابالبا المتنقلة (Mapalia)، ينتمون إلى حضارة ما قبل الجمل. و شعبا مستقرا مزارعا و حرفيا يسكن في مدن و قرى محصنة.

الفصل التمهيدي

نوميديا و النوميديون

أولا : المقصود بنوميديا

عرفت نوميديا في كتابات المؤرخين القدماء و بأسماء عديدة و إختلفت في تسميتها المصادر الإغريقية و اللاتينية. ففي المصادر الإغريقية كان إسم نوميديا إسما وصفيا يعني نمطا في الحياة ينطبق على البدو الرحل.

فقد وصف هيرودوتس شعوب الأوزاس Auses و المكلياس [1] Machlyes الليبية بالرحل و استعمله آخرون بنفس المعنى [2] ثم تطورت التسمية فظهرت في المصادر و كانها تدل على شعب أو شعوب كانت تعيش في شمال أفريقيا، إذ ظهر بهذا المفهوم عند مؤرخي الحروب البونيقية Bellum Punicum مثل بوليبيوس Polybius و مما لا شك فيه أن الإغريق قد عرفوا سكان شمال أفريقيا بهذا الإسم منذ إستيطانهم في المنطقة و تعاملهم مع سكانها. لكن الإسم لم يظهر في الكتابات التاريخية إلا في مستهل القرن الخامس قبل الميلاد، عندما أشار ديودور الصقلي نقلا عن مصدر يرجع إلى القرن الثالث ق.م لعله تيمايوس أو معاصره دوريس [3]. أن النوميديين شاركوا في حروب جرت في نهاية القرن الخامس و أوائل القرن الرابع ق.م.

أما المصادر اللاتينية فقد أطلقت إسم Numidae على سكان شمال أفريقيا إبان حروبهم مع قرطاجة التي عرفت بالحروب البونيقية و جرت أحداثها إلى غاية القرن الثاني ق.م و قد إختلف المؤرخون في تحديد المنطقة التي تسمى بنوميديا، فعند ديودور الصقلي، النوميديون هم قوم عاشوا في أواخر القرن الرابع ق.م في جزء كبير من ليبيا يمتد حتى الصحراء [4]، أما بوليبيوس [5] فقد أطلق هذه التسمية على سكان شمال

أفريقيا عامة في المنطقة الممتدة من ليبيا حتى المغرب الأقصى [6]. إلا أن سالوستيوس فقد خص بهذه التسمية فقط سكان لبدة Lepcis Magna الواقعة بين خاليجي سرت [7]. لكن التسمية إقتصرت فيما بعد على سكان المنطقة الواقعة بين مملكة المور Murisi و الأراضي القرطاجية. و في القرن الثالث ق. م و مع قيام المملكتين المازاسيلية و الماسيلية، أطلق المؤرخون الإغريق و الرومان على ملوك المنطقة إسم ملوك نوميديا Rex Numida. ففي في عهد الملك ماسينيسان و بعد أن قضى على مملكة سيفاكس إمتد نفوذه من طبرقة شرقا حتى نهر الملوية غربا [8] و أصبحت البلاد الممتدة بين هذين الحدين تحمل إسم نوميديا [9] و شاع الإسم بهذا المعنى في المصادر اللاتينية منذ عهد ماسينيسان.

أما في عصر الإحتلال الروماني فقد أصبح إسم نوميديا يطلق على المنطقة التي تعرف حاليا بالشرق الجزائري، يحدها شرقا نهر الامبساجة [10] Amsaga Ampsaga أو التوسكة Tusca قرب طبرقة [11] و غربا رأس التريتون (رأس بوجرون) في شبه جزيرة القل و يعتقد كامبس الذي تخصص في دراسة أصل البربر أن تسمية «النوميد» هي من أصل إفريقي محلي بدليل إستمرار وجود قبائل تحمل هذا الإسم في العصر الروماني و وجود شعب النومادى Nemadi في موريتانيا حتى الآن.

أما عن أصل النوميد فإن أشهر نص يتعلق باصولهم من النصوص القديمة هو نص سالوستيوس [12] و هو عبارة عن تلخيص – على حد قول سالوستيوس نفسه - لنصوص مطولة ترجمت له عن كتب كانت مدونة بالبوقية و كانت تنسب إلى الملك حمبسيال الثاني حفيد ماسينسان [13] هذا و من المعروف أن مجلس الشيوخ الروماني

فقد أهدى إلى رؤساء القبائل النوميدية مكتبة قرطاجة بعد هدم المدينة سنة 146 ق.م [14] و من المحتمل أن تكون هذه الكتب البونيقية المذكورة هي التي إستقى منها الملك حيمبسيال معلوماته حول أصل النوميديين و ربما كان حفيده يوبا الثاني Juba II قد إعتمد على نفس المصادر أو على ما كتبه حمبسيال نفسه في هذا الموضوع و الذي كتب بالإغريقية تحت عنوان ليبيكا Libyca [15] و ينبه سالوستيوس إلى أن مالخصه مع الرأي الشائع بين عامة النوميديين في وقته و يؤكد أنه قد نقل هذه المعلومات دون أي تدخل أو تعديل من جانبه [16].

يرى سالوستيون أن السكان الأوائل لشمال أفريقيا هم الجاتولاي Geatuli و الليبيين Libyeus و ينص على أنه: «... بعد أن هلك هيراقل في إسبانيا تشتت شمل جيشه المكون من مرتزقة من الميديين و الأرمن و الفرس و توزعوا على البلاد المجاورة فعبر الميديون و الأرمن أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) و إتجهوا إلى شمال المغرب، فإختلطوا بسكانه من الليبيين و إندمجوا فيهم. أما الفرس فقد أبحروا في نفس الإتجاه لكن الرياح وجهت سفنهم إلى المحيط الأطلسي فإستقروا على شواطئ الجنوب المغربي وجدوا هناك قوما من الجاتولاي يعيشون في بساطة فإندمجوا فيهم و إختلطوا بهم بالمصاهرة و جعلوا من سفنهم مساكن لهم بعد قلبها إلا أنهم حاولوا عدة مرات إيجاد موطن ملائم لهم فتنقلوا كثيرا و لذلك أطلقوا على أنفسهم إسم الرحل Numidae [17] أما الميديون و الأرمن الذين إختلطوا بالليبيين فكانت لهم مدن محصنة و أقاموا مع إسبانيا علاقات تجارية. لقد حرف الليبيون كلمة (ميد) فاصبحت تنطق في لغتهم (مور) و قد حدث بعد ذلك أن تضاعف الشعب الفارسي تحت إسم النوميد الذي عرفوا به منذ ذلك الحين و كان جراء تزايدهم أن إضطرت جماعة من الشباب أن تترك الوطن الأم لتهاجر

إلى النواحي المجاورة لقرطاجة و تستقر بها، فاطلق على المنطقة باكمالها إسم نوميديا و تعاون نوميد الشرق مع نوميد الغرب لإخضاع المناطق المجاورة لهم حتى أصبح كل الجزء الأسفل من أفريقيا – على حد قوله - تحت نفوذهم و تسمى المنهزمون بإسم المنتصرين (النوميد) و إندمجوا فيهم.

أما جزال [18] فيرى من خلال هذا النص عدة ملاحظات و هي :

1/ ظهور العنصر الفينيقي في الإشارة إلى هرقل الذي من المحتمل أن يكون هو هرقل الصوري Melquart.

2/ كما وجد بالنص العنصر الإغريقي في الإشارة إلى كلمة نوميد التي تعنني عند الإغريق (الرجل).

3/ أما العنصر الإفريقي فإشارة إليه في النص المذكور وردت عند ذكر سالوستيوس لقلب السفن من أجل إستخدامها كمساكن و تشبه حسب قول سالوستيوس، المساكن المعروفة بإسم ماباليا Mapalia عند النوميد الرحل [19].

و قد وردت إشارات كثيرة في النصوص اللاتينية إلى هذا النوع من المساكن إذ ورد ذكرها عند كل من فرجيل [20] و تيتوس ليفيوس [21] و بمبنيوس ميلا [22] ولوكان [23] و بليني [24] و سسليوس إيتاليكوس [25]، و تاسيتوس [26] و كوربيوس [27] و يتضح أن هذه المساكن المسماة «ماباليا» كانت مستطيلة الشكل أحيانا أو دائرية تشبه قفص الدجاج، تميل جوانبها لتشكل السقف، مصنوعة من أغصان لبنة و هي مجدولة و هذه المساكن كانت متحركة تخص الرعاة الرحل.

و مع أن النصوص الإغريقية لا تذكر كلمة ماباليا إلا أنها تفرق بين مساكن الرعاة الرحل و مساكن الزراع المستقرين، فهيرودوتس[28] و هيلانوكوس[29] يذكران أن مساكن الرعاة الرحل الليبيين كانت مصنوعة من الأسفودالوس[30] و أنها متنقلة و يذكر ديودور الصقلي أن قبيلة ليبية تحمل إسم الأسفود الوس Asphodelos تشبه بشرتهم بشرة الإثيوبيين[31] و يبدو أن هذا النوع من المساكن قد ظل معروفا حتى العصر الإسلامي، إذ يذكر إبن خلدون أن البربر «... يتخذون البيوت من الخص و الشجر[32].

أما المؤرخين المعاصرون الذين درسوا هذه المساكن مثل جزال[33]، باتس[34] و لكور[35] فيرون أن هذه المساكن عبارة عن أكواخ و أن الماباليا ذات الشكل الدائري دامت إلى العصر الحاظر تحت إسم النوالة Nouala الموجودة في المغرب الأقصى و يتفق معهم في هذا الرأي مارسى و يعتقد أن كلمتي النوالة و المباليا من الناحية اللغوية تعودان إلى أصل بربري (ليبي أو نوميدي)[36] لكن لكور ينتقد رأي كل من جزال و باس من حيث أن المباليا في قولهما هي عبارة عن كوخ و يرى أن الأكواخ هي مساكن الزراع المستقرين و عمال المدن الفقراء[37] و جدير بالذكر أن النصوص اللاتينية تفرق بين كل من الأوبيدوم Oppidum بمعنى المكان المحصن و الماباليا Mapalia و التاجورة Tagurum التي تعني[38] «مدينة نهرية».

و يلاحظ لوكور أن مساكن منطقة التيبستي Tibesti و يرى في شكلها المستطيل ما يشبه السفن الجانحة و أن المساكن التي يسميها أهل تيدا Teda الحيرا Hera تشبه في خصائصها الماباليا Mapalia و هذه الحيرا Hera فهي متنقلة و مصنوعة من الحصر و الجريد المجدول و نراها أيضا لدى سكان منطقة دازا Daza و عند البوركو Borkou الرحل كما توجد هذه المساكن أيضا على طول الأطراف الجنوبية من

الصحراء عند الطوارق و البول الرحل Peuls و السنجاي في تبانكورت Tabencourt (جنوب غرب أدرار الإيفوراس) Adrar des Ifforas و في جاو Gao. كما تستعملها قبائل البشارين البدو الرحل القاطنين في المنطقة الممتدة من النيل إلى البحر الأحمر و يضيف لوكور أن أمابااليا و الحيرا من مظاهر الحضارة الصحراوية القديمة و أن سكان بلاد المغرب إنقسموا منذ العصر النيوليتي إلى شعوب رحل غازية أتت من الصحراء و شعوب مستقرة، و أن النوميد الذين كانوا يرعون البقر و يركبون الخيول هم من أهم الحضارات المعروفة بحضارات ما قبل الجمل التي توجد بقاياها في الرسومات الجدارية بالصحراء[39] و يضاف إلى ما قاله لوكور أن هذا النوع من المساكن عرف أيضا في الصومال و يسمى (أغل)[40] كما يرى جوبرت أن مساكن أهل الآكارا Akkara فيها خصائص أماباليا و يرى فيها إمتدادا للمساكن النوميدية القديمة[41].

ثانيا : تطور التسميات

أ- اللبيون:

عرف المصريون القدماء القبائل المجاورة لهم تحت إسم التاميحو Tamehou أو التيميحو Temehou و تحت إسم الآنو Anou[42] و نلاحظ أن كلمة تاميحوا قد إستخدمت حتى عصرنا هذا و إستخدمها التوارق بجنوب الجزائر بمعنى اللهجة البربرية و يكتبونها في صيغة المؤنث تماحيق Tamaheq و في صيغة المذكر يكتبونها آماحير Amaher أما في الجمع فيكتبونها إيموشار Imouchar وهذا الإسم الأخير أطلقه التوارق على أنفسهم ليعني الشعب المتحدث باللهجة البربرية[43].

وقد عرف المصريون إسم إحدى القبائل الليبية و هي قبيلة ماز Maz التي أخضعها إمنمحات الأول لسلطانه حوالي 2800 ق.م[44].

و في حوالي 1300 ق.م هبطت قبائل من آسيا الصغرى[45] على شواطئ ليبيا، تحالفت مع القبائل الليبية : اللوبو Lebou و التيميحون Timihoun و الماشاوش Mashouash و الكحاك Kehak وتحت قيادة ملك الليبيين مائرمون Maermoun و غزو مصر[46].

و في حوالي 1250 ق.م تصدى رمسيس الثالث لموجة أخرى من القبائل الليبية، من الماشواش و التيمحون و الزوتمار و التاحونون و الكلاك[47].حاول الماشواش و الماز غزو مصر مرة آخرى بمساعدة شعوب البحر و لكنهم إنهزموا و أسرت جماعات الماشواش و ضموا إلى الحراسة الملكية و إلى الآن نرى مرسوما على جدران معبد مدينة هابو Habou أسرى الشعوب الليبية يقدمهم رمسيس الثالث كقرابين للإلاه أمون و للإلاهة موت Mout و قد ظهروا بضفائر طويلة مائلة على العنق، و حسب هيرودوتس[48] كانت قبائل الأوزاس Auses و الماكسياس Maxyes ذوي ضفائر على الجانب الأيمن من رؤوسهم و هم يشبهون صور الأسرى على جدران مدينة هابو بالقرب من طيبة.

هذا و نلاحظ تشابه بين بعض الأسماء المصرية القديمة و الليبية القديمة ففي عهد الأسرة الثامنة و العشرين نجد أن الملكة طاية Taia أم أمنحوتب الرابع ظهرت مرسومة و ملامحها شقراء و سمي أبويها باسماء غير فرعونية، كما نجد بمنطقة عنابة[49] جبل يحمل إسم جبل طاية بالقرب من مقبرة ركنية[50]. من جهة أخرى يلاحظ أن الأسرة التاسعة عشر (1300 ق.م) قد إنتهت بحكم الملكة تاوزر Taouzer بنت الملك مانفتاح الأول و قد وجدت واحة بالجنوب التونسي تحمل إسم

Taouzer و هو إسم غير فرعوني [51].و نلاحظ أيضا أن مؤسس الأسرة العشرين الذي لم نعرف أصله، يحمل إسم ناختسات Nakhtset و يظهر في كتابة ليبية تحت إسم ناكتوت [52].كما أن الأسرة التي حكم فيها الملك شاشونق الأول (Sheshonq I) هي من أصل ليبي.

و قد عرف الإغريق [53] سكان نوميديا أيضا تحت إسم " ليبوواس" و بلدهم " ليبون" و في بعض الأحيان نرى أن التسمية «ليبيا» قد عمت لتدل على كل القارة الإفريقية و أحيانا أخرى إقتصرت هذه التسمية، على الجزء الشمالي منها أو على الجزء الشرقي منها أي على الولاية الرومانية التي بنيت على إنقاض قرطاجة [54].

كما أن القرطاجيين إستحدثوا هذا الإسم حيث نراه منقوشا بالحروف البونيقية ليحمل إسم أشخاص ينتمون إلى عهد قرطاجة قبل الإحتلال الروماني [55].

و من المحتمل أن القرطاجيين نقلوا هذه التسمية عن الإغريق الذين نقلوه بدورهم عن المصريين.

كما أن المؤرخيين الرومان [56] أطلقوا بدورهم إسم ليبيا على السكان الأصليين للمنطقة.

و قد إختلف الجغرافيون و الإنتوجرافيون عن أصل هذه التسمية و قيل أن «ليبيا» إشتقت من إسم قبيلة لوبا أو لواته التي أشار إليها إبن خلدون [57]، ثم تغيرت على ألسنة المستعمرين اليونان إلى لييس Leyes أو Liuye و عمموا إستعمالها فاصبح يقصد بها على عهدهم غير الأثيوبيين أيا كانوا في كل القارة الإفريقية [58].

ب: الليبيون– الفينيقيون Liby-Pheniciens:

حول مفهوم تسمية «الليبيين-الفينيقيين» فلها معاني متعددة و قد أطلقت على جزء من سكان تونس الخاضعين للحكم القرطاجي لكن بليني [59] و بطليموس الجغرافي [60] أعطوا الليبيين الفينيقيين موطنا ضيقا، و لا يوجد نص يثبت أن هذا الإسم قد أطلق على قبائل سكان الحدود القرطاجية و من المحتمل أن هذه التسمية قد أطلقت على المستوطنين الذين نزلوا في الأراضي الأفريقية آتين من فنيقيا قبل تاسيس قرطاجة مثل سكان أتيكا Utique كما يرى ديودور الصقلي [61].و قد أشير إليهم في عدد من النصوص القديمة [62]. فهم بالنسبة لقرطاجة رعايا يتمتعون بمركز خاص بالتزاوج مع القرطاجيين و بامتلاك الأراضي.

ج : الميتاجونيتاس (Metagonites)

أطلق الإغريق إسم ميتاجونيا (Metagonia) على منطقة شمال أفريقيا كلها. غير أن المصادر تختلف في موقع الأماكن التي أطلق عليها هذا الإسم. فقد أطلق بمبنيوس ميلا [63] Pompnius Mela إسم Promuntorium Metagonium على رأس بوجرون و الذي ينطبق مع نفس المكان الذي أطلقه عليه ثيموستين Themostenes أميرال بطليموس فيلادلفوس، و الذي يذكر أنه يقع في مواجهة مدينة مرسيليا. أما بليني [64] فيشير إلى أن الإغريق مع الذين أطلقوا إسم ميتاجونتس Metagonitis على منطقة من نوميديا يحدها غربا نهر الواد الكبير Amsaga و التي يجعلها الجغرافي هيكاتي دي ميلي [65] تنطبق على مدينة في ليبيا لم يذكر موقعها. غير أننا حين نتوجه مغيلين ناحية الغرب نجد جبل أبيليكس Abylix الذي يصفه

أيراتوسان ضمن خط الساحل الإفريقي لمضيق جبل طارق في منطقة الميتاجونيوم Metagonium و هي منطقة كان يقطنها قوم عرفو بالنومديين حسب قوله. أما إسترابون[66] فيذكر أن تسمية ميتاجونيون Metagonion تطلق بصفة خاصة على منطقة جافة و جرداء بالقرب من مصب نهر الملوية Molochath و بصفة عامة على المنطقة الجبلية الممتدة من رأس كوتاس Cap Cotes و هو راس إسبرتال Cap Spartel شرقا إلى نهر الملوية غربا. من جهة أخرى أشار بطليموس الجغرافي[67] إلى شعب يحمل إسم الميتاجونيتاس Metagonites و إلى منقطة تحمل نفس الإسم قرب مضيق جبل طارق. كما أطلق إسم رأس الميتاجونيا على رأس موجود غرب نهر الملوية و من المحتمل أنه يقصد به رأس الماء Cap de L'eau أو رأس الثلاث شوكات Cap Des Trois Fourches.

و بهذا نستطيع القول أن كلمة ميتاجونيون هي ترجمة إغريقية لأصل فنيقي و يعني «البلاد ما وراء الجونيون» و تعني «جونيون» «بوجرون». و أن الفنيقيين أطلقوا تسمية ميتاجونيون أو ميتاجونيا على الشريط الساحلي الممتد من رأس بوجرون شرقا إلى رأس إسبارتل غربا.

د: البربري :

عرفت النصوص الإغريقية و اللاتينية سكان شمال أفريقيا. و قد كتب هذا الإسم بالإغريقية بارباروس Barbarus و هو يعني الصوت الذي يصدره الألثغ[68]. ثم صارت عندهم علما على كل من لم يتكلم بلغتهم و من ثم أطلقها اليونان على كل من ليس يونانيا[69]. و نهج الرومان أنفسهم منهج اليونان في هذه التسمية و أطلقوا إسم "بربري" Barbari

على كل من هو ليس روماني أو إيطالي أو لم يكن خاضعا لسلطانهم [70] و كان هذا الإسم يدل قبيلة عاشت في موريتانيا الطنجية [71] بين نهر الملوية Malva و قبائل البكواتاس Bacuates ثم عمه اليونان و الرومان ثم العرب على كل سكان شمال أفريقيا [72].

هـ- الأفرى Ifri :

قد زادت الحروب الرومانية القرطاجية، معرفة بالقبائل الليبية، ففي أثناء هذه الحروب ظهرت للسكان تسمياتهم التي عرفوا بها مثل الأفرى.

لا يزال أصل هذه الكلمة غامضا و كل ما قيل في شرح معناها و إشتقاق أصل مادتها إنما هو على سبيل التخمين فقط...

فقد أطلق الرومان هذا الإسم في أول الأمر على الأقليم الذي نظموا شؤونه بعد تهديمهم قرطاجة عام 146 ق.م.

كما أطلقوا على سكان المنطقة التي إحتلوها إسم آفار Affer و جمعها آفرى [73] Afri. و ذكر لهذا الإسم عدة إشتقاقات، حيث يرى البعض فيه اللفظ اللاتيني Aprica Apricus الذي يعني «الحارة». و يرى البكرى أن هذا الإسم معناه «ملكة السماء» [74] و يقول البعض الآخر أنه مشتق من إسم إفريقش بن أبرهة الملك الحميرى الذي أمر ببناء مدينة أفريقيا [75].

و يذكر الحسن بن محمد الوزان الزياتي أن أفريقيا مشتقة من الفعل "فرق" لأن بحر الروم (المتوسط) يفرق بينها و بين أوربا كما يفرق النيل بينها و بين آسيا كذلك لأنها واقعة بين الشرق و الغرب [76].

لكن أقرب ما قيل إلى الصواب حول معنى كلمة أفريقيا هو أن "إفري" كلمة أطلقها الفينيقيون قديما على أهل البلاد الأصليين. و من المحتمل أن أهل صور اللاجئين الذين أسسوا قرطاجة فقد أطلقوا هذا الإسم على أنفسهم خاصة و أن « قارت حدش» « المدينة الجديدة» قد فرقت بينهم و بين أصلهم الصوري و نرى أن الجذع السامي « فرق» يدل في العبيرية كما في العربية على فكرة التفرقة و بهذا نقله الرومان عن البونيقيين و أطلقوه على سكان منطقة قرطاجة [77].

من جهة أخرى نرى أن النوميد كانوا يعبدون الآلهة إيفرو [78] Ifru، و الآلهة أفريقيا التي جسدوها في شكل إمرأة تحمل على رأسها جلد فيل، كما كان أيضا الأسد يرمز للألهمة أفريقيا. و أن الكلمة البربرية «إفري» Ifri تعني المغارة.

هذا و أنه وجدت قبيلة تحمل إسم «بني إفران» Beni Ifren كما وجدت بمنطقة القبائل الكبرى بالجزائر منطقة تحمل إسم « إفرين ابن دلال» Ifrin- N- Dallal و منطقة أخرى تحمل إسم إيفيرا [79] Ifira و بهذا يمكننا الإستنتاج بناءا على إسم الألهة أفريقيا و المعنى البربري للكلمة و وجود مناطق تحمل حتى الآن نفس الإسم، أن أصل كلمة أفريقيا يعود إلى جذور محلية و تطور الأمر إلى أن أصبح هذا الإسم بعد التحريف إلى افريقيا Africa و يطلق على القارة بأسرها [80] حتى الآن.

و- أمازيغ :

أطلق سكان شمال أفريقيا على أنفسهم إسم أمازيغ و هذا بحسب ما جاء في تصريحهم أمام الخليفة عمر بن الخطاب حينما ذهب إليه الوفد بعد فتح مصر فإنتسبوا أمامه إلى مازيغ. و عندما سال عمر

بن الخطاب عن أصل الأمازيغ أجابه شيخ قريش : «يا أمير المؤمنين هم البربر أولاد بر بن قيس بن عيلان» [81] و قد أشار إبن خلدون نقلا عن مؤرخين و نسابيين عرب و بربر أن البربر هم من نسل مازيغ [82] إذ يقول أنهم من ولد حام بن نوح بن بربر بن تملا بن مازيغ [83]. و "أمازيغ" أو التي تنطق في صيغة المؤنث "تمازيغت" و في صيغة الجمع أمازيغن و تعني في اللهجة البربرية الحالية "الأحرار" و يتبنى هذه الصيغة التي أصبحت علما، سكان الأطلس الأوسط و العالي بالمغرب، أهل جبل نفوسة، قبيلة بمنطقة غدامس بالصحراء و توارق العائر.

و يمكن مقارنة الكلمتين أمازيغ و أماحير (و التي كما رأينا تدل على إسم اللهجة البربرية عند التوارق)، و أنهما من أصل واحد [84]. و حول إشتقاق كلمة أمازيغ، فنلاحظ أوجه التشابه بين كلمة أمازيغ و التسميات التي طرأت على السنة الشعوب التي عرفت هذا الشعب من مصريين و إغريق و رومان و عرب، و كان المصريون قد عرفوهم تحت إسم الماشاوس و الماز أما الإغريق و على رأسهم هيرودوتس [85] يذكرون أن شعبا مزارعا كان يقطن غرب نهر "التريتونيس" و يدعى الماكسياس Maxyes كما أطلق الجغرافي بطليموس [86] إسم مازيكاس Maziques أو مازساس Mazices على شعوب عاشت في موريتانيا القيصرية و الطنجية. و يذكر أيضا أميان ماركلين [87] Ammien Marcellin أنه كان يوجد بالقرب من تيبازة شعوب من المازيق و قد أشار إليهم أيضا يوليوس هونوديوس [88] مع "القبائل الخمسة» Quinque gentiani و قبائل البرباراس Barbares.

كما أشارت إليهم أيضا بعض الأشعار اللاتينية بإسم مازاكاس [89] Mazaces. فيذكرهم لوكان ضمن الشعوب التي خضعت للملك يوبا الأول (60- 46 ق.م) بإسم المازاكس [90] Mazex.

من جهة أخرى ذكرت مؤلفة جغرافية تعود للقرن الرابع قبل الميلاد قبائل «بربرية» تحمل إسم المازساس و توجد هذه القبائل بالصحراء [91] و من المحتمل أن قبائل التوارق البربرية تنحدر من قبائل المازاساس.

و قد يضع جوستنيان [92] موطن قبائل الماكستانى بالقرب من قرطاجة و هو الشعب الذي ورد ذكره في أسطورة تاسيس قرطاجة.

و نلاحظ أيضا أن ثمة قبائل أفريقية أشار إليها بطليموس [93] باسم المكانيتاس (Macennites) يمكن مقارنتها بالتسمية أمازيغ و قد وضع موطنهما جنوب قبائل البكواتاس Bacuates. أما ديوكاسيوس [94] فيضع موطنهما في جبال الأطلس. و صاحب مسار إنتونيوس [95] يجعل موطنهما منطقة طنجة بالمغرب الأقصى. و يمكن مقارنة هذه التسمية- أي مكانيتاس بقبائل مكناسة البربرية التي عاصرها إبن خلدون في القرون الوسطى [96].

و يذكر فيدارب [97] أنه يوجد في آخر أسماء عدد من ملوك مصر الفرعونية، الحروف «ماس» Mes و موزيس Mosis و مازيس Masis مثل الملك إماننيماوس (الأسرة الرابعة عشرة) و الملك أمازيس (الأسرة الثامنة عشر) إبن كاميس كما نلاحظ أيضا وجود أسماء توثموسيس Touthmosis و رمسيس Ramses ؤ مسرائيم (أو مصرائيم) الجد التقليدي الذي أعطاه العرب و اليهود إلى المصريين . و يرى فيدارب أن الكلمة ماس Mes الفرعونية و ميس البربرية تعني في كلتا الحالتين «إبن» [98].

و نلاحظ أيضا أن عدد من الممالك النوميدية حملت إسم ماسيليا و مازاسيليا كما حمل عدد من الأشخاص إسم: ماسينيسان، ماستانيسة، ميكبسة، ماسجابة، ماستنبعل، ماسمودة القبيلة البربرية التي عاشت في القرون الوسطى [99].

و من جهة أخرى نلاحظ أن مدينة فرنسية على الشواطئ الشمالي من البحر الأبيض المتوسط حملت في العهد الفينيقي إسم

ماساليا Massalia و ما زالت للآن تحتفظ بنفس الإسم Marseille.

و يمكن تعليل التشابه بين الأسماء المصرية و الليبية القديمة إلى كون الكتابة الهيروغليفية و الكتابة الليبية تنحدران من نفس الفرع الحامي السامي Chamito Sémitique الذي ينتمي إليه الهيروغليفية و السامية و الليبية البربرية و الكوشية [100]. و هي نظرية أعاد النظر فيها باسى Basset الذي رأى أن اللغة الليبية القديمة أو البربرية هي لغة محلية بحته لأن بها كلمات لا يوجد بديل لها في اللغات السامية. و هي من أصل غير معروف ربما يكون محلي [101].

1 Herodotus, Histoire, IV, CLXXX

2 St. Gsell, Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, Paris Hachette, T. IV, p. 104.

3 Diodorus Siculus, Bibliothèque Historique, XX, 55, 4.

4 Diodorus Siculus, Bibli, XX, 55,4.

5 Polybius, Histoire, III, 32, 15.

6 Sallustius, Bellum Jughurtinum. , XC, U, 6. .

7 وقد أطق هذا الأخير على سكان مدينة قفصة الواقعة بالجنوب التونسي إسم «النوميد».

8 St. Gsell, H.A.A.N, Op. Cit, T.V, P. 108. - G. Camps, aux Origines de la Berberie, Massinissa ou les débuts de l'histoire, Libyca, Archéologie Epigraphie, T.VIII, 1960, P. 159.

9 G. Camps, aux Origines de la Berberie, Massinissa ou les débuts - de l'histoire, Libyca, Archéologie Epigraphie, T.VIII, 1960, P. 159.

10 Pomponius Mela, de Sitis Orbis, 6, 30 ; Pliny, Naturalis Historia, VI, 22.

11 و هو نهر الواد الكبير

12 Sallustius, Bell, Jugh. XVIII.

13 Camps, Massinissa, Op.Cit., Pp. 149- 153.

14 Pliny, Hist, Nat, XVIII, 22.

15 St. Gsell, Herodote, Paris Hachette, 1916, Pp. 214, 215.

16 J. Desanges, Recherche sur l'Activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique, Paris, 1978, Pp. 61-62.

17 J. Desanges, Op. Cit., Pp. 61-62.

18 St.Gsell, H.A.A.N. Op. Cit., T.I, P. 329.

19 Sallustius, Bell, Jug, XVIII.

20 Virgile, Géographie Greacie Minores, III, P. 339.

21 Virgile, Aeneis, I, 241; IV, 529.

22 .Pomponius Mela, I, 141, 42

23 .Lucain, II, 88, 980; IV, 685 ; IX, 945

24 .Pliny, Hist., Nat., V, 22, XVI, 178

25 .Sillus Italicus, XVII, 88, 90

26 .Tacitus, Annales, III, 251

27 .Corippus, Johannide, II4, 5, II, 62, 64

28 .Herodotus, Hist., IV, CXC

29 .Hellanicos, Fragm, Hist, Graec, II, P. 57 No. 93

30 هو نبات من عائلة الأبصال.

31 .Diodorus Siculus, XX, 57, 5

32 عبد الرحمن إبن خلدون، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء السادس، بيروت، 1971، ص 89.

33 .St. Gsell, H.A.A.N ; T.V ; P. 219- 220

34 O. Bates, The Eastern Libyans, Londres Mac Millan, 1914, P 1 et .Suite

35 Le Cœur (Charles), les «mapalia » numides et leur survivance .au Sahara, hesperis, 1937

36 G.Marcy, Remarque sur l'Habitation Berbere dans l'Antiquité, à .propos de Mapalia, Hesperis T. XXIX, 1942, P.40

37 .Le Cœur (Charles), Op. Cit. P. 38

38 .G. Marcy, Op. Cit., P23

39 .45-Charles le Cœur, Op. Cit., P. 44

40 عبد المنعم عبد الحليم صوماليا، دراسة لبيئتها الطبيعية و إمكانياتها الإقتصادية و نظم الصوماليين الإجتماعية و عاداتهم، القاهرة 1960، ص 273.

41 .E. G. Gobert, les Mapalia, Revue Tunisienne, 1938, P. 343- 345

42 .G. Gardel, Les Touaregs Ajjers, Alger, IRS, 1961, P. 24

43 .R. Basset, Etudes sur les dialectes berbères. Paris, 19

44 .G. Gardel, Op. Cit., P. 25

45 .Loc. Cit

46 Le Général Faidherbe, Collection Complète des inscriptions numidiques et Libyques avec aperçus ethnographiques sur les Numides, P. 19- 20.

47 G. Gardel, les Touaregs Ajjer, Op. Cit., P. 26.

48 Herodotus Hist, IV, C & CI, CLXXX.

49 و هي هيبورجيوس Hipporegius نيقي و تقع بالشرق الجزائري.

50 Le G. Faidherbe, Recueil, Op. Cit., P. 21.

51 G. Faidherbe, Recueil, Op. Cit, P. 21.

52 Ibid, P. 22 Inscriptions No. 10 et 34.

53 Herodotus, Hist, IV, CXVII.

54 St. Gsell, H.A.A.N. Op. Cit., T.IV, P. 101- 102.

55 Loc., Cit.

56 G. Sallustius, Bell. Jugh, XVIII.

57 إبن خلدون المرجع السابق 91/6.

58 محمد عبد المنعم الشرقاوي، و محمد محمود الصياد، ملامح المغرب العربي، الإسكندرية، 1959. ص 55.

59 Pliny, V, 24.

60 Ptolémée, IV, 3, 6, Pp, 637- 640.

61 Diodorus Siculus, XX, 55, 4.

62 Hecatee de Millet Dans Fragment Hist., Graec., Edit., Muller, T.I, P. 24 No. 310.

Périple de Hannon Dans Geogr Graec Min., Coll. Muller, T. I.

63 Pompenius Mela, I, 33.

64 Pliny, Hist., Nat.,V, 22.

65 Hecatée De Millet in Fragma., Hist., Graec., T.I, P. 25, N° 324.

66 Strabon, Apud., III, 5, 5.

67 Ptolémée, Géo., IV, 13, P. 583.

68 أما في معجم مقاييس اللغة لإبن زكريا فتعني كلمة « بربار» : أكثر الكلام في جلبة و صياح و خلط في الكلام.

69 نلاحظ أنهم أطلقوا على إيطاليا إسم « برباريا».

70 و هذا نلاحظ أن الرومان قد سموا الأقطار التي لم يخضع أهلها لهم أو خضعوا ثم عصوا إسم بارباريكوم أو بلاد البربر و قد عرفت سواحل ألمانيا و ما على ضفاف نهر الدانوب بإسم بارباريس كما أطلق على المحيط الهندي إسم البحر البربري و كان صاحب كتاب رحلة بحرالإيرتري Périple d'Erythrée قد أطلق إسم بريركي أو برباريا على ساحل ارض اللوبان[أ] صوماليا و منها جاء إسم مدينة بربرة. كما أطلق على خليج عدن إسم بحر بربرا أو الخليج البري[ب]. كما عرف الإقليم القبلي بمصر بإسم بربرويدل في الأصل على أرض ميرفات و كانت بربر تمتد من ضفتي النيل على الشلال الخامس (على خط عرض 18° ، 63 شمالا) حتى نهر عطبرة [ج].

أ) دائرة المعارف الإسلامية، إعداد و تحرير إبراهيم زكي خرشيد، أحمد الشنتاوي عبد الحميد يونس، القاهرة 1975/ ص 581.

ب) نفس المرجع/ نفس الصفحة.

ج) نفس المرجع/ ص 565.

71 Julius Honorius, in C. Muller, Géo., Graec, Minores, A. 48, P 54.

72 E. Carette, Recherches, sur l'origine et les migrations des principales Tribus de l'Afrique Septentrionale et particulièrement de l'Algérie, Paris Victor, Masson, 1840- 41- 42, P. 13- 16.

73 Horace, Odes, IV, 4, 42 C; Sallustius Bell, Jugh, XVII.

74 دائرة المعارف الإسلامية/ ص 581.

75 نشوان بن سعيد الحميري، ملوك حمير و أقوال اليمن، تحقيق إسماعيل إبن احمد الجرافي و على بن إسماعيل، دار العودة بيروت، دار الكلمة صنعاء، الطبعة الثانية 1978/6/1 / ص 82.

76 J.L. l'Africain, description de l'Afrique, Traduit de l'italien par A. E. Paulard, Paris 1956, P. 3.

77 M.Talbi, l'Emirat Aghlabide, Histoire Politique, Paris, 1966, P. 124.

78 C. I. L, VIII, 5673.

79 F. Decret, M. Fantar, L'Afrique du Nord dans l'Antiquité des Origines au Ve Siècle, Paris Payot, 1981, P. 23.

80 عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، 1971/ ص7.

81 E. Carette, Op. Cit. P. 21.

82 إبن خلدون 89/6.

83 نفس المرجع، ص 93، 97.

84 R. Basset, Etudes sur les dialectes berbères, Op. Cit., P1. Passim.

85 Herodotus, Hist, IV, CXCI.

86 Ptolémée, Géographie IV, 12, 15 ; C. I. L, VIII, 9613.

87 Ammien Marcellin, XXIX, 5, 17, 21, 25, 26, 51.

88 Julius Honorius, Geogr, Graec, Minores, A 48, P. 54.

89 St. Gsell, H.A.A.N, T. V, P. 118.

90 Loc, Cit.

91 St. Gsell, H. A. N; Op. Cit., T. V; P. 118.

92 Justin, XVIII, U. 6.

93 Ptolémée, IV, I, 5.

94 Dio Cassius, Epitome du Livre LXXV, 13.

95 Antonin (Itinéraire), I, 1, P. 2 ; Jehan Desanges, Catalogue des tribus Africaines à l'Ouest du Nil, Dakar, 1962, P. 33.

96 إبن خلدون 91/6.

97 Le Général. Faidherbe, Recueil des inscriptions Libyques et Numidiques, Op. Cit., P. 22.

98 Le Général. Faidherbe, Recueil, Op. Cit., P. 22.

99 G. Gardel, Les Touaregs Ajjers, Op. Cit., P. 28. Not No. 18.

100 H. Lhote, Les Touareg du Hoggar, Paris Payot, 1955, P. 173.

سنرى ذلك بالتفصيل فيما يتعلق باصل الكتابة الليبية

101 A. Basset, le Berbère à l'Ecole Nationale des Langues orientales vivantes, cent cinquantenaire de l' E. L. O, Paris, Imprimerie Nationale, 1948, P. 262.

الباب الأول

الحياة السياسية في نوميديا

من حكم الملك جايا إلى بداية الإحتلال الروماني

(213 ق.م / 46 ق.م)



الفصل الأول : المملكة الماسيلية

أولا : نبذة تاريخية عن ماسيليا قبل القرن الثالث ق.م :

جاءت الإشارة إلى كلمة ملك في النصوص القديمة ثلاث مرات. قبل الحرب البونيقية الأولى (264 ق.م – 243 ق.م). فكانت المرة الأولى في القرن التاسع ق.م، (814 ق.م) مع بداية تاسيس قرطاجة حيث يذكر جستين [1] أن حيرباس Hiarbas كان ملكا على الشعب الماكسيتانى Maxitani و قد أرغم الفينيقيين للإستيطان في المنطقة التي عرفت فيما بعد بقرطاجة، بعد الزواج من الأميرة الفينيقية آليسة (ديدون) [2]. و نلاحظ من خلال هذا النص أن إسم حيرباس هو إسم أفريقي حمله ملك نوميدي في القرن الأول ق.م، أما إسم الشعب الماكسيتاني فهو شبيه باسماء الشعوب الليبية القديمة مثل مازاس (Mazes) و ماكسياس (Maxyes).

ثم بعد ذلك تصمت المصادر حول إستمرار بقاء المملكة السالفة الذكر أو حول إمكانية وجود مملكة أخرى، إلى أن جاء القرن الرابع ق.م و في هذا القرن ورد ذكرت كلمة ملك مرتين :

المرة الأولى على لسان جستين الذي تكلم عن «ملك المور» [3] الذي إستنجد به القائد القرطاجي حانون في محاولته للقيام بإنقلاب ضد الحكم في قرطاجة، و كان ذلك عام 360 ق.م [4] و ربما كان جستين يقصد بكلمة ملك أمير أو زعيم قبيلة لأنه لم يثبت ما يؤكد وجود مملكة مورية قوية حكمت في القرن الرابع ق.م ، لكن أبرزت المخلفات الأثرية المتمثلة في مقبرة سيدي سليمان Sidi Slimane إلى وجود زعماء موريين منذ ذلك القرن (الرابع ق.م) لهم علاقة مع التجار الفينيقيين. و من الملاحظ أيضا أن نص جستين غير موثوق به خاصة و أنه عاش في فترة متاخرة جدا عن الأحداث التي سردها لنا، و التي تعد مختصر التاريخ المؤرخ الروماني تروجوس بمبيوس Trogus Pompeius و في ذلك العهد كانت كلمة مور لها مدلولا عاما و يقصد بها كل سكان شمال أفريقيا.

أما المرة الثانية فقد وردت عند ديودور الصقلي في حديثه عن حملة أجاثوكلس Agathocles على أفريقيا (310 ق.م – 307 ق.م) حيث ذكر إسم ملك ليبي اليمـــار [5] Elymar أو Ailymas الذي من المحتمل أن تكون عاصمة بلاده هي دوجا (Thugga أو Tokai) و التي لم تكن خاضعة للحكم القرطاجي في ذاك الوقت [6].

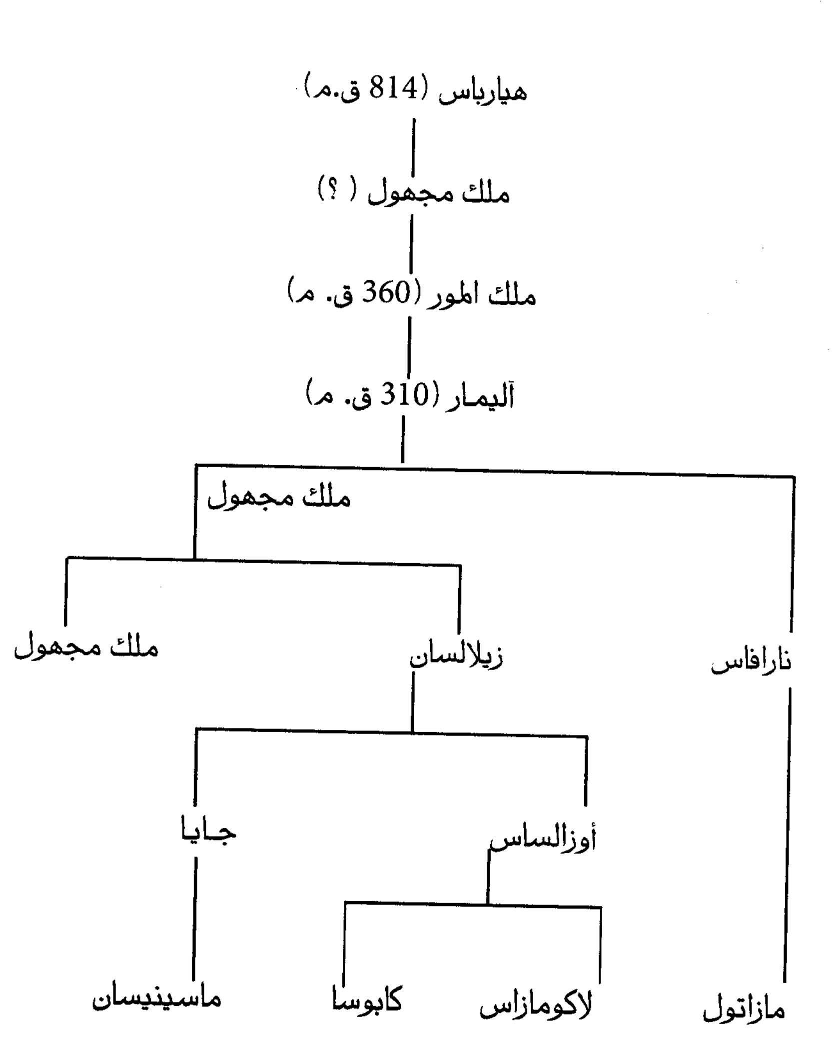
و ثمة دلائل أخرى تشير إلى وجود مملكة ماسيلية قبل التوسع البونيقي في تونس الوسطى و الغربية. فخلال تمرد المرتزقة على الحكم القرطاجي سنة 240ق.م، ذكر بوليبيوس [7] إسم زعيم نوميدي هو نارافاس Naravas و لم يلقبه بلقب ملك و إنما قال عنه أنه ينتمي إلى عائلة كبيرة و كانت لأبيه علاقات ودية مع الأرستقراطية القرطاجية، و من المحتمل أنه كان ينتمي إلى عائلة ماسيلية حاكمة.

من جهة أخرى ذكر تيتيوس ليفيوس [8] أنه بعد موت الملك جايا والد ماسينيسان حاول الأمير مازاتول إنتزاع الحكم من كابوسا Capussa و أن هذا الأخير لم يكن ينتمي إلى عائلة حاكمة و لكنه كان ينتمي إلى بطن ثاني من العائلة المالكة المعادية للسلالة الحاكمة.

هذا و من الملاحظ أن قوانين الخلافة في المملكة الماسيلية أو النوميدية بصفة عامة و التي إستطاع جزال [9] أن يخرج بها تتلخص فيما يلي :

(...) المملكة هي ملك للعائلة حسب المفهوم العام للكلمة أي لمجموعة من كبار أفرادها المنتمين إلى جد مشترك (...) فعند هذه العائلة يكون الرئيس هو أكبر الذكور الأحياء الشرعيين سنا. و بعد وفاة الرئيس يعود الحكم إلى أكبر شخص من الأسرة الحاكمة».

كما يمكننا أن نستنبط من النصوص التي عثر عليها في دوجا Dougga Thugga و التي كتبت بلغة ليبية بونيقية مزدوجة أن والد جايا الذي كان ينتمي إلى بطن من بطون العائلة الحاكمة، كان يعرف بالحكيم أو القاضي أو «الشوقيت» مما يدل على أن هذا البطن من بطون العائلة كان مركزا للخلافة أو الحكم في العهود السابقة و هذا يبرر النزاع الذي قام بين كابوسا Capussa و مازاتول Mazetule على الحكم [10].



هيارباس (814 ق.م)
ملك مجهول (؟)
ملك الور (360 ق. م)
آليمار (310 ق. م)
ملك مجهول
ملك مجهول
زيلالسان
نارافاس
جايا
أوزالساس
ماسينيسان
كابوسا
لاكومازاس
مازاتول

و من خلال هذا الرسم يتبين لنا، أن العائلة الماسيلية حكمت اربعة أجيال قبل ماسينيسان و من المحتمل أن آليمار Ailymas Elymar كان جدا لماسينيسان و جايا و كانت عاصمته دوجا.

أ/ قيام العائلة الماسيلية :

تكونت المملكة الماسيلية في المنطقة التي عرفت في العهد الروماني بإسم نوميديا و تقع فيما يعرف حاليا بالشرق الجزائري، و في جزء من غرب تونس، فتحدها من الشرق (و هذا في عهد جايا و حتى توحيد نوميديا على يد ماسينيسان)، قرطاجة. و تجدر بنا الإشارة هنا إلى ذكر الظروف التاريخية التي أدت إلى قيام هذه الحدود الثابتة بين القرطاجيين و نوميديا الشرقية.

1- الحدود القرطاجية الماسيلية :

بعد فترة من الوقت من تاسيسها إستطاعت قرطاجة السيطرة على القبائل الليبية المجاورة لها، مع العلم أن قرطاجة كانت تدفع ضريبة سنوية لليبيين.

بعدما خسرت قرطاجة صقلية في المعركة التي جرت سنة 480ق.م [11]، فقدت بذلك من أكبر مصادر إنتاج القمح، و مفتاح الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط و قاعدة قواتها التجارية. فاغلق الإغريق الطريق بينها و بين صور. و بدأ المرسي [12] سكان ماساليا Massalia يهددون طرشيش . فاصبح الطريق التجاري بين الحوض الشرقي و الغربي للبحر الأبيض المتوسط مهددا. و بدأت قرطاجة تتجه أنظارها إلى داخل أفريقيا و تتنهج سياسة توسعية إستيطانية.

قبل هذا التاريخ- أي 480 ق.م – قاد مالخوس Malchus خلال القرن السادس ق.م عدة حملات ضد الليبين و نتج عن ذلك إلغاء دفع الضريبة السنوية [13] الواجبة على القرطاجيين منذ بدء إستيطانهم أفريقيا.

لكن بعد تاريخ 480 ق.م إستطاع حانو إبن حملقارط أن يخضع الليبيين تحت سيطرته و أن تتخلص قرطاجة نهائيا من دفع الضرائب، و هذا النجاح نتج عنه الإمداد و التوسع القرطاجي جنوبا و غربا و كان بمثابة بداية الإزدهار القرطاجي.

تشير المصادر بغموض للحروب التي جرت بين القرطاجيين و الليبيين نتيجة توسعات قرطاجة. تتمثل إحتجاج الليبيين للتوسعات القرطاجية في عدة إنتفاضات و أشهرها كانت لسنة 396 ق.م، فقد إنتهز الأفري [14] الظروف الصعبة التي تمر بها قرطاجة و ثارو ضد معاملة القائد القرطاجي لهم فقد إنضم الليبيون إلى عبيد الضياع القرطاجية الثائرة، و إحتلوا مدينة Tynes [15] و وصلوا عند أبواب قرطاجة لكن تمكن القرطاجيون من إخماد هذه الثورة و أنجدوها عن طريق البحر [16].

أما الثورة الثانية فكانت سنة 379 ق.م. و دامت عدة سنوات. كما أننا نلاحظ أن حانو سنة 360 ق.م ، قد حاول الإستنجاد بالأفري و بملك المور للقيام بإنقلاب ضد الحكم القائم بقرطاجة [17].

إنظمت القبائل الليبية إلى القائد الإغريقي أجاثوكليس خلال حملته التي قام بها على إفريقيا ما بين 307 ق.م و 310 ق.م [18] و قد إنتهزوا هذه الفرصة للتحالف معه [19] كما أشار ديودور الصقلي إلى ثورة القبائل الزوفونوس [20] Zeuphones النوميدية ضد قرطاجة من جهة أخرى عند أجاثوكليس تحالفا – كما أشرت لذلك سالفا – مع الملك الليبي آليمار [21] Ailymar و خلال الحرب الفينيقية الأولى أشير إلى

ثورة قام بها النوميد ضد القرطاجيين سنة 255ق.م. [22] مرة أخرى بعد إنتهاء الحرب البونيقية الأولى قامت ثورة الجنود المرتزقة التي ساندهم فيها النوميديون تحت قيادة سبندوس Spendus أحد العبيد الرومان الفارين و هو من أصل كمباني Campnien و ماثو Matho من أصل أفريقي و أوتاريت Autarite و تجمع الثوار في مدينة سيكا Sicca [23]. و ربما يرجع السبب في هذه الثورة إلى ما عرف عن قسوة جباة الضرائب القرطاجيين و هو السبب المباشر لإنضمام النوميد لهم، أما السبب الحقيقي الذي دفع الجند المرتزقة للثورة يرجع إلى تاخير قرطاجة في دفع الرواتب لهم.

و قد إنتهز المرتزقة الذين كانوا يتكونون من عناصر شتى من بينهم أسبان و غاليين Gaulois و ليجوريين Liguriens و من جزر الباليار Iles Baleares و إغريق من كل الطبقات خاصة من العبيد و الجنود الفارين و أفارقة [24]. و قد تجمع حوالي عشرون ألف رجل في مستوطنة تيناس Tynes. إنضم إلى هذه الثورة أغلبية الأفارقة و قد حاصر سبادوس مدينة أوتيكا و أما ماثوا فقد حاصر هبو ديارتوس [25] Diarrhytus Hippo لأن هاتين المدينتين لم تنضما لقضيتهما و إنتشرت هذه الثورة بسرعة مما يدل على سوء معاملة قرطاجة لرعاياها. و قد وصل عدد الأفارقة الذين جمعهم ماثو إلى نحو سبعين ألف رجل كما ساهمت النساء في تموين هذه الثورة بعد بيع كل ما لذ لهن من أثاث ثمين و زينتهن [26]. و قد كلف القرطاجيون حانون لإخماد هذه الثورة و لكنه لم ينجح في مهمته و أعطيت القيادة لإخمادها إلى القائد حملقارط Hamilcar و قد إنضم إليه القادة النوميدي و هو نارافاس Naravas مع نحو ألفين نوميدي. و بعد أن إنضمت أوتيكا و بنزرت إلى الثوار أصبحت قرطاجة محاصرة حيث لم تصلها الإمتدادات من الداخل و كانت تاتيها

من روما و من صقلية و قد إنتهز الثوار فرصة الإنشقاق السياسي داخل قرطاجة بين القائدين حانون و حملقارط. كما أنهم دمروا بكل قسوة و قضوا على الأسرى القرطاجيين مع القائد جيسكو Giscon. لكن في النهاية بعد أن منعت روما و صقلية [27] بيع بضائعها للثوار و تخلي الثوار عن محاصرة قرطاجة و إنتشرت المجاعة بين الثوار. في نفس الوقت نجح حملقارط في محاصرة جيش سبانديوس في المنطقة "الشاقور" أو المنطقة المعروفة حاليا فيما بين زغوان Zaghouane و جرومباليا Grombalia حيث قضي على سبانديوس و نحو أربعين ألف من جنوده [28]، كما ألقي ماثو حذفه قرب "لبدة الصغرى Leptis Minus أو لمتة Lemta حاليا و هكذا أظهرت هذه الثورة التي دامت أربعة أعوام [29]، مظاهر الصراع السياسي بين شعبين متباينين و إحساس الليبيين الدائم أن القرطاجيين ما هم إلا دخلاء مستعمرين.

و بعد هذا التاريخ أي 238 ق.م لم تشر النصوص إلى قيام ثورات تستحق التسجيل و من المحتمل أن القرطاجيين قد وقعوا مع الليبيين معاهدات صلح ضمنت لهم حدود آمنة و تبين ذلك في الحدود المعروفة بالخنادق الفينيقية Fossatum Phonicum. لم يذكر تاريخ لبداية رسم هذه الحدود لكنها عرفت إبتداء من القرن الثالث ق.م و من المحتمل أن هذه الحدود وضعت نتيجة معاهدة الصلح المذكورة آنفا و التي نتج عنها قيام علاقات سياسية و تجارية بين النوميد و القرطاجيين و إبتداءا من 406 ق.من إنضم النوميديون و المور في الجيش القرطاجي كمرتزقة كما كان الحلفاء النوميديون يمدون منذ القرن الثالث قبل الميلاد الجيش القرطاجي بالفرسان [30].

أما فيما يتعلق بالإمتداد و التوسع القرطاجي غربا فهناك من يقول مثل سترابون [31] أنها إحتلت الأراضي التي تقطنها القبائل الرحالة و هذا رأي غير موثق به لأن الجزائر حاليا و سهول العاصمة الجزائرية (المتيجة) و وهران و هي زراعية بالدرجة الأولى و لم يعثر إلى الآن على أثر قرطاجية تؤكد ذلك القول، كما أنه لا يجب الأخذ بعين الإعتبار قول أبيان [32] Appian بان قرطاجة كانت سيدة على أكثر من نصف ليبيا و يقصد هنا بليبيا كل شمال أفريقيا غرب المستعمرات الإغريقية.

كما أنه يبدو و أن قرطاجة قد إحتلت جزءا من ولاية قسنطينة، و أنها – أي قرطاجة- قد سيطرت على كل الساحل حتى روزيكاد Ruscicade (أو سكيكيدة أو رأس بوجرون) عند مصب نهر الواد الكبير. و يرى البعض أن الحدود البونيقية قد وصلت حتى رأس بوجرون و يبدو أن الفكرة تكونت إستنادا على جملة من نص سترابون [33]، التي يقول فيها أن بلاد الليبيين - الفينيقيين تمتد داخل الأراضي الواقعة بين بلاد المازاسيل Massessyles و بلاد السيفالاس Cephales و هو رأس مسرطة Misrata شمال غرب كرتا الكبرى. و نفس الجغرافي أعطى للحدود الشرقية لمازاسيليا رأس بوجرون.

أما حول الإمتداد القرطاجي، يذكر ديودور [34] الصقلي من خلال تحدثه عن الحملة التي قادها الإغريقي الصقلي أجاتوكليس في أواخر القرن الرابع ق.م، أن الإغريق إحتلوا خمس مدن هي : فلينيا Phelline، مزقلة Mescala أكراهيبو Acra Hippou أكريس Acris .

و يذكر أن المدينة الأخيرة أي أكريس كانت مستقلة و نفترض على قرار ذلك أن المدن الأخرى كانت تابعة لقرطاجة، أما عن مواقع المدن المذكورة، فإن أكراهيبو و التي ذكرت أنها كانت ساحلية فمن المحتمل

أنها عنابة حاليا أو هيبو Hippo Regius للعهد الروماني، أما أكريس المستقلة فتقع شمال شرق الجزائر و فلينيا تقع شمال نهر المجردة. و يرى جزال [35] أن توكاي Tocaiهي ثوجا Thugga أو دوجا حاليا جنوب نهر المجردة.

يذكر بوليبيوس [36] و ديودور الصقلي [37] أن القائد القرطاجي حانو قد إحتل خلال الحرب البونيقية الأولى حوالي عام 247 ق.م مدينة إفريقية كبيرة تحمل إسم هيكاتومبلوس Hecatompylos و من المحتمل أنها مدينة تيفاست Theveste(تبسة حاليا). [38]

كما كانت مدينة سيكا [39] Sicca أو «الكاف» تحت الإحتلال القرطاجي عام 241 ق.م. و بعد حرب المرتزقة وسع حملقارط من حدود قرطاجة [40] كما أرغم صهره أزدروبعل Asdrubal النوميد على دفع الضرائب [41]. من جهة أخرى و كما ذكرت سالفا، إنتزع جايا قبل سنة 213 ق.م من القرطاجيين منطقة ساحلية تحتوي على بعض الموانئ [42] أعادها سيفاكس إلى القرطاجيين بعد إحتلاله مدينة كرتا.

أما في عام 203 ق.م فكانت قرطاجة سيدة على منطقة السهول [43] الكبرى و هي منطقة سوق الأربعاء و سوق الخميس (دخلة أولاد بو سالم) التي يتخللها نهر الماجردة [44] و كان قد إحتل هذه المنطقة، القرطاجيون حتى الفترة التي أعادها منهم ماسنيسان ضمن ممتلكات أبيه Regnum Paternum قبل عام 153 ق.م.

أما مدينة (موداروس) Madauros أو مدرواش M'daourouch الواقعة بين مدينة سوق أهراس و مدينة تبسة لم تخضع للحكم القرطاجي [45] و قد أعادها الملك ماسينيسان في أواخر القرن الثالث ق.م بعد أن إحتلها الملك سيفاكس [46].

أما فيما يتعلق بتوغل القرطاجيين جنوبا، فمن الملاحظ أن مدينة قفصة Gafsa كانت في أواخر القرن الثالث ق.م مدينة كبيرة [47]، و تشير بعض الأدلة إلى التواجد الفينيقي المتبين من خلال أسطورة تاسيس هذه المدينة إذ ذكر[48] أن تاسيسها ينسب إلى هرقل الفينيقي. و وجد بها تحت حكم الإمبراطور الروماني تراجان Trajan نظام الشوفيت [49].

من جهة أخرى ذكرت رحلة سيلاكس Périple de Scyllax التي دونت في القرن الرابع ق.م عدد من المراكز الساحلية الخاضعة للحكم القرطاجي [50] إنتشرت على طول الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط، بدئا من كرتا شرقا حتى أعمدة هرقل. أما بوليبيوس فيذكر أنه في بداية الحرب البونيقية الثانية (218 ق.م) كانت قرطاجة سيدة على كل ساحل الأبيض المتوسط منذ الحدود الغربية للمستعمرات الإغريقية Autels de Philene حتى جبل طارق (أعمدة هرقل) [51]. و من الملاحظ أن بعض المدن الساحلية كانت محطات فينيقية قديمة تاسست قبل تاسيس قرطاجة مثل ، أوتيكاUtique [52] و سوسا Hadrumete، عنابة لكسوس Lixus و لبدة Lepcis Magna[53] و أيضا يومنيوم (تجزيرت)Iumunium و إيكوزيوم Icosium (الجزائر العاصمة)، أيول Iol (أو قيصرية أو شرشال حاليا). واسست مراكز لها عند الخلجان مثل المواقع التي تبتدأ بحروف روس Rush أو (رأس) مثل روزيكاد Rusicade (سكيكيدة) روزازوRusazu Port Gueydon)، روزيبزير Rusippisir (تكسابت Taksebt) روزوكورو Rusuccuru(دليس)، روزجانيا Rusgunia(عين أشرب أوCap Matifou) شرق العاصمة الجزائرية [54] حاليا.

2/ الحدود الماسيلية المازاسيلية :

يحدد نص سترابون[55] المملكة المازاسيلية شرقا عند رأس التريتون Cap Treton و الذي ينسب بدون إعتراض إلى رأس بوجرون في شبه جزيرة القل[56] (Collo)و هو أيضا الحد الغربي لماسيليا. نتج عن توسعات سيفاكس الملك المازاسيلي، على حساب ماسيليا عدم إقرار هذه الحدود من الناحية الغربية.

تعتبر بلاد الماسيل الممتدة داخل الجزائر الشرقية و تونس الغربية منطقة جبلية مكسوة بالغابات و قد إشتهرت بتربية الماشية و الأغنام كما تضم مرتفعات أراضيها سهلا صالحا لزراعة الحبوب حيث تحتل الزراعة مساحات شاسعة في السهول الداخلية العليا و أيضا في أودية المرتفعات الجنوبية.

و تظهر المناطق الأثرية وجود شعوب زراعية متمسكة بالأرض أكثر من النوميد الغربيين (مازاسيليين)[57] و ساعدت الظروف التاريخية هذه المنطقة على النمو و الإزدهار بحكم مجاورتها لقرطاجة حيث قامت بها إبتداءا من القرن الرابع ق.م، و الثالث ق.م مدن مثل دوجا (Dougga) و تبسة، (Theveste Hecatompilos) و كرتا Cirta و مكتار[58] (Mactar) و الكاف (Sicca).

و بهذا لقد كانت ماسيليا عبارة على شريط ضيق من الأرض محصور بين قرطاجة و المملكة المازاسلية فتضم غربا منطقة كرتا مهد العائلة الماسيلية و شرقا الهضبة التونسية Dorsale Tunisienne و جزءا كبيرا من حوض البجراد Bagradas ثم جنوبا حيث القبائل الجدالة التي كانت في بعض الأحيان حليفة للملكة الماسيلية.

و من أجل البحث عن مهد العائلة الماسيلية وجدت بعض الظواهر الأثرية بها خصائص يمكن الرجوع إليها لتحديد الموطن الأم لهذه العائلة و إلى جانب الظواهر الأثرية هناك نصوص أدبية يمكن أيضا الرجوع إليها.

فاول ظاهرة أثرية أنها تتجسد في الليبية البونيقية المزدوجة و التي ورد فيها جد ماسينيسان يحمل لقب حكم أو قاض شوفيت على مدينة دوجا غير أن حقائق أخرى قد تجعل الباحث يتخلى عن فرصة بجعل هذه المنطقة (منطقة دوجا) مهدا للعائلة الماسيلية لأن الدراسة الجديدة [59] أظهرت أن دوجة كان لها نظام إداري نوميدي و ليس بونيقيا يقوم على أساس الأخذ بسلطة القضاة الحكماء و ليس بسلطة الملك.

ففي مدينة كرتا Cirta يمكن العثور على بعض الدلائل الأثرية الأخرى و الأدبية أيضا التي ذكرت أن كرتا كانت عاصمة لماسينسان و سيفاكس [60]. فوجود ضريح الخروب بنواحي كرتا و وفرة المعابد الجنائزية التي تشير إلى كثافة سكانية خاصة في نواحي جبل الفرطاسDjebel fortas [61] و التي عثر بها على مسلات ذات حجم كبير نقش عليها أسماء بعض الرؤساء المحليين.

كما وجدت بنفس المنطقة بقايا فخارية ترجع إلى القرن الرابع و الثالث ق.م تمثلت في أواني فخارية صنعت في جزيرة قبرص و عثر عليها في مصطبة بوشان [62] Bouchene و تمثل لأبي الهول من صنع إغريقي عثر عليه في تيديس Tiddis بنواحي كرتا [63]. لكن وجود ضريح آخر بمنطقة الأوراس و المعروف بإسم المادغاسنMedracen [64] ينفي إحتمال وجود مهد العائلة الماسيلية بهذه المنطقة و يندرج بنا البحث عن الموطن الأم للماسيليين أكثر جنوبا بنواحي الأوراس.

فقد شيد ضريح المادغاسن في منطقة عرفت في العهد الروماني ببحيرة الملوك Lacus Regius و إسمه مشتقا من مادغاسن و هو الجد الأسطوري للبربر كما ذكر ذلك إبن خلدون [65].

لكن دراسة الخصائص المعمارية للمعبد تعود إلى القرن الثالث ق.م و هو بذلك يكون معاصرا للمملكة الماسيلية. برغم الإحتفاظ ببعض تقاليد البناء الجنائزي البربري نجد به بعض العناصر المعمارية القرطاجية فهو بذلك تقليد بونيقي صقلي سكندري. و من المحتمل أن يكون هذا الضريح شيد من أجل أمير أو زعيم نوميدي كان على علاقة بقرطاجة و نفوذ سلطته ممتد حتى الحدود القرطاجية. كما نلاحظ أن أقرب مدينة سكنتها عناصر فنيقية في القرن الثالث ق.م هي كرتا [66] و أن بقايا المقابر المعروفة بإسم Tumuli Basinae و التي تحيط بالقبر هو دليل على إستمرارية تلك الإمارة التي ينتمي إليها الأمير المدفون [67].

أما إذا رجعنا إلى النصوص الأدبية نجد أن قصبة المملكة الماسيلية تقع بين طرفي محور يمر على عنابة و تبسة و في هذه المنطقة عثر على أغلبية النقوش الليبية [68]. ففي نصف المسافة التي تقع بين هاتين المدينتين دامت حتى العهد الروماني قبيلة تحمل إسم توبورسيكوم نوميداروم Gens Thubursucum Numidarum. أقامت سيكا نقشا تذكاريا على صورة شاهد قبر تكريما للملك حمبسال Hiempsal إبن جودا [69]. لكن هذه الأدلة ليست قديمة بل أنها ترجع إلى العهد الروماني (ما بين 582م و 583 م) و ليست بدليل مقنع و حاسم على أن الموطن الأم للماسيليين يقع في المسافة المحصورة بين هاتين المدينتين و بعد دراسة النصوص الأدبية و مقارنتها ببعضها و ببعض النقوش يمكن الرجوع إليها في الإستدلال على تحري الموضع الذي كان يشغله الموطن الأصلي للقبيلة الماسيلية. أما المؤرخون الذين

ذكروا قبيلة الماسيل فهم بليني [70] و يوليوس هونوريوس [71] لكن هذا الأخير يحدد للماسيليين موضعا يقرب من جبل طارق أما بليني فيذكرهم ضمن القبائل الإفريقية التي تنتشر من الأمبساجة Ampasaga حتى سرت Syrtes ملتزما في ذكره لها الترتيب الجغرافي لمواقعها، قبائل النتابوتس Gens Natabutes القفسيتاني Capsitanis، الموزولاسي Musulames، السوبربوراس Suburbures و الماسيلي Massyliis ثم النيكيفاس Nicives .

أما النقوش فتجعل موقع قبائل النتابوتاس (أو النتابوداس) غرب موقع القبائل Thubursicu Numidarum [72] و قبائل القفسيتاني Capsitani [73] فموقعهم قرب مدينة قفصة هم سكان نواحي نهر المليج Mellegue Muthul قديما. و بناء على هذا الوصف يمكن التماس موقع قبائل الماسيلي في المنطقة ما بين موطن السوبور بوراس و موطن النيكيفاس. فإذا بحثنا عن موقع قبائل السوبوربوراس فنجد أنها تقع في منطقة سان دونات S^t Donat بين سطيف و قسنطينة [74]. أما قبائل النيكيفاس فهم جنوب هؤلاء بين شط البيضاء و مرتفعات باتنة [75]. غير أن العثور مؤخرا على نص في تيجيجيس Tigisis [76] و هو عبارة على نصب تذكاري لتحديد الممتلكات العامة في كرتا و ممتلكات قبائل السوبوربوراس و جياني Suburbures Regiani و قبائل النيكيفاس Nicives و هذا النص مؤرخ ما بين أعوام 74م، 79م و هو أقدم من النص الأول (582م، 583م). و المقارنة بين النصوص النقشية القديمة سالفة الذكر و النص الجديد لتيجيزيس مع النص الأدبي لبطليموس [77] ، يتضح لنا نتائج جديدة في هذا المجال، فيجعل بطليموس موطن قبائل النيكيفاس جنوب شرق مدينة كرتا المعروفون بإسم الكرتانزاس Cirtenses بجوار قبائل النتابوتس و في

هذه الحالة يتطابق النص الأدبي لبطليموس مع النص النقشي لتيجيزيس Tigisis أما قبائل السوبوربوراس فيعضهم بطليموس بين تيجيزيس و المجرى الأوسط لنهر الباجرادة Bagradasعند مرتفع الثامس Thames المعروف حاليا بجبل تاجمة Tagma. يعود بطليموس فيذكر أنه قد وجد جنوب قبائل السوبوربوراس، قبائل الهيلياردي Hialiardi سيتافيوبيديون و يقصد به سهل سطيف Sittafi conpedion الواقع بين جبال البابور Babors و مرتفعات باتنة و بوطالب. و نلاحظ من خلال نص بطليموس أنه ينم عن قدر من الترحال التدريجي لقبائل السوبوربوراس من جبل تاجمة حتى منطقة سان دونات و هو الموقع الذي عينه لهم نص بليني في مسافة مئتي كيلومترا.

و نستنتج مما سبق أن جزءا من قبائل السوبوربوراس قد إستوطن جنوب كرتا و هذا ما أثبته نص تيجيزيس. و من الممكن وضع السوبوربوراس في المكان الذي عينه لهم بليني أي في منطقة سان دونات و الموقع الذي عينه لهم يوليوس هونوريوس [7] [8] أي بجوار قبائل الكواكيجانتيان Quinquengentani بمنطقة القبائل نحو الغرب.

أما قبائل النيكيفاس فكانوا يقطنون المنطقة الواقعة بجوار السوبوربوراس ريجياني جنوب شرق كرتا و أن جزءا بفعل ظروف ضاغطة قد زحف في إتجاه نجاوس في العهد البيزنطي (583- 582 ق.م)، و نستنتج من هذه المقارنة أن الموطن الأم لقبائل السوبوربوراس كان غرب كرتا و موطن النيكيفاس كان شرقها و بعد مقارنة هذا الوضع بنص بليني مرة أخرى نجدهم يحيطون في النص كما في الحقيقة قبائل الماسيل و التي تحتل منطقة كرتا نفسها و جبل الفرطاس Djebel Fortas و نستطيع القول أن قبائل الماسيل قد سكنت المنطقة الغربية من نوميديا الرومانية بين قبائل السوبوربوراس و قبائل النيكيفاس- و

لم يكن لقبيلة ماسيل وجودا إداريا في العهد الروماني لكن إسمها دام محفوظا في التقاليد المحلية حيث حمل بعض الأشخاص إسم ماسور Massul كما تم العثور على شاهد قبر بمدينة سيلا Sila [79] و إثنين بالقرب من نهر جرمان Oued Djermane [80] و يضيف إبن شنب [81] ان زحف الماسيل زاد جنوبا حيث تشير مدينة المسيلة بمنطقة الحضنة بعض الإهتمام، كانت في العهد الإسلامي تحمل إسم المحمدية. لكن اهل المنطقة فضلوا الإسم النوميدي المسيلة. و من المحتمل أنه خلال عصر الإمبراطورية الرومانية أو العصر البيزنطي زحف جزء من قبائل الماسيل تحت ظروف ضاغطة نحو السهوب و الهضاب مثلهم مثل شعب النيكيفاس الذي إستوطن حتى العهد البيزنطي في تيجيزيس شرق اولاد رحمون و إضطروا أن يزحفوا جنوبا نحو أنجاوس و أنهم (الماسيل و النيكيفاس) قد إضطروا تحت ضغط مشترك أن يتحركوا جنوبا حيث وصلت قبائل الماسيل مدينة الماسيلة و إستوطنوا بها، هذا و أن المسافة التي تفصل بين منطقة قسنطينة و المسيلة (حوالي 200 كيلو مترا) ليست مستحلية العبور، كما أن الأسماء التي تحملها المدينة و القبائل إنما تدور حول محورا صوتيا متقاربا [82] مما يشكل في حد ذاته مؤثرا دالا على أن هذه المنطقة هي نفس المنطقة التي بلغها و وصل إليها جزءا من قبائل الماسيل.

ثانيا : الملك جايا

ذكرت النصوص الأدبية [83] إلى جانب النقوش الليبية البونيقية المزدوجة لمدينة دوجة، إسم ملك جايا، كاول ملك ماسيلي. [84] و قد قام شابو عام 1940 م بترجمة هذا النص إلى العبرية، كما سجله باللاتينية أيضا. و يمكن ترجمة هذا الإسم إلى العربية ليعني : و ج ي ي أو وجيي . كما ذكرت نفس الكتابة [85] إسم والده بالليبية حيث يمكن نقله إلى العربية على الصورة التالية : و ز لـ لـ س ن أو أوزلسن Uzllsn. و من الملاحظ أن كتابة دوجا لم تذكره كملك بل كقاضي أو شوفيت.

و قد إرتبط جايا بعلاقات مختلفة مع أهم الحضارات المحيطة به كالمازاسيلية و القرطاجية و الرومانية.

أ- علاقته بقرطاجة :

كانت علاقة جايا ودية مع قرطاجة إذ نراه قد ارسل إبنه إلى العاصمة القرطاجية ليتعلم فيها أصول التربية و البونيقية و كان ذلك في السنوات الأولى من ميلاد إبنه ماسينيسان لذي ولد سنة 238 ق.م [86] و بهذا نقول أنه عاصر الحرب البونيقية الأولى (363 ق.م- [241] ق.م) كما كان على علاقة سلام مع قرطاجة خلال الحرب البونيقية الثانية (218 – 202 ق.م) و بصفته حليفا لها أمد القائد القرطاجي حنبعل بفرق من الفرسان الماسيليين [87]. و لم تذكر النصوص بداية توليه الحكم، لكن يمكن أن نستنتج ذلك من خلال بعض الظواهر المعاصرة لحكمه أنه نصب على عرش الماسيليين قبل سنة 238 ق.م و هو تاريخ

ميلاد أبنه ماسينيسان كما كان أيضا في حالة سلام سياسي مع قرطاجة في السنوات الأخيرة من حياته و كان ذلك ما بين 213 ق.م حتى 208 ق.م و قد حارب إبنه ماسينيسان إلى جانب القرطاجيين على رأس جيش نوميدي ضد الرومان في إسبانيا لكن قبل تاريخ 213 ق.م ذكر تيتوس ليفيوس [88] أنه حارب القرطاجيين و إنتزع منهم أيضا أرضا لم يذكر موقعها و من المحتمل أنها كانت على الحدود بين قرطاجة و ماسيليا.

و ربما يذهب البعض إلى القول بوجود تناقض في أحداث السنوات القليلة المحصورة منذ ما قبل عام 218 ق.م إلى عام 213 ق.م، و ذلك لأن النصوص الأدبية تشير إلى علاقات ودية مع قرطاجة وصلت إلى حد إمداد جايا لقرطاجة بالعون العسكري في الحرب البونيقية الثانية (218- 202 ق.م)، في حين يذكر تيتوس ليفيوس في حولياته أنه ثمة شجارا أو نزاعا كان ناشبا بين جايا و قرطاجة قبل عام 213 ق.م حول قطعة أرض على الحدود الفاصلة بينهما. فكيف نوفق إذن بين القول بمحاربة جايا لقرطاجة و القول بمعاونة جايا لقرطاجة علما بان الأمرين قد وقعا في حدود زمنية غاية في التقارب ؟ و الرأي عندي – حلا و تفسيرا لهذا التناقض- هو القول بإحتمال وجود هذا النزاع فعلا بين جايا و قرطاجة على أرض على الحدود، و أن تحديد ليفيوس الزمني بان هذا النزاع وقع قبل 213 ق.م يمكن أن يرمي بنا إلى عام 219 ق.م على اقل تقدير- أي قبل إندلاع الحرب البونيقية الثانية و لو بعام واحد على الأقل. مما يهيئ لنا فرصة للإستدلال بان قرطاجة لما أحست أبان عام 219 ق.م أو 218 ق.م بتجمع نذر الحرب بينها و بين أعدائها الأخرين في الحرب البونيقية الثانية، أرادت أن تعد نفسها إستراتيجيا للعمل في جبهة واحدة، مما دفعها إلى أمرين :

الأول : أن تهادن جارتها العدو و توأمن حدودها معه بصلح.

و الثاني : أن تتنزل له عن موضوع النزاع (و هو قطعة الأرض) في مقابل أن يتحول هذا العدو الصلب إلى حليف قتال و رفيق خندق واحد. و هذا يعني – بالإستدلال النظري البحت- أن ثمة معاهدة أو إتفاقا كان قد أبرم بين جايا و قرطاجة قبيل إندلاع الحرب البونيقية الثانية وقد أغفله التسجيل.

ب- علاقته بمازاسيليا :

فكان يسودها نوع من الإضطراب نتيجة لتوسعات سيفاكس على حساب ماسليا فمع إندلاع الحرب التي وقعت بين الجانب الماسيلي و القرطاجي عام 213ق.م إنحاز جايا إلى جانب قرطاجة بموجب ذلك الإتفاق الذي ربما أغفله التسجيل و أدلنا إليه الإستدلال النظري البحت ناهيك عن أنه كانت هناك نزاعات قد قامت بين سيفاكس و جايا حول منطقة تقع بين حدود المملكتين [89]. و شارك في هذه الحرب ماسينيسان و كان عمره آنذاك خمسا و عشرين سنة [90].

ج- علاقته بروما :

صحيح أن النصوص و الوثائق لم تذكر شيئا – لا بالتصميم و لا بالتلميح- عن نمط العلاقات ما بين جايا و روما، و ربما عزى ذلك إلى أن حليف القرطاجيين في الحرب البونيقية الثانية لا بد و أن يكون عدوا لروما التي كانت بدورها عدوا تقليديا لقرطاجيين. فماذا كانت حاله مع روما في

زمن عدائه مع قرطاجة قبيل الحرب البونيقية الثانية ؟ في الحقيقة – و بالرغم من صمت النصوص عن مثل هذا الموضوع – يمكننا أن نرجع موقف جايا من روما إلى محورين إستراتيجيين هما :

الأول : أنه- أي جايا- في نزاعه مع قرطاجة و قبيل الحرب البونيقية الثانية- كان صاحب مصلحة مباشرة تتمثل في قطعة الأرض الحدودية موضوع النزاع، و أن تحالفه مع روما- عدو قرطاجة – ما كان إلا ليسد عليه باب الضغط العسكري لإقناع قرطاجة بالإستجابة إلى مطلبه، و ربما خشي جايا من أن يجر عليه تحالفه مع روما ضد قرطاجة و بالاشد وطاة من وبال قرطاجة و هو الوبال الروماني المعروف بتسلطه على الصديق و قوته على العدو.

و الثاني : أن جايا كان يرى أن محالفة العدو و الجار أجدى من نشدانان الصداقة مع حليف بعيد، و لذا كانت معاونة جايا لقرطاجة و حسن الجوار بينهما، أنفع له من مصادقة بلد كروما يفصله عنها البحر، و المثل يقول : « أن الماء البعيد لا يطفئ حريقا قريبا».

و قد توفي جايا في مطلع عام 206 ق.م فتولى من بعده أكبر اعضاء العائلة المالكة سنا حسب التقليد أو قانون الخلافة المتعامل به عند النوميديين. و كان الذي خلفه أخاه أوزالسيس [91] Oezalces .

ثالثا – النزاع على الحكم بعد موت جايا :

كان أوزالسيس أخا لجايا و كان مسنا لم يبق في الحكم طويلا إذ توفي أيضا عام 206 ق.م بعد بضعة اشهر من موت أخيه جايا. و كان له ولدان هما كابوسة Capussa و لاكومازاس Lacumazas. و قد خلف أوزالسيس إبنه كابوسة لأنه كان أكبر أفراد العائلة المالكة سنا. لكن في نفس الفترة نهض واحد البارزين و إسمه مازاتول Mazetule. و من المحتمل أن يكون مازتول هذا من بين زعماء القبائل ذوي النزاعات الإستغلالية، ربما تكون قرطاجة قد رأت في ميوله ما يوافقها فدفعته إلى القفز على الحكم في بلاده و ذلك حتى يحجب عنها المشاكل التي يمكن أن تجيء في ركاب ماسينيسان الطموح صاحب الحق الشرعي في الحكم بعد مقتل كابوسة الحاكم الضعيف. و قد إنضمت إلى مازاتول بعض القبائل النوميدية و على إثر معركة إندلعت بين الطرفين إغتيل كابوسة و اصبح بذلك مازاتول سيدا على كل ماسيليا. و لم يحمل مازاتول لقب ملك فتركه للأمير القاصر شقيق كابوسة و هو لاكومازاس الذي لم يكن قد بلغ السن القانوني لتحمل مسؤولية الحكم. و لكسب الجانب القرطاجي تزوج مازاتول من إبنة أخ حنبعل و كانت أرملة أوزالسان. كما أرسل مفاوضين عنه إلى الملك سيفاكس [92].

و في ذلك الوقت كان ماسينيسان و الذي كان الملك من حقه لأنه أصبح أكبر أفراد العائلة الحاكمة سنا، موجودا بإسبانيا [93]. و لما علم بموت عمه و إبن عمه [94] ترك قادش و بعد مروره موريتانيا في خريف 209 ق.م [95] إستعان بملك المور باجا Baga الذي أمده بحوالي أربعة ألف فارس لعبور مملكة سيفاكس. إستطاع أن يصل إلى

ماسيليا و هنالك وجد في إنتظاره حوالي خمسمائة نوميدي. فلما عبر مازاسيليا، أمر الحراسة المورية بالرجوع مكتفيا بالخمسمائة نوميدي. و بينما كان لاكومازاس متجها لزيارة سيفاكس و بعد أن إجتاز مدينة كرتا، في ضواحي ثابسوس Thapsus[9] [6] هاجمه ماسينيسان الشيء الذي جعل لاكومازاس يلجا إلى سيفاكس. و إعتبر هذا الإنتصار مبدئيا بالنسبة لماسينيسان و كان سببا في إستقطاب كافة العناصر الريفية و القبلية التي كانت في الأصل تدين بالولاء لجايا والده.

و مرة ثانية تقابل الطرفان في معركة كبيرة كان الإنتصار فيها حليف ماسينيسان. ثم جمع مازاتول جيشا كبيرا متكون من الجيش الذي إنتصر فيه على كابوسة، و الفرق التي كانت تابعة لكابوسة و فرقا أخرى جمعها من القبائل الموالية له. كما أمده سيفاكس بفرق عسكرية و أصبح عدد جيش مازاتول يتكون من خمسة عشر ألف جندي مشاة و عشرة ألف فارس. أما ماسينيسان الذي كان عدد جيشه قليلا جدا بالنسبة لجيش مازاتول إلا أن هذا لم يحل بينه و بين النصر و يرجع سبب هذا في ما كان قد حصله من خبرة حربية خلال حروبه ضد الرومان بإسبانيا. و على إثر الهزيمة فر مازاتول و الوصي عليه لاكومازاس إلى الأراضي البونيقية و إستعاد ماسينيسان سلطته الشرعية في البلاد. لكنه أي ماسينيسان أدرك أنه قادر على خوض معارك صعبة ضد سيفاكس لو لم يتصالح مع إبن عمه، خشية أن يجد نفسه أثناء حربه مع سيفاكس محاطا من جهتين بجيش بونيقي و مازاسيلي يعاون إبن العم الفار على العودة مرة أخرى إلى البلاد. فبعث إلى إبن عمه لاكومازاسن رسلا أقنعوه أن ماسينيسان سوف يعيد له العزة و المكانة التي كان يتمتع بها أبوه أوزالساس في حياة أبيه جايا. و وعد أيضا مازاتول بنسيان الماضي و إسترجاع أملاكه له. فقبل الإثنان هذه الوعود

و رجعا إلى مواطنهما رغم مجهودات القرطاجيين و إثنائهما في ذلك. أما سيفاكس فيبدو أنه قبل الأمر الواقع في أول الأمر، لكن القرطاجيين الذيين أدركوا جيدا مميزات ماسينيسان و طموحه بانه قد أصبح خطرا يهدد كيانهم في شمال إفريقيا لذلك حاول القائد القرطاجي أزدروبعل Asdrubal إقناع سيفاكس أن ماسينيسان لن يكفي بخلافة أبيه جايا و عمه أوزالساس و أن قرطاجة و مازاسيليا أصبحتا مهددتين نتيجة لخطر ماسينيسان و يتوجب على الطرفين إبعاده قبل أن يفتك بهما.

فاقتنع سيفاكس برأي أزدروبعل و قرر الإستيلاء على الأراضي التي كان يتنازع من أجلها مع جايا [97] و إعتبرها ذريعة لإعلانه الحرب ضد ماسينيسان و قاوم ماسينيسان هذا الإحتلال، و دخل ميدان القتال، فإحتل سيفاكس كل ماسيليا و هرع ماسينيسان على إثر ذلك ميدان المعركة مع فرقة من فرسانه إلى جبل بيلوس Mons Bellus [98] و هو موقع مجهول و يذكر أنه قريب من الحدود القرطاجية و أيضا من البحر كما يقال أنه واقع في منطقة سهول يجري بها نهر كبير[99]. و يبدو من خلال هذا الوصف أنه ينطبق مع منطقة شمال غرب تونس، حيث نرى في النهر المذكور نهر المجردة أما السهول فهي إما سهول دخلة أولاد بوسالم، إما السهول الكبرى حسب وصف القدماء [100] و إما جبل بيلوس الذي نرى فيه جبال الكروميري Kroumirie [101]. كانت بعض العائلات قد لحقت مع مساكنهم المتنقلة و مع قطعانهم. و قد قام جنود ماسينيسان بغزاوات على الأراضي المجاورة خاصة الواقعة داخل البلاد البونيقية و وصلت بهم الشجاعة إلى حد بيع عنائهم على الساحل لتجار البحر و قد منيت قرطاجة بخسائر فادحة من جراء هذه الغزوات تفوق الخسائر التي تسببها الحروب المنظمة و طلب القرطاجيون من سيفاكس إخمادها و ذلك بسبب إنشغالهم في الحروب البونيقية الثانية. هذا بالإضافة

إلى وجود ذريعة أصلية بين سيفاكس و ماسينيسان. فكلف سيفاكس أحد قادته و هو بوكار Bucar بهذه المهمة و زوده باربعة ألاف جندي من المشاة و ألفين فارس. و بعد هجوم مفاجئ إستطاع بوكار أن يهزم ماسينيسان و يشتت شمل جنوده و طارده مع عدد قليل من الجنود إلى قمة جبل بالوس فظن هذا القائد أن حملته قد إنتهت فاعاد إلى سيفاكس أكبر جزء من قواته و لم يحتفظ إلا بعدد قليل حوالي خمسمائة جندي مشاة و خمسمائة فارس. و بهذا العدد إستكمل مطاردة ماسينيسان. و قد حاول أن يفلت عبر طرق وعرة غير معروفة من العدو، ليصل منها إلى منطقة السهول غير أن بوكار عرف إتجاهه و لحق به قرب مدينة كلوبيا Clupea و قتل في هذه المعركة كل جنود ماسينيسان ما عدا أربعة كما أن ماسينيسان قد أصيب هو الآخر بجراح. و ظل بوكار يلاحقهم حتى وصلوا عند نهر كبير رموا بانفسهم فيه فمات منهم إثنان غرقا و ظن بوكار أن ماسينيسان من ضمنهم. لكن ماسينيسان إستطاع مع إثنين من رجاله أن يعبرو النهر و أن يختفوا تحت عليق و لم يعبر بوكار النهر بل رجع إلى سيفاكس و أعلمه بنبا موت ماسينيسان غرقا. كما علم بذلك القرطاجيون و إنتشر الخبر الخاطئ في كل من أنحاء نوميديا.

أما ماسينيسان ظل مدة داخل مغارة يعالج جراحه بالأعشاب و ياكل ما يغنمه له زميلاه[102]. و بعد شفائه عادت فكرة إستعادته لممتلكاته تراوده من جديد فإستطاع جمع عدد من الفرسان بلغ نحو الأربعين و تقدم إلى الماسيلين و عرفهم بنفسه و من خلال بضعة أيام إستطاع أن يجمع ستة ألاف جندي مشاة و أربعة آلاف فارس فإسترجع مملكته و غزي الأراضي التابعة لحلفاء قرطاجة. كما إحتل ما بين كرتا و عنابة المرتفعات التي ظهرت له كمناطق إستراتيجية لمواجهة سيفاكس و أقام بها معسكره.

و في هذه المرة رأى سيفاكس أن الموقف قد تازم، و من الواجب الإعداد للمعركة و قيادتها بنفسه. و قسم الجيش بينه و بين إبنه فارمينا Vermina ثم أمر إبنه بشن الهجوم على ماسينيسان من الخلف، بينما يتقدم هو بالهجوم من الأمام. ذهب فارمينا ليلا مختفئا بمحاذات معسكر ماسينيسان، أما سيفاكس فقد أقام معسكره نهارا وإتجه أماما معلنا نيته بشن الهجوم. و في الوقت المحدد و حسب الخطة المرسومة و بعد أن تـاكد أن فارمينا قد وصل إلى المكان المتفق عليه، إتجه سيفاكس مع فرقة إلى المرتفعات التي يعسكر بها ماسينيسان و كانت المعركة عنيفة و دامية، و رغم شجاعة جنود ماسينيسان الذي لم يبق له حوله سوى ميئتين فارس، فقسمهم إلى فصائل ثم باشر بهم الهجوم من جديد غير أن الفصيلة الأولى قد إستسلمت، و إنهزمت الفصيلة الثانية بعد مقاومة عنيفة ثم حاصره فارمينا عن قرب لكنه أفلت منه حيث وصل إلى ساحل سرت الصغيرة مع ما تبقى له أي حوالي ستون فارس و إستقر بين مدينتين بونيقيتين واقعتين بين الساحل و البحر و بلاد الجرامانت، و من المحتمل أنه كان قد إستقر بجبل طرابلس. و بقى في هذا الموقع يترقب الفرص السانحة له لإسترداد ممتلكاته و كانت هذه الأحداث قد جرت سنة 205 ق.م [103] حتى وصول الرومان إلى أفريقيا مع إنتقال الحرب البونيقية الثانية إليها.

أ-الحرب البونيقية الثانية

بعد إنتقال مسرح أحداثها إلى أفرقيا و النزاع الماسيلي– المازاسيلي،

إن الإنتصار الذي كسبه الرومان قرب اليبا Ilipa بإسبانيا ضد قرطاجيين عام 206 ق.م، قد سلب من القرطاجيين كل ممتلكاتهم بجنوب إسبانيا بإستثناء قادش Gadès و قد شجع هذا الإنتصار سكبيو Scipion أن ينقل الحرب إلى إفريقيا و أن يبحث عن حلفاء فيها و بمشاركة القوات الماسيلية و المازاسيلية يكون الإنتصار حليفه بدون شك. فقبل أن يترك سكبيو شبه الجزيرة الإيبيرية و هي في طريق عودته الى إيطاليا، حاول أن يكسب صداقة سيفاكس، ملك نوميديا الغربية او المازاسيليا. و في مدينة تراجونة Tarragone حيث كان قائما، بعث إلى الملك المازاسيلي سيفاكس، القائد الروماني لإيليوس، لكن سيفاكس لم يكتف بمقابلة مبعوث و أعمله أنه يريد مقابلة سكبيو نفسه [104]. فلم يتردد سكبيو في مقابلة سيفاكس رغم خطر العبور [105] و بصحبة لايليوس إتجه إلى قرطاجنة، و كان ذلك خلال صيف سنة 206 ق.م، على متن سفينتين من ذوات الأشرعة الخمس (Quinque Remes) فإتجهوا نحو سيجا مقر إقامة سيفاكس و عاصمته الغربية. و في نفس الوقت الذي إقتربوا منه للميناء، رست فيه بمحض الصدفة سبعة سفن بونيقية من ذوات الأشرعة الثلاث (Tri Remes) و كان القائد القرطاجي أزدروبعل إبن جسكون مر و هو عائد من قادش بمدينة سيجا [106]. بعد رأية القرطاجيين للسفينتين الرومانيتين، إستعدوا لمهاجمتها لكن الرياح القوية التي كانت تعصف بشدة، ساعدت الرومان على سرعة الإرساء داخل المرفا قبل أي إشتباك. فاصبحوا بعد الإرصاء تحت حماية سيفاكس و لم يستطيع الأسطول القرطاجي تشتيتهم. فتقدم أزدروبعل ثم سكبيو ولايليوس إلى الملك سيفاكس. و كان هذا اللقاء لقادة أكبر عاصمتين في

الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط تشريفا كبيرا للملك سيفاكس، و حاول أن يجعل من هذا اللقاء مؤتمرا للقمة يبحثون فيه جميعا عن وسائل إنهاء الحرب، كما أنه أراد أن يجعل القائدين في نفس المرتبة حيث عزمهم على مائدة مشتركة. لكن سكبيو رفض طلب سيفاكس في حل الأزمة بين البلدين، بسبب أنه ليس بينه و بين أزدروبعل عداوة شخصية يمكن المصالحة بينهما و لا يستطيع بدون امر مجلس الشيوخ أن يدلي بمحادثة مع العدو في قضايا مدنية تخص الشعب الروماني. صرح أزدروبعل بعد أيام من هذه المقابلة أن "هذا الرجل أي سكبيو ظهر له غامضا و متحجبا في الكلام و في الحرب" [107].

عاد سكبيو إلى قرطاجنة بإسبانيا بعد عبور طال أربعة أيام بسبب الرياح المعاكسة [108]. يذكر تيتيوس ليفوس أن سكبيو قد عقد إتفاقية مع سيفاكس [109] فلم يجب عليه - أي سيفاكس - التردد أما التحالف مع روما المنتصرة في إيطاليا، صقلية و إسبانيا، أما مع قرطاجة المهزومة؟ لكن سيفاكس كان يفضل في الواقع أن لا يشترك في هذه الحرب ذات المصير الغامض، أكثر من ذلك كان يريد أن تنتهي بفضله عن طريق التفاوضات، قبل أن تنتقل إلى أفريقيا.

فلعب دور الوسيط و بما أنه لم يفلح في ذلك، فضل في الأول أن يبقى على الحياد لأن قرطاجة أيضا تعتبر أجنبية على الأراضي الأفريقية، غاصبة لها.

لكن مهما كانت الوعود التي وعد بها سكبيو فلم ينقض سيفاكس معاهدة الصداقة التي كانت بينه و بين قرطاجة [110] إذ نراه بعد بضعة أشهر من هذا اللقاء يستقبل أزدروبعل.

من جهة أخرى، فإن ماسينيسان قد تعلم في إسبانيا معرفة قيمة الفرق الرومانية و من المحتمل أيضا أنه كان مستاءا من قرطاجة التي أصبحت مستخدمة من أجل أغراض شخصية، تتنكر ميزاته العسكرية، و تخشوا طموحه، إذ يبدوا أنها لا تريد أن يصبح إبن الملك نفسه ملكا [111]. و قد قيل أن ماسينيسان أجرى مقابلة سرية مع يونيوس سيلانوس Julius Silanus بعد معركة إيليبا Ilipa، و هو القائد الذي ترك له سكبيو القيادة في جنوب إسبانيا [112].

بعد تعيين سكبيو قنصلا في أواخر عام 206 ق.م، قرر أن يحمل الحرب إلى أفريقيا. في الوقت الذي بدأ فيه ممارسة وظيفته القنصلية و هذا رغم إعتراض بعض أعضاء مجلس الشيوخ، فجعل من صقلية مركزا لإعداد الحملة التي دامت على طول عام 205 ق.م و جزءا من عام 204 ق.م. و خلال عام 205 ق.م يذكر تيتوس ليفيوس [113] أن سكبيو قد أرسل ليليوس لإجراء بعض الغزوات على الأراضي الإفريقية. و لقد جاء ماسينيسان لمقابلة القائد ليليوس مع بعض فرسانه. و لقد كان لوصول إيليوس الروماني إلى المنطقة الأفريقية و قع طيب لدى ماسينيسان ذلك لأنه فكر في إمكانية إمتطاء الغزو الروماني للمنطقة في الوصول إلى عرشه السليب كما كان- من جهة أخرى – لشخص ماسينيسان توظيف إستراتيجي عند القائد الروماني من جهتين :

الأولى : أنه يجد في شخصية ماسينيسان العسكرية عونا له على كشف عورات المنطقة و نقاط ضعفها العسكرية، مما يوفى على الجيش الغازي الكثير من الجهد و الخسارة.

و الثاني : أنه يمكن للغازي الروماني أن يخفي قسوة أطماعه في المنطقة إذا هو توارى فيها خلف أهداف شخصية وطنية من أسرة حاكمة

قهرت على أمرها لكنها لا تزال تسعى بالجهد كله من أجل رفع الغبن و إسترداد الحق و خير للقائد الروماني أن تاخذ حملته على المنطقة صورة المعين على إسترداد الحق من أن تكون صورته صورة الغاصب للحق في المنطقة.

لذا نجد أن الأرض كانت مهددة تماما أمام حدوث تحالف بين سكبيو و ماسينيسان.

و في ربيع 204 ق.م بعث سيفاكس إلى القنصل سكبيو الموجود في صقلية بسراكوزن يعلنه عن عزمه محالفة القرطاجيين فيما لو إمتدت الحرب إلى أفريقيا [114]. لكن سكبيو أخفا النبا على جيشه و أعلمهم أن هؤلاء النواب بعثهم سيفاكس للتسرع في عملية إعداد الحملة لرفع معنويات جيشه.

و بعد الإنتهاء من عملية التحظير إتجه خلال صيف 204 ق.م إلى أفريقيا حيث قدم لنا تيتيوس ليفيوس تفاصيل العبور [115]. قد رسي الأسطول الحربي بعد مقاومة الرياح و العواصف في المكان المعروف أو برأس أبولون Appolon حسب قول ديو كاسيوس Cassius [116] و هذا ما يعرف حاليا برأس سيدي علي المكي أو رأس الطوفة [117] و يحده من الشمال الغربي خليج تونس الذي ينتهي برأس أدار Adar أو رأس الصالح [118] من الشمال الشرقي.

و بعد إقامة المعسكر إحتلوا قرية و هي من المحتمل العالية [119] El Alia و وضعوا حولها حصارا إحتجزوا فيه عدد كبير من السكان كما سطوا على أسلاب و غنائم حملوها إلى سفنهم و إتجهوا بها إلى صقلية [120]. و بعد أيام إتجهوا إلى أوتيكا Utique لمحاصرتها [121].

علم ماسينيسان بوجود سكبيو في أفريقيا و قابله مائتين فارس حسب البعض و ألفين فارس حسب البعض الآخر[122]. و نجهل تماما كيف ترك طرابلس و كيف جند هذا الجيش و حتى كيف لحق بسكبيو[123]. كان سيفاكس قد أقام معسكراته خارج العاصمة البونيقية و من المحتمل أن يكون موقع هذا المعسكر قرب نهر المجردة[124].

و في اليوم الثاني من وصول الرومان، إصطدم خمسمائة فارس بقيادة حانون القرطاجي مع الجيش الروماني، فتقهقر الجيش القرطاجي بعد أن قضى على عدد كبير من أفراده بما فيهم قائدهم حانون[125]. فتمكن سكبيو من إحتلال قرية صلائكا Salaeca و ترك فيها حامية[126] كما هاجموا بلدات أخرى[127] و رجعوا إلى معسكراهم بعد أسبوع بغنائم كبيرة و ما حدث في الغنائم الولى على "العالية" ارسلت إلى صقلية للبرهنة و التدليل على نجاح المعركة.[128]

كان سكبيو يكرس كل جهوده من اجل إحتلال أوتيكا لقضاء الشتاء بها، فحوصرت بريا و بحريا و تمركزت قوات الجيش البري في المرتفعات القريبة من أسوار المدينة[129].

لكن بعد أربعين يوم من الحصار و بعد عدة هجمات باءت بالفشل، تخلى سكبيو عن أتيكا[130] عندما رأى نفسه مهددا من طرف أزدروبعل و سيفاكس الذي كان قد إقترب من أوتيكا بجيشين عظيمين[131]. و بدأ الخريف في أواخره[132]، إذ يجب إختيار مكان ساحلي تسهل حمايته و لا يخشى عليه من الحصار. فإحتلى سكبيو المنطقة التي تقع بالقرب من المكان المعروف حاليا بقلعة الأندلس. و كان مركز معسكر المشاة قاعدته بالرأس البحري. و في الشمال من الناحية الغربية للسان البحر مقابل أوتيكا حيث يوجد إنحدار أشد صلابة[133]،

نزل كل الجنود على الشاطئ و عملوا على إقامة تحصينات لحماية المعسكر البحري. و في الجنوب و بعد معسكر المشاة أقيم معسكر الفرسان [134].

اما سيفاكس و ازدروبعل فقد أقاموا معسكراتهما الشتوية على بعد حوالي إحدى عشرة كيلومترا من معسكر سكبيو [135].

و على بعد ألف و ثمانمائة مترا تفصل بين معسكر سيفاكس و معسكر أزدروبعل [136]. و من المحتمل أن هذه المعسكرات كانت في الواد الأسفل لنهر المجردة حيث الإتصالات سهلة مع مدينة قرطاجة و ممتلكات سيفاكس، و كان معسكر أزدروبعل يجمع حوالي ثلاثين جندي مشاة و ثلاثة ألف فارس [137] و عدد من الفيلة [138]. أما سيفاكس فقد أتى بحوالي خمسين ألف جندي مشاة و عشرة ألف فارس [139]. و لم ينجح سكبيو في الحملة الأولى إلا من إحتلال منطقة قلعة الأندلس التي شيد فيها معسكره و تحصيناته، و كان محاصرا من طرف الجيشين و يخشى عليه من قيام أسطول ترسله قرطاجة لقفل طريق البحر أمامه حيث كانت تاتيه الإمدادات من صقلية، سردينيا، إيطاليا و إسبانيا [140].

أما على صعيد الإتصالات السياسية بين المتحاربين فقد جرت خلال الشتاء محدثات بين سيفاكس و سكبيو بطلب من سكبيو الذي فضل التحاور مع سيفاكس [141] و الذي كان قد لبى رغبته في السابق في إجراء مفوضات بين الرومان و القرطاجيين. و كان من رأيه أن يتخلى القرطاجيون عن إيطاليا و الرومان عن أفريقيا و هذه من شروط السلام التي كان دائما يرددها إلى سكبيو [142]. فاراد سكبيو أن يجعل من هذه المحادثات خطة فكر من خلالها في تسهيلات لتحقيق أهدافه. فعلم من طرف الوفد الذي أرسله لإجراء المحادثات أنهم شيدوا معسكراتهم

الشتوية من أكواخ خشبية من غصون و جدوع و من البوص. فقرر الهجوم المفاجئ و إحراق المعسكرين البونيقي و النوميدي [143]. و لكسب معلومات أدق كان يرسل خلال المحادثات مع سيفاكس رجالا متنكرين في زي عبيد ليدرسوا أماكن الدخول إلى المعسكرين. [144]

و مع إقتراب الربيع بدأ يجهز للهجوم. فبعث إلى سيفاكس قنصلية يعلمه فيها أنه إذا قبل الشروط المطروحة عليه يجب على قرطاجة أن تفعل كذلك، فظن سيفاكس أن سكبيو يريد عقد إتفاقية، فارسل لإخبار أزدروبعل بهذا النبا عزمه على إنهاء الحرب حيث وافقوا على عقد إتفاقية و أخبر القنصلية بذلك. لكن بعد بضعة ساعات أتته قنصلية أخرى تعلنه أن سكبيو يتمنى دائما السلام لكنه تراجع في رأيه عن مشروع الإتفاقية [145].

و بعد عقد إجتماع مع الجواسيس لدراسة تقاريرهم و بمساعدة اراء ماسينيسان الذي يعرف الأماكن خرج بخطة شاملة للهجوم و قرر بامر من القائد ليليوس و ماسينيسان الهجوم على معسكر سيفاكس، اما هو و ما تبقى من الجند فقد إتجه إلى معسكر أزدروبعل. و بعد الحريق المفاجئ للمعسكرين، إستطاع أزدروبعل أن يلجا إلى أقرب مدينة و هي أندا Anada [146] المحصنة. إلا أن سكبيو قد لاحقه بها. قد إستطاع أزدروبعل النجاة مرة أخرى متجها نحو قرطاجة، و أسفر ذلك في وقوع مدينة أندا في أيدي الرومانن كما نهبوا و سلبوا قريتين مجاورتين لها [147]. و في طريق عود سكبيو إلى معسكره في قلعة الأندلس، حاصر و إحتل مدينة أوتيكا [148].

أما سيفاكس فقد لجا إلى مدينة آبا [149] Abba المحصنة الموجودة على بعد حوالي ثمانية أميال من ميدنة أندا [150]. لكنه لم يلبث فيها طويلا و قرر العودة إلى ممتلكته [151].

و بعد مناقشة لمجلس الشيوخ القرطاجي حول موضوع الحرب و الهزيمة و بعد خلافات في الأراء إتفقوا في الأخير على مواصلة الحرب [152].

فارسلوا قناصل إلى سيفاكس راجين منه مواصلة العزم على الحرب

و بعد ثلاثين يوم [153] من حادث الحريق تم جمع جيش يتالف من ثلاثين ألف جندي من البونيقيين و النوميديين و الكلتيين [154] في السهول الكبرى [155]، أو دخلة أولاد بوسالم (منطقة سوق الأربعاء و سوق الخميس، و التي تبعد بخمسة و ثلاثين ميلا من قرطاجة).

أما سكبيو فبعد إعطاء الإرشادات و التعليمات اللازمة للأسطول الحربي و للفرق البرية التي تركها في أوتيكا، خرج مع باقي قواته حيث وصل في اليوم الخامس من السهول الكبرى، و أقام معسكره فوق دبوة على بعد أكثر من خمسة كيلومتر (ثلاثين ستاداس Stades) من المعسكرات القرطاجية و النوميدية، و في اليوم الثاني غير موقع معسكره حيث أقامه على بعد سبعة ستاداس [156] من المعسكرين للعدو. دامت خلال يومين مناوشات بسيطة لكن يبقى الجيشان في مواقعهم. فحسب التقليد المعمول به عند الرومان في تنظيم الجيش الإستعداد إلى الحرب قسم سكبيو الجند المشاة إلى ثلاث صفوف، وضع الصف الأول رماة الحراب Hastati ثم يليهم المجاميع الرئيسة Principes و أخيرا قادة المجاميع الثلاثية Triari و الجناح الأيمن مكونا من الفرسان الإيطاليين و الأيسر الفرسان النوميديين.

أما سيفاكس و أزدروبعل فقدِ كونوا وسطهم من الجند المرتزقة الإسبان Celtiberes، و الجنحين الأيسر من النوميديين و الأيمن من القرطاجيين.

في هذه المعركة قد إنتصر الرومان و تقهقر الجيشان النوميديين و القرطاجيين حيث إتجه سيفاكس إلى مملكته و أزدروبعل إلى قرطاجة [157].

و بعد أن عقد سكبيو مجلسا حربيا قرر تقسيم القوات، فامر ماسينيسان و لايليوس بمطاردة سيفاكس أما هو فقرر إحتلال، نهب و سلب القرى الموجودة في المنطقة لجمع الغنائم. حيث إستسلم البعض منها بسبب ما فرضته عليهم قرطاجة من ضرائب ثقيلة و عدد من الإعتداءات منذ بداية الحرب[158]. فقرر إحتلال تونس و أراد بذلك أن ينشر بين القرطاجيين الرعب و الخوف بعد إستقراره على أبواب قرطاجة نفسها[159].

إتجه لايليوس و ماسينيسان نحو الغرب لملاحقة سيفاكس و بعد حوالي خمسة عشر يوما دخلوا نوميديا[160] و إستقبل ماسينيسان من طرف شعبه إذ طردوا الحكام و الحاميات العسكرية التي اقامها سيفاكس في المدن الماسيلية. وقعت شرقي مدينة كرتا معركة بين سيفاكس و ماسينيسان ألقي فيها ماسينيسان القبض على سيفاكس بعد أن سقط من فوق جواده جريحا و كان ذلك في عام 203ق.م (من الشهر السابع) حسب التقويم الروماني[161]. و كانت هذه المعركة التي لم يستخدم فيها المازاسوايون إلا الفرسان نتج عنها خمسة ألف قتيل، و قد فر إلى كرتا حوالي ألفين و خمسمائة جندي نوميدي من معسكر سيفاكس عندما علموا بنبا إلقاء القبض على قائدهم[162].

و من أجل إسترداد مدينة كرتا، لجا ماسينيسان في البداية إلى الطريق السلمي، لكن أعيان المدينة لم يقبلوا الإستسلام لعدم علمهم بوقوع ملكهم في الأسر و لم يفتحوا أبواب المدينة إلا بعد أن راو باعينهم سيفاكس مقبوضا عليه[163]. فإتجه ماسينيسان نحو قصره و كانت سوفونيزب واقفة عند باب القصر فطلبت منه أن لا يسلمها إلى الرومان فوعدها بذلك و أنه يتوجب عليه الزواج منها لكي تفلت من يد العدو. ثم جرت مراسيم الزواج عندما كان القائد الروماني داخلا كرتا و لم يخفي إستيائه لهذا الحدث حيث كان قد قدم لتسليمها و زوجها

السابق سيفاكس و ما تبقى من السجناء إلى القائد سكبيو[164]. لكنه بعد توسل ماسينيسان له ترك أمر القرار للقنصل ببليوس سكبيو و اتجه ماسينيسان و لايليوس معا إلى سكبيو[165] الذي مدحه أمام الجمهور ثم دعاه إلى مقابلة سرية لامه فيها بشدة على زواجه من الأميرة القرطاجية. و بموجب هذه المقابلة تخلص من زوجته بدس السم القاتل لها[166]. و في الحقيقة كانت هذه النهاية بمثابة تقوية دعائم المودة بينه و بين الرومان إذ أن سياسته الجديدة قد أثبتت على الدخول في مقايضة مع الرومان، يعطيهم فيها الولاء في مقابل أن يعطوه حق التوسع في المنطقة.

و قد إتجه ماسينيسان أولا إلى الزوجة القرطاجية بدس السم لها ليحقق بموتها هدما لجسر النسب الذي يملى عليه الحفاظ على القرابة و الإنتصار لهما. و قد ذهبت التفسيرات التاريخية المذكورة أنفا أن سكبيو القنصل الروماني، قد أوعز إلى ماسينيسان بالتخلص من هذه القرطاجية حتى لا تكون عامل تاثير عليه يهبط من نشاطه العدواني تجاه قرطاجة.

لكن لا أرى في هذا التفسير ما يستقيم تماما مع ما هو معروف عن شخصية ماسينيسان غير العاطفية و مع إتجاهه دائما لسحق العاطفة لحساب الطموح، و لذا فإنه لو كانت المسالة مجرد خوف من هذه القرطاجية أن تكون عينا أو أن تكون مؤثرا على طموحه، فكان يكفي أن يردها إلى أهلها أو أن يحتفظ بها في قصره بعيدا عن نفسه و عن الأحداث لكنه إختار التآمر على حياتها، لما في هذا الإختيار من دلالة تمهيدية للعدوان، إذ أن الشريعة الإجتماعية للقوم كانت تعتبر الزوج مسؤولا عن سلامة الزوجة، فإن أصابها عنده سوء عن عمد منه كان في ذلك ما يعني أنه تخلى على عهود قومها، و لذا كان قتل ماسينسيان

لزوجته القرطاجية وسيلة أو قل ذريعة، التي إستعان بها على تمهيد مجالات النزاع ثم الصراع بينه و بين القرطاجيين من جديد.

و في اليوم الثاني بعد مقتل ماسينيسان زوجته، جمع سكبيو كل قواته و منحه أمامهم لأول مرة لقب ملك[167] Rex.

و قد ذهب لايليوس إلى روما لتسليم سيفاكس و بعض رؤساء القبائل النوميدية إلى مجلس الشيوخ الروماني[168]. و في نفس الوقت أوفد قناصل إلى مجلس الشيوخ الروماني يطالب فيه حقه في إسترجاع أملاك أسلافه[169].

و أما سيفاكس فقد سجن في Alba Flucens[170] ثم فيما بعد في تيبور Tibur[171] حيث توفي هناك[172].

و هكذا نجد أن ماسينيسان بمساعدة من الرومان قد إسترد ممتلكاته في المنطقة، بل وراح يتوسع في ممتلكات سيفاكس الذي سجن هو و إبنه في روما فيذكر بوليبيوس أن ماسينيسان قد إستطاع أن يضم ما بين عامي 203 ق. م، 202 ق.م كل أملاك سيفاكس[173]، غير أن تيتوس ليفيوس[174] يذكر أنه إحتل فقط المناطق الغنية من مازاسيلية حيث نلاحظ ظهور الأمير قارمينا إبن سيفاكس مرة أخرى يحارب القرطاجيين في أواخر عام 202 ق.م بعد معركة زاما[175].

و يبدوا أن قرمينا إبن سيفاكس قد إستوعب الدرس من ماسينيسان، فاراد أن يلعب مع الرومان نفس لعبة ماسينيسان معهم، كما أن الرومان قد حبذوا أن يكون لهم في المنطقة رجلان حليفان، و لذا نجد قرمينا يتحرر من سجنه و يتبادل مع الرومان مشاورات عن طريق سيفارات متبادلة[176]، و قد أسفر هذا كله عن إعادة تكوين ملكه، ثم مباشرته الحرب ضد قرطاجة- حليف والده القديم- متحالفا

في هذه الحرب مع الرومان. كما يذكر أيضا تيتوس ليقيوس أن حفيدا لسيفاكس إسمه أركوبارزانArcobarzane [177] و قد قاد جيشا كبيرا خلال الحرب البونيقية الثالثة محالفا للقرطاجيين و هذا لا يعني وجود مملكة مازاسيلية في سنة 152ق.م [178] و بهذا يمكن القول أن قارمينا حكم مدة قليلة بعد أبيه في جزء ضيق من ممتلكاته بعد نزوحه جنوبا في المناطق المتاخمة لقبائل الجدالة.

حاول ماسينيسان مباشرة إسترداد ممتلكاته منذ عام 203 ق.م، حيث إكتفى في أول الأمر بإسترجاع كرتا و هي الموطن الأم للملكة الماسيلية ثم في 201 بدأ تدريجيا في إحتلال مازاسيليا و إحتل جزءا من نوميديا الوسطى و من الملاحظ أن ماسينيسان قد إحتفظ بصداقة الملك الموري باجاVaga [179] . حاول بدءا من 200 ق.م الحصول على حماية من الرومان، و الذي نتج عنه تبادل سفراء بين الطرفين. و في حوالي 152 ق.م أصبح ماسينيسان سيدا على كل نوميديا لكن بوليبيوس الذي عرفه شخصيا يذكر أن الإحتلال النهائي الذي بدأ ما بين 203 و 202 ق.م. لم ينته إلا بعد سنوات من هذا التاريخ أي 152 ق.م.

رابعا : الملك ماسينيسان :

أ- إسمه :

إختلف المؤرخون في كتابة إسم الملك الماسيلي ماسينيسانو يمكن نقل إسم ماسينيسان من الليبية إلى الحروف اللاتينية كما يلي :

(MSNSN) و إلى العربية تحت الشكل التالي : «مسنسن».
و نلاحظ أن الكتابة الأصلية الليبية أعطت للمقطع اللفظي الثاني «س» و الأخير«سن» نفس الحروف الصافرة «س»، كما نلاحظ ذلك أيضا في النقل البونيقي، فنفس الحروف الصافرة وجدت بالمقطعين اللفظيين الثاني و الأخير و نظرا للكتابة الأصلية الليبية لإسم ماسينيسان، نقلها إلى الحروف اللاتينية المناسبة إلى الحروف الليبية عددا من المستشريقين[180] كما يلي: Massinissa و أتبعهم في هذا المنوال المؤرخ كامبس[181]. و أني بدوري ألتزم في كتابتي للأسماء يإتباع نطقها في الكتابة الليبية القديمة، حيث يمكن نقله إلى العربية: ماسينيسان[182].

أما فيما يتعلق بمعنى كلمة ماسينيسان فقد حاول مارسيي[183] تفسيره بعد تقسيمه إلى مقطعين هما : «ماس» و «إناس» ثم ترجم المقطع الأول ليعني باللهجة البربرية الحالية : «سيد»، بينما المقطع الثاني يعني في نفس اللهجة: الأناسية أو القوم و بهذا يصبح المعنى الإجمالي للإسم بمقطعية معا «سيد القوم»[184].

ب- حياته و شخصيته :

ثمة إختلاف غير جوهري بين المؤرخين حول تحديد سنة ميلاد ماسينيسان، فحسب رواية بوليبيوس [185] يكون ماسينيسان قد وافته منيته و قد بلغ سنه التسعين و كان ذلك في أوائل عام 148 ق. م و بذلك تكون سنة ميلاده هي 238 ق.م و قد ذهب إلى مثل ذلك كل من وديودور الصقلي [186]، أبيان [187] و قاليروس ماكسيموس [188].

بينما ذهب كل من تيتوس ليفيوس [189] و سيسيرون [190] إلى القول بان ماسينيسان قد طال عمره إلى سن التسعين فمات عندها و كان ذلك في غضون عام 150 ق.م و على ذلك تكون سنة ميلاده هي 240 ق.م غير أن رواية ليفيوس في هذا الصدد لا تخلو من تناقض ، فقد ذكرى في البداية أن ماسينيسان قد بلغ التسعين من عمره عام 150 ق.م، لكن عاد بعد ذلك فذكر رواية أنكيوس [191] يرى فيها أن ماسينيسان بلغ التسعين عام 148 ق.م. و في هذه الحالة تتفق توارخه مع تواريخ الآخرين بإستثناء شيشرون، غير أنه في صدد عرضه لأفعال و أعمال ماسينيسان يذكر ليفيوس [192] أنه في عام 213 ق.م قاد جيشا و كانت سنة آنذاك سبعة عشر عاما، و هذا يعني أن تاريخ ميلاده يعود إلى عام 230 ق.م و هو تاريخ لم تردد ذكره عند مؤرخ آخر سواه.

و هكذا نجد أنه ثم إتفاق حول مدة حياة ماسينيسان لدى جميع المؤرخين و هي تسعون عاما، غير أن البعض -كما ذكرنا- يبدأ تعداد هذه المدة منذ عام 238 ق.م فتنتهي عام 148 ق.م و البعض الآخر يبدأ تعداد هذه المدة منذ عام 240 ق. م فتنتهي عند عام 150 ق.م، أما ليفيوس فإنه مع الخلط و التناقض و عدم الإستقرار على رأي هذه المسالة- ياتي برقم جديد تماما و هو عام 230 ق.م كتاريخ للميلاد في الوقت الذي يترك فيه تاريخ الوفاة بلا تحديد.

و على كل فإننا في مجال التحديد الزمني للتواريخ سناخذ باقوال بوليبيوس و ذلك لقرب الزمن أو لمعاصرته لشخص ماسينيسان، أما في مجال التحليل التاريخي للأحداث سنترك الأخذ المسلم به عن بوليبيوس و ذلك لشبهة تحيزه للرومان مما قد يؤثر على نظرته الموضوعية للأحداث، بينما سنفضل عليه في هذا الصدد ليفيوس و ذلك لموضوعيته و حياده.

و الحقيقة أن المؤرخين لا يذكروا أمورا تفصيلية عن السنوات الأولى الباكرة في حياة ماسينيسان، و يرجع ذلك إلى أن مؤرخي هذه الفترة لم يكونوا يفهمون التاريخ إلا بصفة تسجيلا للوقائع السياسية و العسكرية فقط، و لذلك سنجد أن البدايات الأولى للوقوف عند تفاصيل من حياة ماسينيسان هي تلك التي تسجل له كقائد للجيوش عام 213 ق.م و قد بلغ من السن آنذاك نحو الخامسة و العشرين- بحسب البعض- أو السابعة و العشرين بحسب البعض الآخر. و كل ما نعرفه عنه قبل ذلك هو أنه في سن الصبا أوفذه به والده جايا إلى قرطاجة لينهل من علمها الذي شاعت فيه المؤثرات الكلاسيكية و الهلانستية على السواء إلى جانب عناصر الحضارة القرطاجية البونيقية.

و أول أحداث التاريخ المدون عن ماسينيسان هو ذلك الذي يذكره تيتوس ليڤيوس من أنه كانت ثمة منازعات حدودية كثيرة بين جايا و سيفاكس، تمكن سيفاكس في أحداها- مع أغفال ليفيوس لذكر تاريخ هذه الواقعة- من إنتزاع قطعة أرض تقع بين حدود المملكتين- الماسيلية و المازاسيلية- و هي أرض كان جايا قد إنتزعها في السابق من القرطاجيين، و بذلك يكون جايا قد صدر إلى سيفاكس عنصرا من عناصر العداء مع القرطاجيين- ممثلا في قطعة الأرض هذه- و أعطى ذلك لجايا فرصة إغتنامها لكي ينضم إلى القرطاجيين ضد سيفاكس، و أن ماسينيسان-

الذي كان عمره خمسة و عشرون سنة في عام هذه الأحداث و هو عام 213 ق.م قد شارك في هذه الحرب كامير للجيش الماسيلي، و هذه الحرب لم تفسر عن نتيجة حاسمة في المجال العسكري، لكنها أدت بضغوطها و تحالفها إلى عقد معاهدة سلام بين سيفاكس و القرطاجيين عام 212ق.م. [193]

و قد أدى إحلال السلام المؤقت المازاسيلي القرطاجي إلى تفرغ الجهود للعمل المشترك بين الماسيليين و القرطاجيين ضد عدو قرطاجة التقليدي و هو الرومان، و قد إصطحب القرطاجيون في مواجهتهم للرومان- هذه المرة- حليفهم الماسلي، ذلك لأن جايا تحالف بجيوش من عنده مع القرطاجيين في حربهم للرومان في إسبانيا، و قد قاد ماسينيسان الجيوش الماسيلية ودعاه ذلك إلى المكوث طويلا في إسبانيا و ذلك منذ عام 212 أو 211 ق.م [194] إلى خريف عام 206 ق.م حيث كان ياتي من حين لآخر إلى نوميديا [195] بغرض جمع الفيالق و العتاد أو المشورة السياسية أو العسكرية أو لغيرها من الأسباب التي تمليها متغيرات الأحداث، و قد إستطاع ماسينيسان بقيادته لجيشه أن يؤدي الكثير من الخدمات للحلفاء النوميديين، و لما كانت هذه الأحداث هي أول معترك للقاء عدائي بين ماسينيسان و الرومان فقد ذهب تيتوس ليفيوس إلى وصفه- و هو بصدد سرده و تعلقه على أحداث هذه الفترة- بانه "العدو الجديد" Novus Hostis أي أنه وجه جديد في صفوف أعداء الرومان [196].

و لما أوفي عام 206ق.م على الإنتهاء بلغ ماسينيسان نبا وفاة أبيه جايا فحمله ذلك على العودة من إسبانيا ليرى ماذا سيكون عليه وضعه في وطنه، فوجد أنه بحكم الشرائع المنظمة لإنتقال الملك في البلاد، أن العرش قد آل إلى عمه أوزالسيس الذي كان أكبر أفراد الأسرة سنا، إلا أن الوفاة قد عاجلت هذا العم بعد شهور قلائل من توليته،

فآل الحكم إلى كابوسة – إبن أوزالسيس الأكبر- إلا أنه سرعان ما ظهر في البلاد متمرد هو مازاتول، راح ينادي بحق قديم لأسرته في العرش، منتهزا في دعاواته هذه أمرين :

الأول : ضعف نفوذ و شخصية الحاكم الجديد كابوسا.

و الثاني : تاثر وصول ماسينيسان- القائد العسكري المحنك- إلى البلاد.

فإستطاع مازاتول يطيح بكابوسة و أن ينصب الأخ الأصغر لكابوسة و هو لاكومازاس Lacumazes على عرش البلاد و لكن تحت وصيته هو، و قد لقي هذا كله إستحسانا من القرطاجيين الذين فضلوا أن يكون إلى جوارهم في المنطقة حليفا أقل طموحا و أكثر ملاينة لهم مما عليه حال ماسينيسان، بحيث كان هذا الأخير- حين عودته من إسبانيا – أن يبدأ نضاله في سبيل إستعادة ملكه في جو لم يعد فيه أثر لصداقة قديمة مع القرطاجيين.

و يبدو أن ماسينيسان قد تحسب لأزمة العلاقات المقبلة مع القرطاجيين، فاتجه إلى صف الرومان.

و ثمة إختلاف بين المؤرخين حول أسباب تغيير سياسة ماسينيسان إزاء القرطاجيين، فبحسب أبيان [197] و ديو كاسيوس [198]، يكون أزدروبعل إبن جسكون قد وعد ماسينيسان بزواجه من إبنته سوفونيسب التي زوجها أبوه- جسكون- من غير علمه بسيفاكس حسب ديوكاسيوس. و أما أبيان فيذكر أن مجلس الشيوخ القرطاجي هو الذي قرر زواجها – أي سوفونيسب من سيفاكس بدون علم أبيها أزدروبعل. و كان هذا الزواج قد ضمن للقرطاجيين محالفة الملك المازاسيلي لهم ضد الرومان و في نفس الوقت كان هنا الزواج إهانة لماسينيسان الذي

إنتقم من القرطاجيين بتغير سياسته و محالفته مع الرومان. لكن هذا الحدث به نوع من التناقض لأن تيتوس ليفيوس الذي يذكر بوضوح أنه لم يعرف الأسباب التي أدت ماسينيسان بتغير سياسته [199]، قد جعل زواج سوفونيسب من سيفاكس بعد زيارة سكبيو و أزدروبعل مدينة سيجا [200] (206 ق.م) و هو تاريخ يتفق معه فيه أبيان نفسه [201]. و كان قبل هذا التاريخ قد أبرم ماسينيسان إتفاقا سريا مع القائد الروماني جوليوس سيلانوسJulius Silanus [202]، يعده الأول بالمحالفة و يعده الثاني بالعون على إسترداد الملك.

أما ديو كاسيبوس [203] مرة ثانية يعطي سببا آخر في جعل ماسينيسان يغير سياسته و هو أنه بعد وفاة جايا، قد ساعد أزدروبعل سيفاكس في الإستيلاء على المملكة الماسيلية [204]، و لكن و بحسب رواية تيتوس ليفيوس لم يتمكن سيفاكس من إحتلال أملاك جايا إلا في تاريخ متاخر.

و من المحتمل أيضا أن ماسينيسان كان مستاء من قرطاجة التي أصبحت تستخدمه من أجل أغراضها، تتنكر ميزاته كما أنها أدركت طموحاته و كان ماسينيسان يعلم أن سكبيو يريد مقابلته حيث يروي تيتوس ليفيوس [205] أن أحد أحفاذ جايا و هو ماسيفا Massiva الذي قد إصطحب عمه في رحلته إلى أروربا، كان ضمن أسرى الحرب الذين قد ألقي الرومان القبض عليهم و سرعان ما أطلق صراحه القائد الروماني [206]، و من المحتمل أن يكون ماسيفا هو الذي أوصل نبا رغبة سكبيو في التحالف مع ماسينيسان، و بعد لقاء ماسينيسان بالقائد سيلانوس في ربيع عام 206 ق.م عاد ماسينيسان إلى أفريقيا مكث هناك ثم رجع إلى قادش و من المحتمل أنه عاد إلى أفريقيا ليهنئ عمه بتنصيبه على ملك ماسيليا أو أن القرطاجيين قد كلفوه بجمع الفيالق

العسكرية في نوميديا. كما يشير أبيان [207] بدوره إلى زيارة ماسينيسان في أفريقيا قبل محادثته مع سكبيو. و لم تسفر محادثة سيلانوس-ماسينيسان على نتيجة لأن ماسينيسان كان يريد هو الآخر مقابلة سكبيو نفسه و أعلم الضابط لوكيوس ماركيوس L. Marcius الذي كان يرافق سيلانوس. و قد جرت مقابلة ماسينيسان و سكبيو على أرض القارة الأفريقية. هذا بعد أن وجد ماسينيسان ذريعة إستطاع بها أن يعبر القارة و هي عدم وجود مراعي كافية لخيوله بجزيرة قادش، فاخذ إذن من القائد القرطاجي ماجو Magon [208] لعبور القارة و القيام بغزوات لجمع المؤن. و لم يشهد المقابلة إلا بعض رجال الحرس و ماسينيسان و إستجاب لطلب الرومان في مساعدته لهم لو إنتقلت الحرب إلى أفريقيا. و رجع سكبيو إلى تراجون. أما ماسينيسان فقد سلب و نهب القرى و الأرياف المجاورة ليبرهن على نجاح الحملة التي كلف بها و عاد إلى قادش [209]. لكنه لم يمكث قليلا و عاد في خريف عام 206 ق.م إلى بلاد الماسيل بعد علمه الأخبار التي تدور في بلاده.

و قد باشر ماسينيسان حربا ضد مازاتول أمكنه فيها أن يهزمه و يضطره إلى الفرار إلى قرطاجة، ثم مالبث ماسينيسان أن إستدعاه ليهادن إبن عمه لاكومازيس و ذلك حتى لا تتعدد في مواجهة جبهات القتال.

غير أن القرطاجيين لم يجدوا بدأ من العمل السافر في مواجهة ماسينيسان، فايدوا سيفاكس في أعمال حربية أمكنته من أن يمد نفوذه على معظم أراضي ماسيليا، و ليجد ماسينيسان نفسه و قد أخطر لعدد من التقهقرات التي طرحت به خارج بلاده مطاردا دون أن يثنيه ذلك كله عن عزمه الأكيد على العودة.

و قد إستفاد ماسينيسان- في هذه الفترة- من أمرين ساعداه لإستعادة ملكه و قهر أعدائه من القرطاجيين و المازاسيليين :

الأول : و هو وصول سكبيو لمنصب القنصل عام 202 ق.م في روما و رغبته تجديد حملة على أفريقيا.

و الثاني : هو وصول أسطول روماني إلى خليج سرت لمباشرة مناوشات في المنطقة و كان ذلك في عام 204 ق.م.

و قد وجد الرومان في شخص ماسينيسان عاملا مساعدا و مسهلا لمهامهم في المنطقة، فامدوه بالعون و أمدهم هو بالولاء، و تتابعت الأحداث على نحو أفضى إلى إنتصار ماسينيسان على القرطاجيين و حليفهم سيفاكس، بل وصل الأمر إلى حد مساعدة ماسينيسان للرومان على الإيقاع بسيفاكس و إبنه قرمينا في الأسر الروماني. و قد توفي سيفاكس في الأسر عام 200 ق.م. كما قطع ماسينيسان كل وشائج المودة التي كانت تربطه بالقرطاجيين، فقتل القرطاجية سوفونيزب.

ج- أعماله :

أول عمل قام به ماسينيسان بعد عودته هو توحيد نوميديا، فرأينا فيما سبق أنه ما بين 203 و 202 ق.م قد إحتل كل شمال مازاسيليا حتى نهر ملوية [210]. و بقي قرمينا جنوب مملكته على حدود جاتوليا حتى عام 200 ق.م، حيث أرسل في هذه السنة سفراء إلى روما التي إستجابت له بإتفاقية هدنة كانت الشروط فيها قاسية بالنسبة لقرمينا [211].

أما فيما يتعلق بإسترداد أملاك أسلاف ماسينيسان من الناحية الشرقية التي أحتلها القرطاجيون، فكان هذا التوسع ذا أهمية تاريخية لأنه نتج عنه الحرب البونيقية الثالثة و إستطان الرومان في أراضي أفريقيا. و قد إعتمد ماسينيسان في هذا التوسع الشرقي على حقه الشرعي في إسترداد أملاك أسلافه الذي كان يطالب به منذ أن دخل كرتا [212]. و كان القنصل سكبيو قد إعترف بهدا الحق و قرطاجة أيضا ضمن شروطهما في هدنة إنهاء الحرب لسنة 201 ق.م حيث يقول البند الأول منها: «أن تتنازل قرطاجة عن جميع ممتلكاتها ما عدا مدينة قرطاجة ذاتها و إقليمها و الحدود التي رسموها قبل الحرب». أما البند الخامس فيقول: «أن ترد قرطاجة إلى ماسينيسان كل الممتلكات التي كانت في حوزته و حوزة أسلافه.» [213]

و هذا النص قد أتاح لماسينيسان الحق الشرعي في إسترجاع أملاك أجداده و خلق المناسبة لتدخل روما و تنفيذ مآربها فيما بعد، و هي الشروط التي قد أسماها سوماني Saumagne «بلأسباب الشرعية للحروب البونيقية الثالثة» [214].

و كان ماسينيسان قد رفض الإحتلال القرطاجي حيث لم يطالب فقط بالأراضي المحتلة خلال الحرب و كان يرى أن كل ما إمتلكته قرطاجة كان بالقوة، و أن وجودها بارض نوميديا غير شرعي حيث لم يكن لها حدودا شرعية Proprius Ager و تارة أخرى إستعمل الأسلوب الدبلوماس إذ أسند حججه وفقا لمادة في القانون الروماني ظهرت لأول مرة و هي حق الممتلكات Jus Possessionis و أسباب الممتلكات Causa Possessionis.

و قد تمادى ماسينيسان في المطالبة بحقوقه في ضم الأراضي الشرقية و السبب يرجع إلى إعادة أملاك سيفاكس و القضاء على قرمينا و أيضا إعادة الأمن و الإستقرار الداخليين. و لم يتحرك ماسينيسان من سنة 201 حتى 195 ق.م.

و ربما كان ماسينيسان يهاب حنبعل الذي ظل شوفيت (حاكما) على قرطاجة. ففي هذه السنة (195 ق.م) ذكر تيتوس ليفيوس أن روما بعثت بسفير إلى أفريقيا لإنهاء النزاع بين قرطاجة و ماسيليا. و كانت أول محاولة لماسينيسان هي خلال متابعة لأحد المتمردين النوميد المسمى أفتيرAphter الذي فر إلى تبرقة و قد طلب ماسينيسان من قرطاجة عبور منطقة الأسواق لمطاردة أفتير، لكن قرطاجة رفضت منحه التتبع و إنتهت القضية عند هذا الحد.

و بعد مرور سنتين من هذا التاريخ أي في عام 193 ق.م، تغيرت الأوضاع بقرطاجة. فكان حنبعل بعد معركة زاما 202 ق.م قد بدأ ينظم من جديد للأحوال الإقتصادية في البلاد، فتحسب الأوضاع من جديد و ذلك لم يسعد خصومه من طبقة النبلاء، إذ بدأوا يقاومون خططه، و يدبرون له المكائد، حيث كانوا يتهمونه بانه يعد العدة لإشعال نار حرب جديدة بالتعاون مع ملوك الشرق، فشعر حنبعل بكل هذه الدسائس و فضل الفرار. و من شاطئ يفع قرب المهدية إستقل سفينته كان قد أعدها للرحيل وأبحر إلى جزيرة كركنة Cercina و منها إلى آسيا الصغرى. حيث إستمر في مقاومة الرومان. فقد نزل ضيفا على ملك بيثينيا Bythynia و هو الملك بروسياس الثاني. و لما شعر أنه ينوي تسليمه إلى رومان فضل الإنتحار على أن يسلم حيا لعدوه. و كان ذلك سنة 183 ق.م، و على أثر فرار حنبعل إغتنم ماسينيسان الفرصة و قاد حملة على منطقة الأسواق البونيقية على طول سرت الصغيرة بخليج

جابس و هي الجهة المشهورة بثرواتها المختلفة، و قد أرغم بعض المدن أن تدفع له الضرائب التي كانت تدفع لقرطاجة. و كانت هذه الحملة بمثابة جس نبض قرطاجة. فهو أراد أن يجس نبض القرطاجيين على المستوى العسكري و ذلك بالإقتراب من دفاعاتهم الحصينة في المناطق الإقتصادية، كما أنه جس نبض الرومان على المستوى السياسي بإختبار حدود نواياهم في تعضيده و موازنته سياسيا و أطلاق يده و آماله في المنطقة.

و يذكر[215] في هذا الصدد أن مجلس الشيوخ الروماني رأى من الأنسب إنهاء النزاع[216]. و قد يستغرب البعض دعوة مجلس الشيوخ الروماني بإيقاف القتال و إنهاء النزاع بين ماسينيسان و قرطاجة، علما بان ماسينيسان هو الرجل القوي في المنطقة و أن روما كان ينبغي أن تسر لتوسعات ماسينيسان في المنطقة و هذا يتعارض نظريا مع الدعوة إلى إنهاء النزاع و إيقاف التوسع.

و الحقيقة أنه على الرغم من عدم وقوف النصوص التاريخية وقفة تحليل أو تعليل لواقعة كتلك، إلا أن لعبة السياسة و الحرب لها قواعدها الثابتة في كل زمان و مكان، و بالقياس إلى هذه القواعد يمكن وضع إحتمالات ثلاثة لتفسير المرمى السياسي لدعوة مجلس الشيوخ الروماني إلى إنهاء النزاع الماسيلي القرطاجي:

أولا : هو رغبة روما في تنظيم طموحات ماسينيسان في المنطقة حتى - يظل غير قادر على عدم إنجاز كل طموحاته- في حوزة التحالف الروماني لا لإطول زمن ممكن.

ثانيا : هو رغبة روما- أيضا- في جمح ماسينيسان على إدخار جهده العسكري بحيث لا يبذل كله لحسابه الخاص، إذ لكل تحالف ضريبة يدفعها الحليف التابع للحليف المتبوع تقضي بعدم التصرف الإنفرادي و بضرورة التنسيق المشترك.

ثالثا : هو رغبة روما- كذلك – في التدخل بشكل يوحي برغبتها في الإبقاء على قرطاجة- و قد تحولت إلى عدو ضعيف ليكون في هذا الإبقاء منة رومانية تحمدها لها قرطاجة في المستقبل.

هذا و قد إحتل ماسينيسان على أثر هذه الحملة، سهل الجفارة، و نجحت قرطاجة في الدفاع عن المدن الثلاث بطرابلس.

أما في عام 172 ق.م إستطاع ماسينيسان أن يسترد أحد المواقع التي كان ابوه جايا يتنازع مع القرطاجيين من أجلها و التي قد أعادها سيفاكس بعد إحتلاله ماسيليا إلى القرطاجيين و يقع هذا المكان داخل الحدود القرطاجية فيما يعرف بالخنادق الفينيقية Fossatum Poenicum و ربما أنها تتعلق بمواقع ساحلية[217].

و في ما بين سنتي [173]، 172 ق.م ضم ماسينيسان إلى حوزة مملكته أكثر من سبعين مدينة و مركزا كانت تابعة لقرطاجته من قبل، عندئذ قدمت قرطاجة شكوى إلى روما، لكن مجلس الشيوخ الروماني بدون أن يجعل ماسينيسان في خطا ذكر ما نص عليه إتفاق 201 ق.م أو الحذر الكرنبي[218] Interdis Cornelii وجوب عدم تجاوز ماسينيسان المنطقة المذكورة في نص الإتفاقية.

و بعد عشرة أعوام من التاريخ المذكور أي عام 162 ق.م نجح ماسينيسان في إحتلال كل مدن منطقة الأسواق التي غزاها عام 193 ق.م، و أصبحت مدينة لبدة Lepcis Magna و هي أكبر مركز تجاري قرطاجي في أفريقيا تحت حكم ماسينيسان[219] و كان مجلس الشيوخ الروماني يساند دائما ماسينيسان و كلما شكت قرطاجة لروما من كل إعتداء جديد يقع عليها، كان السناتو أما يغض الطرف و أما يصدر قرارا في صالح ماسينيسان.

و في حوالي عام 155 ق. م أرسل السناتو وفدا للتحقيق و كان يقوده كاتو الأكبر، و قد تعجب أعضاء البعثة و خاصة كاتو، مما شاهدوه من مظاهر النعمة و الرخاء في هذه المنطقة. و إعتبروا الأخشاب المكدسة في مستودعات الميناء إستعدادات لإعادة بناء الأسطول، كما إعتبروا القوات التي صدت ماسينيسان نواة لجيش تعده قرطاجة من جديد.

و ما أن عادت البعثة إلى روما حتى طالب كاتو بضرورة إعلان الحرب فورا على قرطاجة. لكن معارضي كاتو في مجلس الشيوخ نجحوا في إتخاذ قرار بإرسال بعثة أخرى لمراقبة الأحوال في أفريقيا. و كانت هذه البعثة قد أمرت قرطاجة بتسليم المدن الثلاث بطرابلس لماسينيسان بدفع تعويضا له. و قد أثار هذا القرار نقمة أعضاء البعثة القرطاجية و خاصة كاتو، الذي كان كلما يختتم خطاب يلقيه على السناتو، يطلب بان قرطاجة يجب أن تهدم Delenda est Carthago و قد صادف دعاة الحرب معارضة قوية تزعمها نبيل يدعى يولليوس كورنليوس ناسيكا Jullius Cornelius Nasica و كان قد تولى القنصلية مرتين و كان يرى أن الخوف من وجود منافس سياسي قوي لروما لا يضرها أنه على العكس من ذلك في صالح بقائها و يدفعها على أن تظل دائما يقظة لكن بعد إنقسام الأراء ظلت مشكلة قرطاجة معلقة.

و في حوالي عام 153 ق.م طالب ماسينيسان بإسترجاع منطقة السهول الكبرى، و توسكا [220] Tusca و منطقة السهول الكبرى هي منطقة الواد الأوسط لنهر الماجرده التي تضم أخصب الأراضي الزاعية بتونس [221]. أما توسكا فقد كانت تشمل خمسين مدينة و يرى البعض أنها كانت في منطقة دوجا [222]، بينما يرى البعض الأخر أنها كانت تقع في حوض الواد الكبير قرب تابرقة و المعروفة في العهد الروماني بتوسكا [223].

و رغم تقارب الأسماء يرفض جزال [224] إرجاع منطقة توسكا التي إحتلها ماسينيسان إلى أن تكون هي توسكا الرمانية، و يحتج على ذلك بانه لم تتوفر أثار قديمة لخمسين مدينة بمنطقة كروميريا Kroumirie و هي منطقة تغطيها غابات حاليا. و يرى كامبس بدوره أن الخمسين مدينة التي تحدث عنها أبيان يمكن إعتبارها قرى. فوفرة المقابر المحفورة على الصخور الساحلية، و المقابر التي توفرت بها النقوش الليبية لهي دليل على أن تلك المنطقة كانت معمورة [225].

نجح ماسينيسان في تكوين حزب من الأنصار القرطاجيين يؤازرون سياسته. و ما بين عامي 151، 150 ق.م نجح الديمقراطيون في قرطاجة بتطهير البلاد من أنصار ماسينيسان، فنفي منهم نحو أربعين عضوا و ذلك في شتاء عام 150 ق.م و بالطبع لجؤوا إلى ماسينيسان.

و كان هذا الأخير قد أرسل أبنيه ميكيبسه Micipsa و جولوسا Gulussa إلى قرطاجة مطالبين بإعادة إتباعهم إلى ديارهم. لكن القائد القرطاجي بوتارك كارتالو Boetarque Carthelon و هو قائد الجيش قد منع الأمرين من دخول قرطاجة كما هاجم جولوسا و قتل عددا من حرسه، و على أثر هذا الحدث خرج ماسينيسان على رأس جيش رغم كبر سنه (كان يبلغ آنذاك حوالي ثمانية و ثمانين عاما) حيث إتجه لحصار مدينة أوروسكوبة [226] Oroscopa و التي كانت مطمع أنظاره من قبل. فقررت قرطاجة الدفاع على نفسها و جهزت جيشا يتكون من خمسة و عشرين ألف جنديا مقاتلا تحت قيادة صدربعل. و لما إقترب القائد صدربعل من معسكر ماسينيسان إنضم إليه ضابطان نوميديان و هما «تاسيس» و «صوباس» على رأس ستة آلاف فارس فعززت هذه القوة قوات صدربعل الذي حقق نجاحا في بعض المناوشات. و كان سكبيو ايمليئوس [227] قد قدم في نفس الوقت من أسبانيا. و في اليوم الثاني

دارت معركة بين الفريقين شهدها سكبيو ايمليوس و دامت طوال الليل، و كانت في بداية الأمر الخسائر جسيمة بالنسبة للطرفين لكن في الآخر تفوق النوميديون. فحاول سكبيو أيمليوس التدخل في حل المشكل إذ إقترح على القرطاجيين دفع ألف وزن من الفضة، مائتين عاجلة و البقية على أقساط مع تسليم الهاربين النوميديين إلى ماسينيسان، لكن قرطاجة رفضت الطلب الأخير. و لم ينجح سكبيو أيمليوس في إنهاء الخلاف، فتسلم الفيلة التي كان قد جاء من أجلها وقفل عائدا إلى أسبانيا. و دامت الحرب بين الطرفين لكن تفشت في جيش صدربعل الأوبئة، و إشتد بهم الجوع و في نهاية الأمر قبلوا التفاوض مع ماسينيسان. و كان ضمن شروط الإتفاقية تسليم الفارين النوميديين إلى ماسينيسان و إعادة اللاجئين من أنصار ماسينيسان إلى ديارهم مع دفع خمسة ألف وزن من الفضة تدفع أقساطا على مدى خمسين عام. و بهذا إحتل أيضا مدينة أوروسكوبة و هي تقع في منطقة جبلية وجد بها كامبس [228] إسما إغريقيا مترجما ربما كان هذا الإسم في الإغريقية يعود إلى مقطعين من حيث الإشتقاق أحدهما هو أورو Oro أو أورورا Aurora و هي ربة الفجر عند الإغريق، أما المقطع الأخير فيعني «المشهد» كما يمكن ترجمته أيضا بالمشهد الذهبي. و تقع أوروسكوبة بين منطقة السهول الكبرى و منطقة توسكة و هو موقع يتناسب الآن مع منطقة الكروميرى.

و على أثر هذا الإحتلال أصبحت نوميديا في عام 150 ق.م تمتد من مدينة لبدة شرقا و حدود قرطاجة التي وضعها فيما بعد سنة 146 ق.م سكبيو أيميليوس إبتداءا من الخنادق التي أمر بحفرها و المعروفة بإسم الخنادق الملكية Fossa Regia و يعبر هذا الحد منطقة الكروميري وجزئا كبيرا من طابرقة حتى باجة ثم بعد أن يمر على نهر المجردة شرق طابورسوق Teboursouk ينحدر جنوبا عبر السهوب،

من جنوب زغوان Zeghouan حتى Thaenae جنوب صفاقس Sfax،
أما غربا فيحد نوميديا عن موريتانيا نهر الملوية.

.

د- صفاته :

يمكن لنا أن نستقي مجموعة الصيفات الشخصية للملك
ماسينيسان من ثلاثة مصادر أساسية هي :

- مجموعة المسكوكات المتخلفة التي ضربت في عصره برسمه.
- مجموعة الأوصاف التي سجلها عنه المؤرخون المعاصرون له.
- مجموعة الصيفات التي يمكن إستنباطها من سيرته و أعماله.

و تنقسم مجموعة صفات الرجل إلى نوعين، نوع يشمل
مجموعة الصفات المادية أو الجسمانية الخاصة بالشكل العام، ثم النوع
الثاني يشتمل على مجموعة الصفات المعنوية أو النفسانية و العقلية و
الوجدانية الخاصة بهذا الزعيم.

و قد مثلته المسكوكات و عمره يتراوح بين أربعين و خمس و
اربعين عام له قسمات منتظمة، عيون واسعة، حواجب كثيفة، شعر
كثيف مموج، لحية طويلة مدينة الطرف. أما المصادر فتصفه أنه كان
جميل الطلعة [229] ذو قامة مديدة متين البنيان قوي الصحة [230]. و
قد أنجب أربع و أربعين ولد و أنجب آخرهم و هو في سن كبيرة [231] و
أربعة و خمسون يحسب بعض المؤرخين.

و يمكننا أن نستنبط من خلال أعماله أنه لا يمكن له القيام بهذه الأعمال لولا أنه كان رجلا ذا بنية صلبة و قدرة على التحمل كبيرة، و مهارته العسكرية توحي بتكوين رياضي ومرونة. أما صفاته النفسية التي تمكنا إستنباطها من خلال المسكوكات و المصادر الأدبية و من أعماله تتلخص فيما يلي : فتبرز الصور التي مثلته في المسكوكات مظاهر العظمة.

كما تشير النصوص أنه كان زاهدا قنوعا [232]، لا يعرف الخوف قاسي دقيق قي أعماله ذو طبيعة متناقضة، فظ القلب طموحا إلى حد عدم المبالاة بالخطر، مفرط الثقة بنفسه متهورا [233] محبا للترف و للأخذ بمظاهر الحضارة البونيقية و الإغريقية حيث كان يملك قصرا في كرتا و يقيم الولائم و الحفلات الموسيقية التي كان يحبها الفنانون الإغريق [234].

كما أنه كان شفوقا بالصغار إذ قال يوما لأحد التجار الذين أتوا إليه لشراء القرود النوميدية التي كان يتسلى بها الأثرياء : «هل لم تنجب لكم نساؤكم أطفالا؟».

و نستنبط صفاته الروحية من خلال أعماله إذ نستطيع أن نقول عنه أنه إمتاز بالصبر و العناد و الإصرار كما كانت عنده المصلحة الخاصة الوطنية تتقدم على المصلحة العامة و يميل ماسينيسان إلى السلوك الأسطوري.

كما أنه لم يحس بالفجوة ما بين الفكرة و التطبيق، فكل آماله مشروعات للتنفيذ. و يمتاز أيضا بالدهاء السياسي في المحالفات.

فبعد أن أنجز ماسينيسان هذا القدر من التوسع بأملاكه، و حقق مجدا لم يسبقه إليه أحد من أسلافه الماسيليين، لم ينعم بهذا المجد إلا لعامين، وافته بعدها المنية في 148 ق.م، و بعد وفاته بيومين قدم إلى البلاد القائد الروماني سكبيو أيميليوس الذي أشرف على عملية توزيع أو تقسيم إمبراطورية ماسينيسان على أولاده ورثته الشرعيين في الحكم.

1 .Justin, XVIII, 4, 6

2 تاسست قرطاجة من طرف فنيقيين، مدينة صور سنة 814 ق.م أي 287 سنة بعد تاسيس المستعمرة الفينيقية أوتيكا التي تاسست بدورها سنة 11.1 ق.م حسب بلينى ؛

3 .Justin, XXI, 4, 7

4 J. D. Fage, The Cambrige History of Africa (Cambrige, University Press, 1978), Vol II. P. 130.

5 .Diodorus Siculus, Bibli., 17, 1, 18, 3

6 G. Camps, Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb, Origine du Royaume Massyle, Alger, 1967, P. 29- 38.

7 .Polybius, XV, 18, 5

8 .Titius Livius, Hist., Rom, XXIX, 29, 7

9 .St. Gsell, H.A.A.N. T V, Pp. 121, 122

10 قد عثر على هذه الكتابة M.Sadoux سنة 1904 منقوشة على صخرة طولها 0,286 ر.، عرضها و سمكها 0,233 ر.م و يحتل النص البونيقي الجزء الأعلى من الصخرة و به خمسة أسطر ثم يليه النص الليبي و به سبعة أسطر، لكن السطر السابع فيه كلمتين و الباقي يحمل جملة بونيقية غير مترجمة إلى الليبية، و إستطاع J.B Abbe Chabot في مجمعه للكتابات الليبية.Recueil des inscriptions libyques, Paris , 1940, Passim.

11 تلك المعركة جرت في نفس اليوم الذي جرت فيه المعركة بين الأسطول الإثيني و الفارسي في سلاميس Salamis و الذي إنتصر فيه الأسطول الأثيني و كانت المعركة قد جرت يوم 480/10/29 ق.م قرب هيميرا Himere

12 .J. D. Fage, The Cambridge History of Africa. Op. Cit, P. 128

13 .Loc., Cit

14 لأفري Afri هم سكان الأراضي التي إحتلتها قرطاجة من غير القبائل المستقلة النوميدية و المورية و هذا حسب الكتاب الرومان أما الإغريق فاطلقوا عن هؤلاء السكان إسم الليبيين.

15 و هي القالقة حاليا (La Calle)

16 J. D. Fage, The Cambridge History of Africa, P. 130- 131.

17 Loc, Cit.

18 جرت الحملة التي قادها أجاثوكليس على ليبيا ضد القرطاجيين في السنة الثالثةCXVII الألعاب الأولومبية Olympiade و هو ما يوافق 310 ق.م

19 Diodorus Siculus, Biblio., XX, III.

20 Diodorus Siculus, Biblio., XX, XXXVIII.

21 Diodorus Siculus, Biblio., XX, XVII.

22 J. D. Fage, Op. Cit ., P. 131.

23 و هي مدينة « الكاف» حاليا و تقع غرب قرطاجة

24 Polybius, Ouvrages Historiques I, XV.

25 و يشار إليها أحيانا بإسم هيبوزاريت Hippo Ziarryte و هي مدينة بنزرت حاليا ب الجمهورية التونسية

26 Polybius, Ouv. Hist., I. XV.

27 Polybius, I, XVIII.

28 Polybius, I, XVIII.

29 يذكر بوليبيوس أنها دامت نحو ثلاثة أعوام و أربعة أشهر

30 J. D. Fage, Op. Cit, P. 131.

31 Starbo, Geog., XVII, 3, 15, 3, 11, 12.

32 Starbo, Geog., XVII, 3, 19.

33 Starbo, Geog., XVII, 3, 19.

34 Diodorus Siculus, XX, 57, 4, 6. Op. Cit.

35 St. Gsell, H.A.A.N., T. III. P. 95.

36 Polybius, I, 73, 1.

37 Diodorus Siculus, XXIV, 10, 2.

38 St. Gsell, Atlas Archeologique de l'Algerie, Feuille, 29 (Thala) No. 101.

39 Polybius Hist., I, 66, 6, 66, 10, 67,1.

40 Cornelus Nepos, Amilcar, II, 5.

41 Diodorus Siculus, bibli., L 17.

42 G. Camps, Massinissa, Op. Cit. P. 173.

43 Appian, Libyca, 68 ; Polybius, XIV, 7, 9, 8, 2.
Titius Livius, XXX, 8, 3.

44 St. Gsell, H.A.A.N. Op. Cit. T. II, P. 96.

45 St. Gsell, Op. Cit., feuille 18 Souk Ahras

46 Apulée de madaure, apol., 24.

47 C. Sallustius Bell., Jugh., LXXXIX, 4.

48 P. Orose, Adversus Paganos, V, 15, 8.

49 St. Gsell, HAAN. Op. Cit. T. II, P. 99.

50 Periple de Sc, C. Muller, Geog. Greac., Min. 5111, I, P. 91.

51 Polybius, III, 39, 2.

52 أسست هذه المدينة 1178 سنة قبل ظهور تاريخ بليني الطبيعي و الذي ظهر عام 77 ق.م فهي بهذا تاسست عام 1101 ق.م.

كما يرجع مصادر أخرى تاسيس هذا المركز الفينيقي إلى تسعة أعوام قبل تاسيس مركز قادش Silius Italicus Punica III, Mazel 241. من جهة أخرى يرجع تاسيس هذا المركز إلى سنة 1200ق.م.

- Je. Mazel, Avec Les Pheniciens, Paris, 1968, P. 16.

53 St. Gsell, H.A.N.N, T.I, P. 477.

54 J. Carcopino, Le Maroc Antique, Paris, 1948, Pp. 73, 14. Tarabo, XVII, 3, 9, 13.

55 Strabo, XVII, 3, 9, 13.

56 St. Gsell, H.A.A.N., Op. Cit. feuille (Collo).

أطلق قديما على شبه جزيرة القل إسم الميتاجنيوم Metegonium

57 G. Camps, Massinissa, Op. Cit. P. 176.

58 Gilbert, Charles Picard, Civitas Mactaritani Karthago, T. VIII, 1957, P. 1 Passim.

59 J. G. Fevrier, La constitution Municipale de Dougga à l'Epoque Numide, Mélanges de Carthage, 1964. 1965, Pp. 85- 91.

60 لم تذكر كرتا كعاصمة لجايا و ربما كانت عاصمته دوجة أو الكاف Sicca - Thugga.

61 G. Camps, Massinissa, Op. Cit. P. 178.

62 G. Camps, Massinissa, Op .Cit. P. 179.

63 De Lauriere 2 Mauaulees Africains le Medracen et le Tombeau de la Chrétienne, mémoire publié dans le Bulletin Monumental, Série 5, T. II. 1874, Pp. 305- 346.

64 Loc. Cit.

65 عبد الرحمن إبن خلدون، المرجع السابق ص 90.

66 A. Berthier et L'Abbe Charlier, Le Sanctuare Punique d'Elhofra à Constantine, Paris, Arts et Metiers Graphiques, 1995, P. 231- 236.

67 G. Camps, Massinissa, Op. Cit. P. 179.

68 J. B. Abbe Chabot, Recueil des Inscriptions Libyques, Op. Cit. Pp. 30- 50.

69 St. Gsell, Inscriptions latines d'Algerie T. I. No. 1242.

70 Pliny, Hist., Nat., V, 5.

71 Julius Honorius, In Riese, Geographici Latini Minores, P. 54.

72 St. Gsell, Atlas Archéologique, Feuille 18, Souk Ahras.

73 G. Camps, Massinissa, Op. Cit., P. 181

74 St. Gsell, Op. Cit. Feuille 16, 17 ; Constantine.

75 St. Gsell, Op. Cit. Feuille 26 (Setif), Boutaleb Notice 161.

76 St. Lancel, Suburbures et Nicives : une Inscription de Tigisis, Libyca, Archéologie Epigraphie, T.III, 1955, Pp. 289- 298.

77 Ptolémée, Geog, IV, 3, 5.

78 Julius Honorius, In Riese, Geographici, Lat., Min P. 54.

79 F. Logeart, Grottes Funéraires Hypogées et Caveaux sous Roches de Sila, Recueil des Notices de Constantine (Raac) T.LXIII, 1935- 36, Pp, 69- 105.

80 C.I.L., VIII, 9296.

81 S. Bencheneb, Massyli = Massila Revue d'Histoire et de Civilisation du Magreb, Alger, Juillet 1968, Pp. 13-14 No .5.

82 S. Bencheneb, Ibid., P. 14. ماسيلي - الماسيلية - مسيلة، نلاحظ أن مد الياء ثابت في الحالات الثلاث.

83 Titius Livius, XXIV, 48, 13;- Appian, 46, 10; Polybius, III, 33, 15.

84 Z. B. Chabot, Recueil des insciptions Libyques, P. 3, 4.

85 Loc. Cit.

86 St. Gsell, H. A.A.N, T. II, P. 283, No .3.

87 Polybius, III, VII.

88 Titius Livius, His., XL, XVII.

89 Titius Livius, His., Rom., XL17.

90 Polybius, XXXNI, 16, 2, 5, 11 ; - Diodorus Siculus, XXXII, 16 ; - Appian, Lib, 46, 106.

91 St. Gsell, H.A.A.N. Op. Cit., T. I, P. 815.

92 Titius Livius, XX, IX, 29, 12.

93 Titius Livius, XX, X, 29, 12.

94 Appian, Lib., 10. (يذكر بخطا موت أبيه جايا).

95 St. Gsell, H.A.A.N ., T. III, P. 183, Note No 3.

96 و هو رأس ديماس. كما أطلق البعض على سكيكدة (روزيكاد) إسم ثابوس.

97 St. Gsell, H. A.A.N., T. III, P. 182.

98 Titus Livius, XXIX, 31, 7.

99 Titius Livius, XXIX, 31, 7.

100 St. Gsell, H. A.A.N.Op. Cit., P. 98 et T. III P. 230.

101 Tissot, Géographie Comparée. T. I, P. 28.

الأمر الذي ينفيه جزال في كتابة H. A.A.N., T. II, P. 98.

102 Appian, Lib. 12.

103 Appian, Lib. 11, 13.

104 Titius Livius, XXVIII, 17, 7, 8.105 Titius Livius, XXVIII, 17, 18. Zonaras, IX, 10 ., Appian, Iber, 29, 30.

106 لم يذكر تيتوس ليفيوس إسم مقر إقامة سيفاكس، و من المعروف أن عاصمة سيفاكس هي سيجا -Srtabo, Geo., XVII, 39; - Pliny, V, 19.

107 Polybius, XI, 24 a, 4; Titius Livius XXVIII, 18, 7; Appian, Iber., .

108 Polybius, XI, 24 a, 4; Appian, Iber, 30.

نلاحظ على غرار ما جاء به بوليبيوس أن أزدروبعل ترك سيجا بعد سكبيو.

109 Titius Livius, XXVIII, 18, 12, XXIX, 336, 24, 3, XXX, 13, 8, 9. -Appian, Iber., 30, Lib., 10 et 27.

110 عرفنا فيما سبق و وفقا لتيتوس ليفيوس ، (XXIV, 48,49) أن سيفاكس قد حارب عام 203 ق.م القرطاجين لكن أعيد السلام بينهما حوالي عام 212 ق.م .

111 Titius Livius, XXVIII, 16, 12.

112 Titius Livius, XXVIII, 16, 11.

113 Titius Livius, XXIX, 1, 4, 3, 6, 10.

114 Titius, Livius, XXIX, 23, 7, 10, 24- 1.Titius, Livius, XXIX, 24,2, 6. -Zonaras, IX, 12.

115 Titius, Livius, XXIX, 25, 5, 12, 27, 6- 15.

116 Zonaras, IX, 12.

117 St. Gsell, H. A.A.N, T. I, P. 457, No. 5, T. II, P. 142.

118 St. Gsell, Op. Cit., T. II, P .142.

رأس الصالح و هوPromontoire de Mercure

119 St. Gsell, H.A.A.N. T. II, P. 108, No. 9.

120 Appian. Lib. 14.

121 Titius Livius, XX. X, 34. 3.

122 Titius Livius, XX.IX, 29, 4 ; Polybius XXI, 21, 2.

123 Appian, Lib ., 13, 14 ; Dio Cassius, Apud Zonaras, IX, 12, P. 437d, P. 438.

يذكر هؤلاء أن ماسينيسان قد تحالف مع سيفاكس و القرطاجيين ثم خلال المعركة التي تلت محاصرة أوتيكا إنظم إلى سكبيو و هي رواية تختلف عن رواية تيتوس ليفيوس XXXVII, 53, 21

124 .Titius Livius, XX.I. X, 34, 2

125 .Titius Livius, XX.I.X, 28, 10, 29, 1

126 .Titius Livius, XX.I.X, 35, 4

و من المحتمل أن تكون القرية المذكورة هي التي أسماها أبيان Appian، لوشا (Loucha)

127 .Titius Livius, XX.I.X, 35, 4

128 .Titius Livius, XX.I.X, 35, 5

129 .Titius Livius, XX.I.X, 35, 7 , XXX, 4, 11 ;- Polybius, XIV, 2, 3

130 .Titius Livius, XXIX, 33, 6- 9, 12.- Appian, Lib. 16

131 .Titius Livius, XX.I.X, 35, 12

132 .Titius Livius, XXIX, 35, 13, 15

133 .Ceasar, Bell., Civ ., II, 24, 3

134 .Titius Livius, XX.I.X, 35, 13, 14

135 .Polybius, XIV, 4, 1

1 ستادس - 177.6 م و 60 ستادس - 1065.6 م

136 .Polybius, XIV, 4, 1

10 ستادس - 1776 م.

137 .St. Gsell, H.A.A.N. Op. Cit., P. 342, No. 10

138 .Ibid, T. II, P. 406, 407

139 .Polybius Livius, XXIX, 35, 11. - Titius Livius, XXIX, 35, 11

140 Titus Livius, XXIX, 36, 1, XXX, 3, 2.- Dio Cassius, Fragm, 56 .

141 Polubius, XIV, 1, 3; Titus Livius, XXX, 3, 4

و بعض أخر يذكر أن سيفاكس هو الذي بدا بطلب المحادثات مثل :

- ; App., Lib., 17 ; Dio Cassius, Fragm, 56, 75

- .Zonaras, IX, 12, P. 438, C

142 Polyb. XIV, 1, 9; - Titus Livius, XXX, 3, 5; - App., Lib., 17; Dio. .Cassiuss, 56, 75

143 .Polyb. XIV, 1, 6, 6, 8, et 15. - Titus Livius, XXX, 3, 8, 10

144 Polyb., XIV, 1, 11, 3. - Titus Livius,, XXX, 4, 1- 3.

145 Polyb., XIV, 2, 5, 14.

146 لم يشير إليها بوليبيوس و لا تيتوس ليفيوس لكن ذكرها أبيان في المكان المعروف حاليا بإسم مركب النبي على الضفة اليمينية من نهر المجردة غرب الجبل الأحمر.

147 Polyb., XIV , 6, 1, 5 ; Titius Livius, XXX, 7, 1 - 4.

148 Polyb., XIV , 7, 1 ; Titius Livius, XXX, 6, 1.

149 Polyb., XIV, 6, 12; Titius Livius, XXX, 7, 10.

150 Titius Livius, XXX, 1, 3.

151 Polyb., XIV , 7, 4.

152 Polyb., XIV 6, 6- 12 ; Titius Livius, XXX, 7, 4 - 7.

153 Polyb., XIV 7, 9.

154 Polyb., XIV 7 , 9 ;Titius Livius, XXX, 7, 13.

155 Polyb., XI, 7, 9, 8, 2 ; Titius Livius, XXX, 8, 3.

156 أكثر من إثنة عشرة كيلومترا 1242,2 م

157 Polyb., XIV, 8, 5, 14 ; Titius Livius, XXX, 8, 5, 9.

158 Polyb., XIV, 9 1 5; Titius Livius, XXX, 9 1 2

159 Polyb., XIV, Polybus, XIV, 10,2, 4; Titius Livius, XXX, 9, 10, 11.

160 Titius Livius, XXX, 11, 1.

161 Ovides, Fastes, IV, 769. إختلفت الأراء حول التقويم الروماني في عهد الحرب البونية الثانية حيث يرى البعض أن هناك تاخير بثلاثة أو أربعة أشهر للتقويم الروماني عن السنة الفلكية. Année Astronomique

162 Appian, Lib., 26.

163 Titius Livius, XXX, 12, 6- 10 ; Zonaras, IX, 13, P. 439, d.

164 Titius Livius, XXX, 12, 10- 12 ; Diodorus Siculus, XXVII, 7.

165 من المحتمل أنهم إسطحبوا معهم سوفونيزب لأننا نلاحظ من خلال حديث ليفيوس أن لبليوس قد ترك أمر قرار وضعية سوفونيزب إلى القنصل سكبيو. أما أبيان(Appian, Lib ., 27) فيذكر أنه ترك سوفونيزب بكرتا.

166 Titius Livius, XXX, 14- 15 ; Zonaras, IX, 13, P. 440 ; Diodorus Siculus, XXVII, 7 ; Appian, Lib., 28.

167 Titius Livius, XXX, 15, 11, 14.

68 Titius Livius, XXX, 16, 1, 17, 1 ; Zonaras, IX, 13, P. 440, C.

يذكر هذا الأخير أن إبن سيفاكس قارمينا كان معهم.

169 Titius Livius, XXX, 16, 1, 17, 7 - 14; Titus Livius, XXX, 17, 13; Appian., Lib., 32; Lib., 28.

170 Titius Livius, XXX, 17, 2, 45, 4 ; Zonaras, IX, 13, Pp. 440, C.

171 Titius Livius, XXX, 45, 4 ; Valerus Maximus, V, 1, 16.

172 Titius Livius, XXX, 45, 4- 5; Appian, Lib., 28 ; Zonaras, IX, 13, P. 440, C. ; Polybius, XVI, 23, 6 ; Valeurus Maximus, VI, 12, 3 ; Tacitus, Annales, XII, 38.

173 Titius Livius, XXX, 11, 8, XXXVII, 50, 22, XXX, 12.

174 يذكر هذا الأخير أن سكبيو أهدى إلى ماسينيسان الجزء الذي أنتزعه سيفاكس خلال الحرب من ماسيليا.

175 Titius Livius, XXX, 36, 7- 8.

176 Titius Livius, XXX, 19, 5- 6, Appian, guerres puniques, VIII, 33.

177 Titius Livius, Epit. Livre XLVIII.

و من المحتمل أن يكون أركوبرزان هذا مولودا من زوجة فارسية تزوجها والده من سبايا الحرب التي دارت بين الفرس و الرومان و كان والد أركوبرزان فيها حليفا للرومان و إكراما لخاطر الزوجة جعل من المقطع الأخير الإسم الوليد لفظا فارسيا.

178 Titius Livius, Eptiome du Livre XLVIII.

179 G. Camps, Massinissa, Op. Cit., P. 190.

180 Shur, Massinissa, realencyclopadie der altertumswi senschaft, T.XIV, P. 2154.

181 J. B. chabot, Op. Cit., P. 3 -4. - G. Camps, Massinissa, P. 187.

182 قد حذف المؤرخون المذكورون حرف « النون» الأخيرة و هذا لكي نستطيع أن نفرق بينه و بين حفيده ماستانيسان.

183 G. Mercier, La langue libyenne et la toponymie antique de l'Afrique du Nord, Journal asiatique, 1924, Pp. 189- 320.

184 و كلمة «ناس» أو « الناس» قريبة من الكلمة العربية « الناس» و التي لها نفس المعنى بالعربية كما بالليبية القديمة.

185 Polybius, XXXVI, 16, 2, 5, 11.

186 Diodorus Siculus, XXXII, 16.

187 Appian, Lib., 106.

188 Valerus Maximus, V, 2, 4.

189 Titius Livius Epitome de Livre XLVIII.

190 Cicéro, De Senectute, 10. 34.

191 Titius Livius, D'après Ancius Epit, XLVIII.

192 Titius Livius, XXIV, 49, 1.

193 Appian, Iber., 16.

194 Appian, Lib., 10.

195 Titius Livius, XXV, 5, 11.

و قد عاد إلى نوميديا حوالي 210 ق.م. و رحلة أخرى قام بها إلى نوميديا أربعة سنوات بعد هذا التاريخ أي حوالي 207 ق.م.

196 Titius Livius, XXV, 34, 1.

يذكر هذا الأخير أن أزدروبعل قد إصطحب ماسينيسان معه إلى إسبانيا بعد المعركة التي جرت بين القرطاجيين و سيفاكس و قبيل هزيمة الإخوة سكبيو ؛ (App. Iber, 16) التي جرت سنة 211 ق.م و ليس 212 ق.م كما ذكر تيتوس ليفيوس و الذي اشار إلى وجود أزدرو بعل بإسبانيا منذ 214 ق.م ؛ (Titius Livius, XXIV, 41, 5) و هو رأي خاطئ لأنه خلال سرده لأحداث قد وضعها سنة 212 ق.م و هي في الواقع قد جرت سنة 211 ق.م يصف ماسينيسان بالعدو الجديد (Novus Hostis).

197 Appian, Lib, 37, Lib., 10.

198 Dio Cassius, Apud Zonaras, IX, 11, P. 436.

199 Titius Livius, XXVIII, 16, 12.

200 .Titius Livius, XXVIII, 16, 17

201 .Appian, Lib., 10

202 Titius Livius, XXVIII, 16, 11. و هو القائد الذي تركه بوليوس في جنوب إسبانيا بعد رجوعه إلى تراجونا.

203 .Dio Cassius, IX, 11

204 .St. Gsell, H.A.A.N., T. III. P. 192

205 (XXVIII, 35, 8 .Titius Livius, XXVIII, 19, 9). يذكر أنه إبن إحدى بنات جايا، و يعود ليذكر أي تيتوس ليفيوس أنه أخا لماسينيسان.

206 Titus Livius, 19, 8, 12. خلال معركة (Baecula) عام 208 ق.م

207 .App. Iber., 37

208 .Titius Livius, XXVIII, 35; App., Iber., 32, Lib ., 10

209 و بعد أن علم ماسينيسان بموت عمه و إبن عمه على أثرا الإطاحة بهذا الأخير من طرف أحد المتمردين.

210 .Titius Livius, XXXI, XI

211 Titius Livius, XXXI, XI, XIX. قد أرسل مجلس الشيوخ الروماني إلى قرمينا السفير CN. Octavius لعقد إتفاقية المدنة.

212 ;Titius Livius, XXXI, 16, 1, 17, 7, 14, XXX, 17, 13
- .Appian, Lib., 32, b, 28

213 .Titius Livius, XXX, XXXVII

214 Ch. Saumagne, Les Prétextes Juridiques de la 3eme Guerre .Punique, rev., hist., T. CLXVII, 1931, Pp. 225- 253 et T. CLXVIII, P. 1- 42

215 .Titius Livius, XXXIV, 62

216 ينتقد سوماني Saumagne ليفيوس أذ يقول أن القضاة الرومان كانوا دائما بجانب ماسينيسان، - Ch. Saumagne, Les prétextes juridiques de la 3eme .guerre punique, Op. Cit., T. CLXVII. Pp. 225- 253

217 .G. Camps, Massinissa, Op. Cit., P. 193

218 Titius Livius, XLII, 23, 24.

219 G. Camps, Massinissa, Op. Cit., P. 194.

220 Appian, Lib., 69.

221 G. Camps, Massinissa, Op. Cit., P. 194.

222 St. Gsell, H.A.A.N., T. III, P. 321.

223 Ch. Tissot, Geogr., Comp. De la Province romaine d'Afrique, T. I, P. 47, T. II, P. 110.

224 St. Gsell, H.A.A.N, Op. Cit., P. 194.

225 G. Camps, Massinissa, Op. Cit., P. 194.

226 Appian, Lib., 70.

227 و هو Scipio Aemilianus، قائد أعلى باركان الحرب الروماني و لد عام 185 ق.م و مات مقتولا عام 129 ق.م و هو إبن بوليس أميل، دخل أسرة إسكبيو بالتبني عين قنصلا قبل السن القانوني عام 147 ق.م. و كان بطلا في الحرب البونيقية الثالثة.

228 G. Camps, Massinissa, Op. Cit., P. 194.

229 Appian, Lib., 10.

230 Appian, Lib., 10.

231 Polyb., 16, 5; Appian ., b, 106; Titius Livius, Epit ., L ; Pliny,VII, 61. Metymannus, Methymnus كان هذا الإبن يحمل إسم ماثينوس Valerius Maximus, V, 2.

232 Polyb., XXXVI, 16, 16; Titius Livius, Epit ., L, XLVIII.

233 Poly ., Hist ., XXXVII, 16, 34 ;

234 Diod ., siculus, XXXII, 16 ; App ., Lib ., 71, 106; App ., Lib ., 27, 106 ; Titius Livius, XXX, 12, 10.

الفصل الثاني : المملكة المازاسيلية

أولا : تاسيس المملكة المازاسيلية :

أطلق المؤرخين لفظ مازاسيل [1] على سكان نوميديا الغربية، و هي في الأصل إسم قبيلة ليبية إستوطنت شمال أفريقيا منذ أقدم العصور، و هذا اللفظ مثل اللفظ "ماسيل" يتطابق مع الأسماء الليبية القديمة يكون الشكل الليبي للتسمية في المفرد : مازيسول أو مازايسيل و هذا بناء على نقش عثر عليه بموريتانيا يرجع إلى إسم شخصMasasilen .

أما باللاتينية فقد نقل كما يلي [2] MASAESYLII،

أما عن تاسيس المملكة المازاسيلية فهو مبني على إفتراضات، فكانت المملكة المازاسيلية قبل أن تصبح دولة، عبارة عن قبيلة [3] عاشت في إقليم عرف فيما بعد بموريتانيا الطنجية، وزالت نتيجة لحروب قامت مع قبائل الجدالة. فقد زحفوا شرقا نتيجة هذا الضغط حتى إستوطنوا

في مساحة كبيرة تقع بين حدود نهر الملوية غربا و نهر الأمبساجة شرقا [4]. كما يذكر جوليان، "أن القبيلة المازاسيلية التي كونت الخلية الأم لوحدة الشعوب قد خرجت من الغرب" [5]. و يذكر بليني [6] و بطليموس الجغرافي [7] أسماء قبائل من المازاسيل في موريتانيا القيصرية للعهد الروماني، و يشير جزال [8] إليها حيث يقول أنها كانت بقايا القبائل المنتصرة التي زحفت من الغرب.

و قد أشارت المصادر إلى لفظ مازاسيل لأول مرة حوالي عام 220 ق.م [9] كما ورد ذكرهم عند بوليبوس حيث يقول أنه وجد ضمن جيش حنبعل فرسان من المازاسيل [10].

أ- وصف النصوص لمازاسيليا :

و صفت مازاسيليا من الجهة الغربية المتاخمة لموريتانيا بانها خصبة و تنتج الكثير و بها الكثير من المصادر الطبيعية، أما مازاسيليا الغربية المتاخمة لماسيليا فهي مزدهرة و مستثمرة بصفة أحسن [11]. كما وصف سترابون، خصوبة أرضها بقوله : «البعض منهم أي المازاسيليون- يقطنون أراضي تغل مرتين في العام، في الصيف و الربيع، و أن طول ساق نبات القمح يصل إلى مترين و عشرون سنتيمترا، و سمكه كان يبلغ نحو سمك الأصبع الصغير، و إنتاج الحبة كان يصل إلى مائتين و أربعين للحبة الواحدة. لا يبذرون في الربيع حيث كانوا يكتفون بكشط الأرض بمكنسة من الغصن الشائك و الحبوب التي تقع على الأرض خلال الحصاد تكفي لإعطاء محصول كامل في الصيف» [12].

يرى البعض أن هذا الوصف مبالغ فيه، لكن أعطت مناطق شمال إنتاجا مماثلا في العهد الإسلامي بحسب ما جاء به البكرى [13]. و عن المحصول المضاعف مرتين في السنة فهو ممكنا في أرض قد تستخدم بها وسائل الري الحوضي، و قد أشير إلى هذا النوع من الزراعة في مدينة قاديس Vadis بجنوب الأوراس [14]. و في الظروف التي ذكرها سترابون يجب زرع بذور من نوع آخر غير القمح لأن محصوليين متتاليين من نوع واحد قد يجهد الأرض [15].

أما عن الثروات الطبيعية التي ورد ذكرها عن سترابون [16]، فلقد وجد بالقرب من تيناس Ténès بقايا آثار لمنجم نحاسي كان مستخدما قديما، و من المحتمل أن يكون الفينيقيون و الأيبيريون بجنوب أسبانيا هم الذين إستخدموه.

ب- حدود المملكة المازاسيلية :

يعد النص الذي ورد عند سترابون من أكثر النصوص دقة في وصف و تحديد الدولة المازاسيلية إذ يقول: «تبدأ حدود بلاد المازاسيل من نهر الملوية Molochat, Mulucha Malva و تنتهي عند رأس تريتون» Cap Treton. أما نهر الملوكات Molochat فقد أرجعه إلى نهر الملوية كل من جزال [17] و كامبس [18]. و قد يظهر نهر الملوية كحد فاصل مميز، فعند مجراه الأسفل، يحد بين الأطراف الأخيرة لسلسلة جبال الريف Rif جبال بني سناسن Beni Snassen و سهل التريفاس Trifass و يقول كامبس [19] في هذا الصدد ما يلي: " بدون أن يشكل عائقا طبيعيا فإنه يفصل بين منطقتين أثريتين لبلاد البربر الوسطى و الغربية".

أما عن رأس تريتون Tritonis فهو منسوب بدون إعتراض على رأس بوجرون Bougaroum في شبه جزيرة القل Collo [20].

و تتفق نصوص أخرى مع ما جاء به سترابون حول مواقع مازاسيليا و أخص بالذكر نصا لتيتوس ليفيوس [21] يقول فيه : «توجد بلاد المازاسيل بجوار قبائل و تقع في مواجهة منطقة قرطاجنة باسبانيا». و يتطابق هذا الوصف على منطقة وهران حاليا و التي كانت تابعة لمازاسيليا.

فالوثائق التي إعتمد عليها سترابون لوضع هذا الحد، ترجع إلى القرن الثاني ق.م [22] و هي فترة كان الحكم فيها مستقرا، فدام نهر الملوية من الجبهة الغربية كحد بين الملك بوخوس Bouchus ملك موريتانيا و الملك المعاصر له و هو ميكيسه ملك ماسيليا، ثم بين بوجود Bogud و بوخوس الثاني Bochus II.

أما حدود المملكة المازاسيلية من الجهة الشرقية فقد كان خاضعا لتوسعات سيقاكس شرقا. و قد أشير إلى نهر الأمبساجة Ampsaga أو Amsaga في عهد الإستقرار الداخلي بانه الحد الفاصل بين المملكة المازاسيلية و الماسيلية، و قد دام حدا بين مملكة يوبا الثاني [23] و المستعمرة الإفريقية ثم فيما بعد بين مقاطعتين رومانيتين هما نوميديا و موريتانيا القيصرية. و يعتبر نهر الأمبساجة حدا سياسيا لأنه لا يفصل بين منطقتين جغرافيتين مختلفتين [24].

ثانيا : الملك سيفاكس :

أ- إسمه :

أول ملك، عرفه تاريخ شمال إفريقيا المدون هو، الملك سيفاكس [25]، Syphax و قد ذكرته النصوص [26] لأول مرة كملك على المازاسيليين إبتداءا من عام 220 ق.م فالمسكوكات التي صورت الملك سيفاكس قد كتبت عليها بالبونيقية و ترجمت من طرف المتخصصين كما يلي: Sphq Hummlkt و الكلمة هذه تتالف من مقطعين هما Sphq أو «سفك» و قد ترجمت إلى سيفاكس أما المقطع الثاني و هو Hummlkt [27] أو حمملكت فيعني رئيس أعلى أو ملك، و بهذا تعني الكلمة باجملها سيفاكس رئيس الدولة أو ملك المملكة [28].

و قد أطلق إسم سيفاكس على ملك أسطوري في شمال أفريقيا قد يكون منحدر من نسل هراقل و هذا بحسب الملك النوميدي يوبا الثاني [29]. كما أشار إبن خلدون إلى إسم سافاك، و هو أحد أجداد البربر [30].

رغم أن النصوص لم تذكر إلا ملكا واحد بإسم سيفاكس، فإن المسكوكات تصوره بشكلين مختلفين و تحت إسم واحد. و بعد إفتراضات عديدة حول إمكانية وجود ملكين [31] يحملان نفس الإسم و هو شيء يتنافى مع ذكر النصوص، وصلت النتيجة أنه نفس الملك و الفرق يرجع الى إختلاف دور سك العملات، حيث أن المجموعة الأولى قد سكت محليا بينما المجموعة الثانية التي تصورت متوجا قد سكت في إسبانيا [32].

ب- أعماله :

الحقيقة لم يذكر المؤرخون أمورا تفصيلية عن بداية تولي سيفاكس الحكم و لا عن أسلافه، و يرجع ذلك إلى أن مؤرخي هذه الفترة لم يؤرخو لنوميديا إلا الوقائع السياسية و العسكرية التي تخص روما و هذا مع بداية إحتكاكهم بها، و لذلك سنجد أن البدايات الأولى للوقوف عند تفاصيل من حياة سيفاكس هي تلك التي تسجل له كحليف للقائد القرطاجي حنبعل حيث جند هذا الأخير جند من المازاسيليين. كما أنه ما بين 219 ق. م و 218 ق. م قد جند حنبعل من المدن الميتاجونية [33] و هي المدن الساحلية الواقعة بين رأس بوجرون و رأس سبارتال Cap Spartel، نحو أربعة آلاف مقاتل مازاسيلي، و قد طلبتهم قرطاجة ليكونوا عونا لها في مواجهة أي هجوم روماني معاكس. و نقول أن هذا العدد من المقاتلين المازاسيليين الذين أصبحوا فوق أراضي قرطاجة قد أحيوا لدى الملك المازاسيلي سيفاكس أطماعا توسعية كانت تراوده من قبل و أراد أن يستثمر الوجود العسكري المازاسيلي داخل الأراضي القرطاجية، كدعامة في تحقيق هذه الأطماع. فتحرك حوالي 213ق.م ودعت على أثر هذا التحرك قرطاجة [34]، جزءا من فرقها الموجودة في إسبانيا و أيضا القائد هزدروبعل، للعودة، مما بدت لهم هذه الحرب من خطورة [35] و أن السبب في هذه الحرب لم يعود إلى مطالبة سيفاكس باراضي بونيقية لأنه يفصله عنها مملكة جايا.

و من المحتمل أن السبب الحقيقي الذي لم يشر إليه تيتوس ليفيوس و لا أبيان يتعلق ببعض الثغور الساحلية [36] التي كانت بالنسبة لقرطاجة قواعد عسكرية تتمون منها من أجل تغطية نفقات الحرب التي كانت تدور رحاها بإسبانيا مع الرومان. و كان جايا قد إنحاز إلى جانب القرطاجيين و السبب يرجع إلى أنه كانت ثمة نزاعات بينه و بين سيفاكس

حول منطقة تقع بين حدود المملكتين [37]. و قد إنهزم سيفاكس في هذه الحرب وفقد حوالي ثلاثين ألف جندي و لجا مع ما تبق له إلى موريتانيا حيث إستطاع أن يجمع فيها جيشا. و بينما كان يستعد للإتجاه جنوب إسبانيا فاجاه ماسينيسان الشاب الذي قد أعطى له أباه قيادة الجيش و بدون مساعدة القرطاجيين ألحقه هزيمة كبيرة. و السبب الذي جعله يتجه نحو إسبانيا و يهمل إسترداد مملكته يعود إلى أنه كان ينوي مشاركة الرومان في محاربة القرطاجيين و إضعاف قواهم و لعقد تحالف مع الرومان.

و قد أعيد السلام بين سيفاكس و القرطاجيين حوالي عام 212 ق.م قبيل موت الأخوين سكبيو [38]: أما تيتوس ليفيوس [39] فيذكر أنه في عام 210 ق.م، أرسل سيفاكس إلى روما سفراء ليعيدوا ذكرى العلاقات الودية بين سيفاكس و روما. و قد عين مجلس الشيوخ الروماني ثلاثة نواب و هم P. Poetelilis، ؛ L. Genucius و P. Popillius. كلفوا بحمل الهدايا للملك سيفاكس و هي عبارة عن: روب القضاة، جلباب أرجواني اللون، مقعد من العاج و كاس من الذهب يزن خمسة أرطال. كما كلفوا بزيارة بعض رؤساء القبائل و أهدائهم أثواب و كؤوس من الذهب تزن كل واحدة ثلاث أرطال.

لكن بعد هذا التاريخ باربعة سنوات لم يرى سيفاكس نفسه ملتزما لروما إذ نراه مرتبطا بعلاقات صداقة مع القرطاجيين [40] لكن حوادث أخرى جرت في نوميديا شرقية تركت سيفاكس يظهر مرة ثانية على مسرح الأحداث الداخلية. و قد رأينا كيف أن وفاة جايا قد فتحت الباب أمام العديد من الصراعات الداخلية على السلطة بين العم الشرعي الذي لم يحكم إلا لشهور قلائل، ثم بين ورثته الشرعيين و بين الثائرمازيتول الذي نادى بحق قديم لأسرته في الحكم. كما رأينا كيف أن قرطاجة قد أرادت أن تعجل الأحداث في المنطقة قبل وصول ماسينيسان

قادما من إسبانيا، و كيف أن قرطاجة قد إستعانت بالمازاسيليين ليتدخلوا في الأمر و ليتسعوا في المكان على حساب الماسيليين، أملا في جعل ماسينيسان أميرا محيض الجناح مكسور الشوكة طريد الغرباء، فكانت نتيجة ذلك أن خاض ماسينيسان معركة ضد سيفاكس إنتصر فيها الأخير و إحتل على أعقابها كل ماسيليا مع عاصمتها كرتا منذ عام 206ق.م حتى عام 203 ق.م.

1 - التنظيم السياسي و الإداري للملكة المازاسيلية :

يكاد التنظيم السياسي و الإداري للملكة المازاسيلية يكون مجهولا. و من الملاحظ أن الملك هو الوحيد الذي من حقه ضرب المسكوكات، فمن بين المجموعتين النقديتين، فالمجموعة الأولى التي هي عبارة عن صورة تمثال نصفي للملك ظهر فيها وله لحية مدببة الطرف عاري الرأس يبدو فيها شعر رأسه قصيرا. و وفوق رأسه تسع دوائر أما خلف العملة فيتوسطها صورة لرجل يمتطي حصانا بدون سرج و يبدوا عليها الرجل و هو مرتدي المعطف التقليدي الذي إشتهر به البربر و هو «البرنس»، يمسك بيده اليسرى عصا و بيده اليمنى أحيانا لجام الحصان [41] و أحيانا أخرى رموحا قصيرة [42]، و أسفل بطن الحصان يوجد مستطيل كتب عليه بالبونيقية و التي ترجمت بالحروف اللاتينية إلى Sphq Hummlkt [43] و تعني سيفاكس رئيس الدولة، ملك المملكة [44].

أما المجموعة الثانية و التي تبدو أحدث، ظهر عليها تمثال نصفي للملك سيفاكس و عمره أصغر و على رأسه تاج من طراز التيجان التي كان يضعها الهلينستيون على رؤوسهم [45]، و شعر رأسه يبدوا

مموجا و لحيته دائرية الأطراف. و في مواجهة وجهه على الناحية اليمنى من العملة وجدت دوائر. أما خلف العملة، فيتوسطها رجل يمتطي حصانا متجها نحو الشمال[46]، و ربما يرمز إتجاه الفارس المسلح أو المحارب إلى إتجاه العمليات الحربية التي كان يقودها سيفاكس أو إلى قيمة العملة. بينما كان الفارس في المجموعة الأولى متجه نحو اليمين أو الغرب و محاولاته الأولى لإخضاع القبائل المحيطة به و توحيده مازاسيليا في الوقت الذي كانت سياسته متجهة نحو الغرب. إذ رأينا في فترة من الفترات و خاصة عام 213 ق.م أنه أهمل إسترداد أملاكه التي إحتلها الماسيليون و القرطاجيون عبر مضيق جبل طارق للإلتحاق بالرومان هناك. كما أنه كانت تربطه بإسبانيا علاقات إقتصادية. لكن بعد تاريخ 206 ق.م بدأت سياسة سيفاكس تتجه شرقا و كانت ماسيليا منظر أطماعه حيث إحتلتها ما بين 206 ق. م و 203 ق.م و المجموعة النقدية الثانية التي تمثل الفارس الذي يمتطي حصانا متجها شرقا ربما ترمز إلى سياسة سيفاكس الجديدة و إهتمامه بالشرق.

و كان سيفاكس، ملكا قويا إستطاع أن يوسع نفوذه، و أن يضم كل نوميديا في حوزة مملكته، كما كانت له سياسة خاصة إتجاه عالم البحر الأبيض المتوسط و علاقات صداقة و تعاون إقتصادي مع إسبانيا، روما و قرطاجة في الفترات التي تخلوا منها النزاعات. سيدا على كل موانئ الساحل الوهراني، حاول أن يجعل من اللقاء الذي جمع بين أكبر قادة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، مؤتمرا للقمة حيث تنافست كل من روما و قرطاجة لتجعل منه حليفا لها. و من أجلها ترك القائد الروماني سكبيو قيادة جيشه لعدة أيام لأحد ضباطهن و عبر البحر للتفاوض مع الملك المازاسيلي و هو حدث فريد من نوعه في تاريخ الحروب الرومانية.

2 -المدن المازاسيلية :

- سيجا عاصمة المملكة :

و هي أهم و أقدم مدينة في المملكة المازاسيلية، ذكرتها النصوص كعاصمة أولى و أصلية لسيفاكس[47]. و قد جمعت في صيف عام 206 ق.م بين أعظم قادة عرفهم تاريخ الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط و هم سكبيو الروماني و أزدروبعل القرطاجي. أراد سيفاكس أن يجعل من سيجا موضعا لمؤتمر قمة يجمع بين العدوين التقليديين الروماني و القرطاجيين على ما ظنت أمكان المصالحة بينهما.

و تقع مدينة سيجا على الضفة الشمالية لنهر التافنة Tafna على بعد تسعين كيلومترا شرق نهر الملوية. أثارها حاليا تقع بالقرب القرية المعروفة بإسم تاكامبريت Takembrit، كما أنها تبعد عن الساحل البحر بمسافة خمسة كيلومترات و ميناؤها إلى الجنوب، يقع عند مصب النهر الواقع في مقابلة جزيرة رشجون Rachgoun[48].

و كانت مدينة سيجا و ميناؤها من ضمن ممتلكات قرطاجة و قد ذكرت في مدونات رحلة سيلاكس عند وصفه للمراكز البونيقية الواقعة على الساحل الشمالي لأفريقيا إذ يقول: «... سيجا Sige، هي مدينة على النهر، مسبوقة بجزيرة أكرة»[49] و يبدوا أن إنتقال ملكية الثغر الساحلي من قرطاجة إلى سيفاكس إنما قد تم بطريق ودي وسلمي، إذ من المرجع أن قرطاجة قررت في فترة تحالفاتها مع المازاسيليين أن تقوي من حليفها المازاسيلي بان تعطيه منفذا على البحر يمكنه من إبحار الأسطول و مد خطوط الإمداد البحري، مما ينعكس بالقوة على الوضع الإستراتيجي للقرطاجيين في منطقة الساحل.

ففي مدينة سيجا ضرب سيفاكس أغلبية مسكوكاته كما أن بعض القطع النقدية التي عثر عليها بآثار مدينة سيجا، تحمل وسما بونيقيا مجددا يرجع للقرن الأول ق.م و كان لفظ شيجان (Shigan) ينقش على هذه المسكوكات [50]. كما وجد دار لسك العملة الملكية يرجع إلى الملك بوخرس الصغير Le jeune Bocchus [51]. و قد عثر في موقع سيجا الأثري بمنطقة تكمبريت على أدوات أثارية غير أن غالبيتها ترجع إلى العهد الروماني، كما كشفت لنا التنقيبات الأثرية التي جرت في سيجا [52] منذ عام 1937. على مسلتين تحمل نقوشا ليبية. و في عام 1953 نشرت [53] مجموعة من الشضايا الفخارية ذات الطراز البونيقي مصحوبة بقطعة نقدية لسيفاكس. كما عثر في سيجا على ست قطع نقدية لسيفاكس [54]. و في عام 1961 عثر على وثائق مودعة الآن بمتحف وهران الوطني، تتالف من كتابة بونيقية مجددة و تاجا لعمود [55]. و في عام 1962 قامت مجموعة من سكان مدينة تلمسان بعملية تنقيب أسفرت على الكشف عن جزء من جرة و على تاج عمود قد صنع على الطراز الكورني، و يعود إلى عهد متاخر، و هو غير مكتمل الصنع [56]. أما في أبريل عام 1969 فقد أكشف [57] على ثلاث عشرة مسلة جاءت لتزيد ثروة سيجا الأثرية و كلها غير منقوشة و ترجع إلى عقيدة عبادة الرب الروماني ساتورنينوس «Saturninus» و أن بعضها يعود إلى بداية العهد الروماني و أن البعض الآخر منها يعود إلى نهاية العهد الروماني. هذا و لم ينته الكشف عن كل ما يمكن أن يكون مدفونا من آثار الماضي القديم الخاص بهذه المدينة و ربما التنقيبات التي ستجري في المستقبل ستكشف عن آثار جديدة تغطي الثغرات الكبيرة لتاريخ مدينة سيجا بصفة خاصة و تاريخ المملكة المازاسيلية بصفة عامة.

- المدن الساحلية لمازاسيليا :

إعتبرت المدن الساحلية منافذ و مراكز هامة لمازاسيليا قد ساهمت في تجارة البحر الأبيض المتوسط، و في التبادل الحضاري بين مازاسيليا و العالم الخارجي. و قد ذكر البعض منها ضمن ممتلكات قرطاجة، غير أن موقعها داخل الأراضي المازاسيلية يعطينا الحق في الحديث عنها كاراضي مازاسيلية خاصة و أنه إسترجع البعض منها أو أغلبيتها عام 213 ق.م.

فقد وجدت مدن نوميدية بين المراكز البونيقية أو الفينيقية و أحيانا أخرى مدينة بونيقية و مدينة نوميدية تقع على مقربة منها مدينة تحمل نفس الإسم [58] مثل مدينتي كلكيا النوميدية و البونيقية اللتين أشار إليهما سيلاكس.

فقد ذكر سترابون إعتمادا على وثائق سابقة لعصره، و شرقي سيجا بعض المراكز الساحلية مثل:

- الميناء المقدس Portus Divini، عند الرومان و المعروف حاليا بالمرسى الكبير Mers El Kebir أو المرفا الكبير.

- أيول Iol، و هي مدينة شارشال حاليا أطلق عليها الملك النوميدي يوبا الثاني بعد أن جعل منها عاصمة له إسم قيصرية Caesaree تكريما ليوليوس قيصر. و سميت يول نسبة للرب الفينيقي يول [59]. كما نجد إشارة لها في القرن الرابع ق.م ضمن مدونات رحلة سيلاكس، بانها كانت قرطاجية [60] و قد عثر فيها على أدوات من بينها صنج من البرونز عليه نقش بونيقي [61]، و عدد من النقوش البونيقية الجديدة من ضمنها كتابة معاصرة للملك ميكواسن [62].

- سلداي Saldae، و هي بجايا حاليا و تقع بجوار مصب نهر الصومام و أشار سترابون مبرزا أهمية هذا المركز البحري [63]. و قد عثر فيه على مسلات تحمل نقوشا بونيقية.

- سيد، و قد ذكرها سيلاكس [64] ضمن مدونات رحلته و من الجائز أنه يقصد Saldae خاصة أنه أشار إليها بين ثابسة Thapsa (سكيكدة حاليا) و يوليواكرا Iouliou Acra أو (شارشال حاليا).

- إيجيلجيلي Igilgili (جيجل حاليا) [65] و تقع بين رأس بوجرون و خليج بجايا. قد عثر فيها على مدافن من الطراز الفينيقي [66] وتعود بعض الفروض بالتسمية إلى إسم فنيقي الأصل، كما وجد بها بقايا معامل لصناعة الأرجوان.

و ثمة وثائق تعود للعهد الروماني تعرفنا على خمسة مدن تقع بين بجايا و الجزائر و تبتدأ بالكلمة الفينيقية رأس أو «روش» Roush و هي: روزازوس Rusazus (أزفون Azzeffoun)، روزوبير Rusippir، و هي تاكسابت حاليا Taksebt على رأس تادلس Tadless، ثم روزوكورو Rusuccuru، و هي دليس Dellys حاليا قرب مصب نهر السباو Sebaou ثم غربا روزوبيكاري Rusubbicari و هو مرسى الحجاج حاليا و تليها روزجيناي Rusguniae أو عين أشرب حاليا Cap. Mat. Fou شرقي الجزائر العاصمة.

- إيكوزيوم Icosium و لها ميناءان، الأول يحمي من الرياح الشرقية و الثاني يحمي من الرياح الغربية.

و قد أطلق العرب عليها إسم الجزائر نظرا لكثرة الجزر الصغيرة القريبة من أراضي الشاطئ و هي حاليا ملتسقة بالشاطئ. و يبدو أن إيكوزيوم كانت مركزا فنيقيا، و أن الأسطورة التي ترجع مؤسس هذا المركز إلى رفقاء هرقل ليست بدليل قاطع

أنها أغريقية إذ إعتبرنا أن هرقل المشار إليه هو الإه الصوري ملقرت Melquart. و قد عثر بإكوزيوم على بقايا بونيقية منها مصباح [67] و احجبة و تمائم من النوع المصري القديم .

- تيبازا [68] Tipaza قد عثر بها على أدلة أثبتت التواجد البونيقي و النوميدي بها، و قد تمثلت هذه الأدلة في بعض المسلات التي ترجع للعهد الروماني و قد رسم عليها رمز الربة تانيت [69] و بعض الدهاريز البونيقية [70]، كما عثر بتيببازا على صور تمثل عبادة الثعابين و تعود للعهد الإمبراطورية الرومانية [71]. كما تم التنقيب و الكشف على ميناء صغير يرجع للعهد الروماني [72] و يحتمل أن يكون هذا الميناء شيد على أنقاض الميناء الفينيقي القديم.

ما بين مدينتي أيول و سيجا Siga، أشارت مدونات سيلاكس [73] إلى مدن نجهل مواقعها الحالية و هي: هبدوموس Hebdomos، مدينة و مينائها، ثم جزيرة أكيون Acion و جد بها مدينة و ميناء، و جزيرة بساماثوس Psamathos، بها مدينة و ميناء، و في الخليجي جزيرة بارتاس Partas ميناء كالكا Chalcoi ، ثم مدينة على نهر، اريلون Arylon، ثم مدينة ماس و مدينة و ميناء.

فمن غير الجائز إرجاع الجزر الثلاث المذكورة التي تحمل إثنان منها مدن إلى الجزر الصغيرة المنتشرة حاليا على طول الساحل، و من المحتمل أن الزلازل قد غيرت التكوين الجيولوجي لتلك المنطقة عبر العصور.

و قبل أن يضم النوميديون إلى حوزتهم المراكز البونيقية ما هي العلاقات السياسية التي كانت بين تلك المراكز و الملوك أو الأمراء و الرؤساء النوميديين ؟.

فمهما كانت قوة قرطاجة فلم تستطيع أن تفرض على الملوك أو الرؤساء النوميدين إنشاء هذه المراكز. فعرفنا من خلال أسطورة تاسيس قرطاجة أن هذه الأخيرة، كانت تدفع ضريبة سنوية إلى الملوك النوميد حتى القرن الخامس ق. م نتيجة بنود تحالف بين الطرفين. و من المحتمل أن يكون مثل هذا القانون قد أطلق على المستعمرات الفينيقية و البونيقية الأخرى. أو أنه قد وجه بالضرورة أنظمة قائمة على أسس تعايش سلمى طويل بين النوميديين و القرطاجيين، و قد وجد مستعمرات مستقلة عن قرطاجة مثل تلك التي أسسها الفينيقيون (أوتيكا و غيرها من المستعمرات) و قد كان للرؤساء المحليين و القرطاجيين نفوذا مشتركا عليها و هو الحال أيضا بالنسبة للمدن الساحلية التي أطلق عليها إسم ميتاجونيت Metagonitis [74]، التي جند منها حنبعل (219- 218 ق.م) أربعة آلاف فارس لحماية قرطاجة في حالة ما إذا هاجمتها روما.

أما حول موقع هذه المدن فإختلفت الآراء،

و من المحتمل أيضا أن تكون هي المدن التي سبب إسترجاعها من طرف المازاسليين عام 213 ق.م حربا بين الطرف القرطاجي و المازاسيلي.

أما المدن المازاسيلية من الناحية الغربية فنذكر منها تلك التي يرجع تاريخ عمرانها إلى القرن الخامس قبل الميلاد.

فقد أقيمت [75] دراسة دقيقة حول السلم البونيقي للساحل الوهراني، ففي جزيرة رشجون Rachgoun المقابلة لمصب نهر التافنة Tafna قد أرح عمر إحدى المقابر التي أكشفت هناك إلى القرن السادس و الخامس ق.م.

و مركز مرصة مذاق Marsa Madakh و الذي كان قد أقام فيه تجار فنيقيون قد بدأ مهجورا في القرن الثالث بعد أن رأى تهديما ثم أعيد تعميره [76].

ففي St Leu و الأندلس Andalouses [77] وثائق من عهد حديث أثبتت أهمية العلاقات الإقتصادية التي كانت بين هذا المركز و إسبانيا. وإذا ملنا ناحية الشرق أمكننا العثور في ميناء الجلته Guelta على تمثال إغريقي يبدو أن تاريخه يرجع إلى حوالي سنة 410 ق.م لكن وجوده في الجلته ليس قديما بالضرورة.

أما مركز Gunugu و الذي يبعد عن مدينة شرشال بثلاثين كيلومترا إلى الغرب و هو معروف حاليا بجوارية سيدي إبراهيم (Gouraya Sidi Brahim) فقد عثر فيه على مزهريات من طراز آتيكي يرجع تاريخها إلى القرن الخامس ق.م و على الأسطح الخارجية لهذه المزهريات وجدت زخارف و نقوش تاكد أن هذا البناء الذي لم يذكره سترابون و لا مدونات رحلة سيلاكس كان عامرا منذ القرن الخامس ق.م و له روابط إقتصادية مع إسبانيا الجنوبية و اليونان [78].

هذا الفخار الأتيكي أيضا و الذي وجد في جورايا له أهمية كبيرة خاصة وأنه يفتح مجال كبير لدراسة التاريخ الإقتصادي للحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، الذي يبدو سالكا الطريق البحري منذ السواحل الوهرانية حتى المغرب المفتوح على البحر المتوسط ثم عابرا خليج جبل طارق حيث يصل عند مصب الأنهار الكبرى للسواحل المغربية للمحيط الأطلنتي إذ وجد في لكسوس Lixus بقايا للفخار الأتيكي من نفس العهد (القرن الخامس ق.م).

و ما قد يترتب من إفتراضات تاريخية عن وجود المزهريات الأتيكية في جورايه قد يفضي إلى نتائج أخرى. فإن ذلك الطريق البحري لا يختلف عن الطريق الإقتصادي المفتوح للفنيقيين و القرطاجيينن، لكن من الملاحظ أنه في القرن الخامس، و في الوقت الذي كانت أعمدة هرقل محظورة على عبور البضائع الإغريقية، كانت أيضا بعض مواد تلك التجارة قد إشتركت مع مواد التجارة البونيقية و وجدت دلائل واضحة تدعونا إلى الإفتراض بان تلك المزهريات الأتيكية ليست بمجرد تصدير بونيقي للفخار الإغريقي و التي قامت قرطاجة بتجارته و بيعه في الموانئ الغربية.

لكن لوحظ أن هذا النوع من الفخار الأتيكي مفتقد تماما في المقابر القرطاجية التي ترجع إلى القرن الخامس من جهة ثانية، فإن إستيراد الفخار الأتيكي قد توفر في نفس الفترة في جنوب صقلية في مدن: جيلة Gela و أجرجنتوم Agrigentum و سليمونت Selimenti. و من المحتمل أن تصدير الخمر و الزيت الذي إشتهرت به أجريجنت لم يتوجه كله إلى قرطاجة لكن جزءا منه قد صدر إلى المراكز البونيقية في الغرب، و قام بتلك العمليات تجار صقليون زودوا تلك التجارة ببظائع أخرى مثل الفخار الأتيكي. و هذا الإفتراض يثبت ذلك الوجود الأتيكي في جورايا [79].

و بهذا نرى أن مازاسيليا كانت لها روابط تجارية مع أثينا بواسطة التجار الصقليين مستقلة عن الحركة التجارية القرطاجية. كما أثبت ذلك وجود تمثال صغير من صنع الإغريقي عثر عليه في ميناء الجلتة [80].

3- العلاقات التجارية بين مازاسيليا و جنوب إسبانيا :

كما ذكر سابقا أن ثمة وثائق أثرية وجدت في ميناء الأندلس Andalouses و St leu أثبتت أهمية التبادل التجاري بين إسبانيا و مازاسيليا. و لا يعرف على وجه التحديد المواد التجارية التي كان يتبادلها كل من الميريا (إسبانيا) و مازاسيليا.

لكن إعتمادا على الوثائق الآثرية الموجودة يبدو أن مازاسيليا كانت تستورد الفخار من النوع الأيبيري و الخزف المصبوغ بالأحمر اللامع. و بدأت تلك الحركة التجارية بين جنوب إسبانيا و مازاسيليا منذ العهد النيوليتيكي و يحتمل أنها كانت أيضا تستورد بضائع من المعدن يفتقر إلى وجوده في شمال أفريقيا.

أما البضائع التي كانت تصدرها مازاسيليا فهي العاج و قشر بيض النعام. فإن صناعة الحفر على العاج تبدوا و قد صنعت في المدن البونيقية الكبيرة مثل قرطاجة و قادش لأن زخرفة الأمشاط المصنوعة من هذه المادة لها شكل شرقي.

أما عن قشر بيض النعام فقامت إستروك بدراسة مقارنة بين بيض النعام الذي وجد في المنجم الأثري بفيلاريكوس Villaricos (إسبانيا) مع الذي وجد في مقابر جونوجو.

فمن بين العدد الهائل لقشر بيض النعام (حوالي 700 بيضة) أكتشف بيضة واحدة مزخرفة قادمة من جورايا أما الباقي فكان يصدر إلى إسبانيا خالي من الرسم و أن بعض عناصر الرسم تبدو متاثرة ببعض التقاليد القديمة الناتجة عن الفن الهندسي النيوليتيكي لجنوب شبه جزيرة إيبيريا [81] لكن سانتاس كان يرى العكس إذ لاحظ في هذه الزخرفة تاثيرا ماخوذا عن الفن الزخرفي الفينيقي [82] مع تمسكه بالرأي

بان الزخرفة كانت تتم في إسبانيا، أما عن البيضة التي إكتشفتها إستروك أنها صدرت مزخرفة من جونوجو إلى إسبانيا يبدوا أنها صدرت وحدها لأنه لم يعثر حتى الآن عن وجود قشور أخرى مماثلة.

و بعد أن قامت إستروك بدراسة مقارنة بين زخرفة قشر بيض مدينة جوراية [83] و زخرفة الفخار الذي وجد أيضا في جوراية (مزهرية) و مع الفخار المرسوم القرطاجي، و المسلات البونيقية و الشفرات فلم يجد مقابل لرسم قشور جورايا رغم وجود بعض التاثير البونيقي الشرقي في بعض العناصر المشتركة للرسم.

و مفتاح سر زخرفة جونوجو توجد في العبارة التي تمثل «المسافات الأربعة المتتالية التي تحمل الشكل الهندسي المقلوب و الشكل النباتي المستقيم».

إن الشكل الهندسي الذي رسم فيه مثلث لو كان مستقيما لو قورن مع رمز الربة تانيت و أن وضعه المقلوب قد ينفي تلك الفكرة. و حتى الآن إحتفظت شمال أفريقيا ببعض الأشكال الهندسية المقلوبة في زخرفة الفخار البربري (المعاصر) و المتمثل في الوشم و السجاجيد.

يرى جزال [84] في هذا الرسوم تاثير قبرصي Chypre و إيجي يعود إلى العصر البرونزي. لكن الزخرفة النباتية تعتبر من خصائص الذوق الأفريقي. و فيما يتعلق ببعض الرسومات التي وجدت على فخار منطقة أيت داود [85] إذ: «... من الصعب التسليم بان (الرسم) عبارة عن زخرفة بسيطة بدون معنى و مستعملة في الفخار كحشو، و ليست أيضا عبارة عن أشكال إستعملت لتعطي زخرفة معقدة الشكل) ...(لكن هذه الرموز تذكر بنظام كتابي «إديوغرافي لتدوين أفكار».

و مهما كان أصل هذه الأشكال فإن هذه الرموز، رمز جونوجو و
رمز تانيت يعتبران ضمن المجموعة الأفريقية للرموز التي لم تفك بعد.

و قد كان للخصائص الشخصية التي حازها سيفاكس، إضافة
للخصائص الإستراتيجية التي كانت تتمتع بها مواقعه الساحلية، تنافست
على محالفته مجموعة القوى العظمى في ذلك العصر القديم، و أقصد
بها إسبانيا و روما و قرطاجة.

و قد لعب سيفاكس دورا تاريخا هاما في الحرب البونيقية الثانية،
إذ حاول مرتين أن ينهي الحرب عن طريقه و لعل تحيزه إلى جانب
قرطاجة يرجع إلى تخوفه من طموح سكبيو فكان ملكه صراعا طويلا ضد
جيرانه هذا لو إستثنينا الحروب التي خاضها ضد قرطاجة و روما.

و قد إنتهت المملكة المازاسيلية مع نهاية سيفاكس، و يذكر
سترابون في هذا الصدد على الجزء المتاخم لموريتانيا من مازاسيليا و
الذي كان مصدر ثروة سيفاكس العسكرية و المادية و الذي إشتهر بغنائه
أصبحت الآن الأقاليم المتاخمة للحدود القرطاجية و الماسيلية أكثر إزدهرا
و ثراء و بها كل شيء. و هذا شيء طبيعي حيث أن سقوط سيفاكس
كان سقوطا عسكريا و حربيا إقترن بغزوة خارجية إجتاحت الأمة و دمرت
الحصون و إستولت على البلاد. كما أن كثرة الحروب الداخلية التي إشتبك
فيها مع جيرانه و مع القرطاجيون و الرومان، و قد ترتب على هذه الحروب
أن إستنزفت غالبية موارد الدولة مما أسرع الخطى بها نحو الضيق
الإقتصادي و الفقر العام. و أصبحت مازاسيليا عبارة على عائلة تحمل
نفس الإسم و دام وجودها عهد الروماني.[86]

و أنه حسب القاعدة العامة التي وضعها إبن خلدون في بداية القرن الرابع عشر الميلادي، أن الكنفراليات الحربية الكبرى التي تنشا الإمبراطوريات تضمحل بسرعة و هي قاعدة يمكن تطبيقها على إضمحلال المملكة المازاسيلية، و ذلك لأسباب منها:

1) نمو حركات المقاومة في الداخل و وجود معارضة عسكرية.

2) إتساع أرجاء الدولة مع عدم تيسر طرق النقل و المواصلات.

3) نمو الروح الإستقلالية خاصة في الأطراف البعيدة.

صيفات سيفاكس :

و يمكننا بعد ما سبق من عرض، و بالنظر إلى المسكوكات الباقية، أن نحدد أهم الملامح الشخصية المميزة لسيفاكس :

1) فهو من الناحية الفيزيقية شخص لا تدل ملامحه على حب المغامرة، بل أننا نرى فيه شخصية الشيوخ ممن يميلون إلى تصريف الأموال بالعقل لا بالسلف، و لهذا إتسمت أهم أعماله البارزة بكونها أعمال سياسية لا حربية.

2) لم يكن يتصف في سياسته بالدهاء، بل كان صاحب شخصية غير ملتوية إنعكست على خطوط سياستيه بالوضوح و العلن.

3) على الرغم من أننا نعثر لسيفاكس على نقوش المسكوكات على صور شتى قد لا يقوم بين الصورة و الأخرى تشابه ملموس، مما قد يوقع بالباحث في حيرة الإستدلال على تحديد الشكل أو الرسم أو الصورة الخاصة بسيفاكس على وجه الحقيقة، و لكن، نستطيع أن

نقول بشكل عام أن الصور المختلفة التي يظهر بها وجه سيفاكس على المسكوكات تنمو عن شخص يميل إلى الإستقرار الحضاري و السلوك النظري و التنعم و الهدوء أكثر من ميله إلى سلوك الحرب و الدمار.

مازاسيليا بعد موت سيفاكس :

1- فرمينا Vermina :

إختلفت الآراء حول بقاء و إستمرارية المملكة المازاسيلية بعد القضاء على سيفاكس. أما بوليبيوس المعاصر للأحداث فلم يذكر إلا القليل عن مازاسيليا حيث يذكر أن ماسينيسان قد إحتل ما بين عامي 203 ق.م و 202 ق.م كل مازاسيليا أما تيتيوس ليفيوس، فبعد أن يقول أنه ظهر يحارب القرطاجيين في أواخر عام 202 ق.م بعد معركة زاما، ليعود ليقول أنه حكم في جزء من مازاسيليا و بادر عام 200 ق.م بإرسال بعثة إلى روما يطلب من مجلس الشيوخ الروماني العفو عما بدر منه من مساعدة القرطاجيين، كما قدمت البعثة أيضا طلبا بإسم قارمينا للإعتراف بسلطته في المناطق التي يسيطر عليها [87]، غير أن مجلس الشيوخ الروماني رد بانه من الأفضل طلب السلام قبل طلب السلطة، و أرسل بعثة رومانية إلى الأراضي التي يقوم بها قرمينا لبحث شروط السلام معه. وافق قارمينا على شروط الرومان و أرسل بدوره مرة أخرى بعثة جديدة إلى روما للتصديق على هذه الشروط [88].

أما أبياتوس الذي يشير في الأول أن سيفاكس قد سجن مع أحد أبنائه يعود ليقول أن قارمينا كان، عام 202 ق.م يتحكم في غالبية أجزاء

مملكة أبيه و أنه كان يمد بالعون حنبعل الذي كان متمركزا في حضرا موت Hadrumetum (أو سوسا حاليا).[89]

يشير ديوان كاسيوس [90] بدوره إلى أن فارمينا كان قد سجن مع أبيه عام 203 ق.م ثم أطلق سراحه. و هو الرأي الأقرب إلى التصديق لأن عودته إلى نوميديا التي تمت بامر مجلس الشيوخ الروماني قد تفسح للرومان مجال أوسع في تحقيق مآربهم خاصة و أنهم كانوا يريدون رجلين حليفين في المنطقة.

فيبدو أن فارمينا إستوعب الدرس من ماسينيسان و أراد أن يلعب مع الرومان نفس لعبة ماسينيسان معهم.

أما المسكوكات [91] التي مثلت صورة تمثال نصفي للملك بدون لحية و متوجا يبدو فيها شابا صغيرا و على ظهره رسم صورة حصان حر غير ملجم أسفل بطن الحصان مستطيل كتب عليه "الملك فارمينا" أما عن نهاية فارمينا فيمكن القول أنه قتل في إحدى المعارك بينه و بين ماسينيسان. و بهذا يمكن القول أنه قد حكم مدة قليلة بعد أبيه في جزء ضيق من ممتلكاته بعد نزوحه جنوبا في المناطق المتاخمة للقبائل الجدالة و هذا إذا وافقنا على رأي بوليبيوس الذي يشير إلى أن ماسينيسان قد إحتل ما بين عامي 203، 204 ق.م كل مملكة سيفاكس [92]. و خاصة منها المناطق الغنية و أن ظهور الأمير أركوبارزان أحد أحفاد سيفاكس على مسرح أحداث الحرب البونية الثالثة عام، 15 ق. م و إمداد قرطاجة بالعون العسكري لا يعني وجود مملكة مازاسليا في هذا التاريخ.

1 .C. I. L, VIII, 9010

St. Gsell, Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique de Constantine (R. S. A. C). T. XXXVI ; 1902, P. 30 No 3 « Masesu.

2 .Titus Livius, XXVIII, 17, 5, XXIX, 30, 10

3 .Pliny, V, 17

4 .St. Gsell, H. A. A. N; T.V; P. 96

5 Ch. André Julien, Histoire ancienne de L'Afrique, des origines à la conquête Arabe, Op. Cit., P. 95.

6 .Pliny, Hist., Nat., V, 17, 52

7 .Ptolémée, Geogr, IV, 2, 5

8 .St. Gsell, H. A. A. N, Op. Cit., T.V. P. 97

9 Plutarque, Di Mul Virt, 10. و قد جند حنبعل جيوش من المازاسيليين في هذا العام خلال وجوده باسبانيا.

10 Ploybius, III, 32, 15. و هو نص نقله عن نقش مزدوج لحنبعل بإسبانيا يذكر فيه أنه جند ما بين عامي 219 و 218 ق.م فرسان من الماازاسيل.

11 .Strabon, Géo. XVII, 3, 12

12 .Strabon, Géo., XVII, 3, 11

13 St. Gsell, H. A. A. N., Op. Cit., T. V, P. 193. و هو نفس النص الذي نقله عن كتابة مزدوجة قد نقشها حنبعل في أسبانيا.

14 .Strabon, Géo., XVII, 3, 11

15 .St. Gsell., Atlas, Op. Cit., Feuille 12, No. 20, 41

16 .Strabon, Géo., XVII, 3, 9, 13

17 .St. Gsell, H. A. A. N. Op. Cit., T. V, Pp. 91- 94

18 .G. Camps, Massinissa, Op. Cit. p.167

19 G. Camps, loc. Cit

20 . St. Gsell, Atlas Archéologique. Op. Cit., Feuille 1 Collo

21 .Titius Livius XXVIII, 17, 5

22 .St. Gsell, H. A. A. N. T. V, Pp. 91- 94

23 .Strabo, Géo., XVII, 3, 13

24 E. F. Gauthier, Structure de l'Algérie, Paris, Société d'Editions .Géogr. 1922, P. 212

25 Polybius, XVI, 23, 6 ; Diodorus Siculus XXVII, 6 ; - Polybius., .Appian., Iber., 29 ;- Titus Livius, XXIV, 48 -2

26 .Plutarque Di.Mul. Virt, 10 ; Polybius, III ; 33, 15

27 A. Berthier et R. Charlier, Le sanctuaire punique d'El Hofra à .Constantine, Op. Cit., Steles, 58, P. 54

28 .Jean Mazard, Corp, Num, Numi, Maur, P. 18

29 .Plutarque, Sertorius, IX نلاحظ أن مدينة سفاكس Sfax بالجمهورية التونسية قريبة الشبه من إسم الملك سيفاكس.

30 Ibn Khaldoun, Histoire des Berbères, Traduction de Slane T. V., .P. 572

31 L. Charrier., Description des monnaies de la Numidie et de la .Mauretanie. Protot, 1912, No. 110

32 .Jean Mazard, , Op. Cit., Pp. 17, 18

33 .Plutarque, Di Mul, Virt., 10 ; - Polybius, XVI, 23, 6

34 .Appian, Iber, 15, 16 ; - Titius Livius, XXIV, 48

35 .Appian, Iber, 15, 16

36 .G. Camps, Massinissa, Op. Cit., P. 168

37 .Titius Livius, XXIX, 31, 4, 5

38 .Appian , Iber, 16

39 .Titius Livius, XXVII, 4, 5, 9

40 .Titius Livius, XXVIII, 17, 6., Zonaras, IX, 10, P. 434

41 Jean Mazard, Corp Num, Numi1 ., Maure ., Op. Cit, P. 18, No 1, .5, 11

42 .Jean Mazard, Ibid., P. 19, No .3, 6, 9, 10, 12

43 .Jean Mazard, Ibid., P.18

44 L. Muller Numismatique de L'Afrique Ancienne. Préparé et commencé par C. T, Falbe et J. Chr. Lindberg, Analdo Forni Editore .Bologna, Ttaly

45 .Mazard, C. N. N. M. Op. Cit., P. 18

46 .Ibid, P. 20, 21, No 10, 11, 12

47 Titius Livius, XXVIII, 17 (12 -6), 18, 17, 7, 8.- Polybius, XI, 24 a, 4 ; Appian ., Iber, 29, 30.- Dio Cassius, apud, Zonaras, IX, 10. -Scyllax (Itinéraire) in muller, géogr., grac., minores, Pais, 1882, T.I, P. 30. - .Holemee, Geogr., IV,2, 2

48 .St. Gsell, Atlas Archéologique, Fig .No. 3, No. 1, et P.31 No 2

- .Ch. A. Julien, Histoire de L'Afrique du Nord, Op. Cit., P. 95

49 .P. Scylax, (périple de) dans C. Muller, Geogr

- .Graeci, minores, Op. Cit., T. I, P. 30

50 L. Demaeght, Bulletin de la Société de Géographie d'Oran, .1893, Pp. 109- 111

51 .J. Mazard, C. I. N. M; Op. Cit., Pp. 63- 65 et 175

52 Strabo, Géographie., XVII, 3, 9. يذكر هذا الأخير أن سيجا قدهدمت و هو شيء يتنافى مع الآثار حيث عثر بسيجا على معمل نقدي لبوخوس الصغير.

P. Grimal, Les Fouilles de Siga, Mélanges d'Archéologie et d'Histoire .de l'Ecole Française de Rome, T. LIV, 1937, P. 108- 141

53 G. Vuillemot, Note sur un lot d'objets découverts à Siga, Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran, T. LXXVI, .1953, P. 25- 33

- .G. Vuillemot, deux stèles de Siga, B. S. A. T, 1954, P. 78- 80

54 L. Demaeght, Catalogue raisonné du musée d'Oran, Section des Médailles, Bulletin de la société de Géographie et d'Archéologie d'Oran, .T. XV, 1895, P. 324

55 P. Vuillemot, Reconnaissances aux échelles puniques d'Oranie, .Autin, 1965, P. 334, 335

56 Francois Decret, Contribution à la recherche archéologique à Siga, Centre de Documentation et de Recherche, Université d'Oran, .département des Sciences Sociales, Bulletin No. 2, 1971, Pp. 159

57 .Ibid., Pp. 159- 164

58 يمكن إرجاع السبب في أن بلدتين تحملان نفس الإسم في العصور القديمة إلى فكرة المدن المتناظرة أو المتآخية و هي فكرة تدل على تقليد كان يظن أن تسمية البلدان المختلفة بأسماء واحدة أو متشابهة من شانه أن يحقق المحبة و الأخوة بين الشعوب و

قد تحدث بلوتارك عن هذه العادة القديمة خاصة في كتابة عن السير المتوازية Bioi Paralleloi و هو تقليد مستحدث حاليا في الولايات المتحدة الأمريكية.

59 St. Gsell, Atlas Archéologique, Fig. 4 No 16.

60 Scyllax (Itineraire) Géo. C. Muller Geogr, Graec, Mirores Paris 1882, TI.

61 St. Gsell, Atlas Archéologique, F. 4, No. 4, 5.

62 St. Gsell, Atlas Archéologique, F. 4, P. 7 Coll., 2.

63 Strabon, Géographie. 3, 12.

64 Scyllax (Périple) C. Muller, Géo Graec Minor TTT, P. 90.

- 77 .N°. (Bougie) St. Gsell, Atlas Archéologique, F. 7.

65 Ibid, No. 13, Coll. 1.

66 St. Gsell, Atlas Additif à la Feuille, 7. No. 77

67 St. Gsell, H. A. A. N. T. II, P. 160.

68 نفس الإسم أطلق على مدينة تقع جنوب غرب جزيرة جربا و أيضا داخل الأراضي الجزائرية.- St. Gsell, Atlas, F. 18, No. 391.

69 St. Gsell, Mélange de l'Ecole de Rome, TXIV, 1914, P. 309.

70 Ibid, P. 393.

71 Ibid, P. 310- 311.

72 St. Gsell, Atlas, Feuille, 4, (Cherchell) P.9, No .4.

73 Scyllax (Périple) in G. muller, III, P. 90.

74 Polybius, III, 33, 12 , III, 33, 13 ; - Titus Livius, XXI, 21, 12, 13.

75 G. Vuillemot, La Nécropole punique du phare dans l'ile Rechgoun (Oran) Libyca, Archéologie. Epigraphie., T. III, 1955, P. 7- 76.

76 G. Vuillemot, Fouilles Puniques à Marsa Madakh, Libyca. Archéologie Epigraphie T. II, 1954, Pp. 299- 342.

G. Vuillemot, Vestiges Puniques aux Andalouses Bulletin de la Société de Géographie et d'archéologie d'Oran, T. LXXIV, 1951, Pp. 53-73. G. Vuillemot, Céramique Ibérique aux Andalouses, C. R.A. I. B. L, 1956, Pp. 163- 168. -P. Cintas, Découvertes, Ibéro-Puniques d'Afrique Du .Nord, craibl, 1953, Pp. 52- 57 77

F. Vuillard, Vases antiques du V[eme] siècle AV.J.C. à Gouraya. .Libyca, Archéologie, Epigraphie. T. VII, 1959, Pp. 7- 13 78

F. F. Vuillard, Vases Antiques du V[eme] Siècle AV.J.C. à Gouraya .Libyca, Archéologie, Epigraphie. T. VII, 1959, Pp. 7- 13 79

Boucher Colozier, Une Statuette grecque d'Orante au Musée .d'Alger, Monuments Piot ., T. XLVII, 1953, Pp.71- 75 80

M. Astruc, La Necropolis de Villaricos, Commissaria General de .Excavaciones Arqueologicas, informas Memorias, Madrid, 1951, No. 25 81

P. Cintas, Compte Rendu de la Necropolis de Villaricos de M. .Astruc, Karthago, T. VII , 1956, Pp. 203- 213 82

M. Astruc, Supplément aux Fouilles de Gouraya, Libyca, .Archéologie, Epigraphie, T. II, 1954, Pp. 9- 49 83

.St. Gsell, H. A. A. N. T. VI, P. 12- 15, Pp. 68- 69 84

85 منطقة في القبائل الكبرى» الجزائر«.

Van Gennep, Etudes d'ethnographie Algérienne, Revue d'Ethnographie .et de Sociologie 1911, P. 62

.Pliny, V, 17, 52 86

.Titus Livius, XXX, 36, 7- 8 87

.Titus Livius, XXXI, 19, 5- 6 88

.Appian, a B. 33, 106 89

.Dio cassius, 57, 9 ; Zonaras, IX, 3 90

.J. Mazard, Corp ., Nun ., Maur ., P. 21 91

.Polybius, XV, 5, 13 92

الفصل الثالث : الحكم بعد موت ماسينيسان

تدخل الآن مرحلة جديدة من تاريخ نوميديا و هي مرحلة التغلغل الروماني الذي مهد لسقوط المملكة النوميدية الشاسعة التي كانت تمتد أرجاؤها من نهر ملوية غربا حتى طرابلس شرقا، فقد أصبحت مسرحا للصراعات السياسية و الفكرية للقيادات الرومانية، كما أصبح الملوك النوميد لعبة في يد الرومان، و لم يدخر الرومان وسعا في سبيل القضاء على أي ثورة أو تحرك وطني من شانه أن يهدد الأمن و الإستقرار بالمستعمرة التي بنيت على أنقاض قرطاجة، و أصبحت نوميديا مع تنصيب الملوك الجدد من طرف روما تابعة سياسيا و إقتصاديا و حضاريا لروما إلى أن حل عام 42 ق.م و ضمت إلى حوزة الدولة الرومانية، و إعتبرت أراضيها أرضا رومانيAger Publicus [1].

فمنذ وفاة ماسينيسان عام 148 ق.م حتى مصرع يوبا الأول عام 46 ق.م ظلت العائلة الماسيلية تحكم نوميديا لمدة قرن من الزمان. و كانت هذه الفترة مقدمة أو ممهدة لصبغ نوميديا بصبغة الحضارة الرومانية و مظاهرها المادية و الثقافية على السواء.

و على عكس ما كانت عليه الحال في عهد ماسينيسان، تبدو هذه الفترة غامضة حيث لم تذكر منها النصوص إلا الحروب و الأزمات مثل حرب يرجرت، و حملة كوريو و حملة قيصر على أفريقا. يرى البعض في هذا الصمت نوع من الإنحطاط الحضاري الذي ساد في نوميديا بعد الثورة التي قام بها ماسينيسان، كما أن هذا الصمت يمكن أن يكون نو من الإستقرار و الأمن الداخلي لو طبقنا عليه المثل الساخر الذي ضر فولتير، و الذي يقول «سعيد ذلك الشعب الذي لم يكن له تاريخ».

و على كل فإن التوصيف التاريخي الأقرب إلى منطق واقع الحال النوميدي خلال تلك الفترة إنما يمكن الأخذ فيه بالأمرين التاليين :

الأمر الأول، أنه على ما يبدو- أن كل ما هو نوميدي قومي ق تراجعت أهميته الذاتية في ظل المد الحضاري الروماني على المنطق بحيث أصبح كل فعل مؤثر في التاريخ لا يحمل هوية نوميدية، طالما أ الفعل روماني ورد الفعل نوميدي.

و الأمر الثاني ، و هو أمر مرتبط بما سبق- أنه في ظل الإضمحلا الذي أصاب الفكر النوميدي في تلك الفترة، قد إفتقدت نوميديا ذلك المؤرخ الذي يحفل بالمواقع القومية للأحداث، و لذلك لم يؤرخ لنوميديا ف هذه الفترة سوى مؤرخون رومان، كان همهم الأكبر هو التاريخ لكل ما « روماني» في نوميديا لا لكل ما هو نوميدي على الإطلاق.

و على كل فإن صدقت هذه الإحتمالات أو كذبت، فإن ذلك لا يؤ على إعتقادنا بان هذه الفترة من حياة نوميديا لم تكن فترة حافلة بجلائ الأمور، كما كان عليه الحال في عصر ماسينيسان بدليل أن الثلاثين سن التي حكم فيها ميكواسن Micipsa لم تترك أثرا تاريخيا مسجلا مثل العشرة أعوام التي قام بها يوجرت بحروبه ضد الرومان، فهي غنية لأن

كانت فترة تهم الرومان، و تهم مؤرخوهم الذين كانوا يسعون لتبرير أعمال روما التوسعية و إيجاد العذر القانوني بطرق ملتوية بان حروبها كانت حروبا عادلة Bellum iustum.

و لم تعود كل المنجزات الحضارية النوميدية إلى الملك ماسينيسان وحده بل أن العديد من عناصر التحضر كانت موجودة قبله، فمثلا في مجال الزراعة لم يكن له دخل في إدخالها حيث أنها كانت معروفة منذ قديم الزمان. كما أن إزدهار المعبودات الفينيقية و إدخال ربات الزراعة الإغريقية كيريس (ديميتر) Ceres إلى نوميديا لم يكن لماسينيسان دور فيه، لأن الآلهة تسللت مع المهاجرين غير أن سيفاكس ملك مازاسيليا كان له الفضل في إنشاء أول مملكة نوميدية تحض بجميع خصائص الدولة و هو أمر لا ننكره.

و الأمر الذي أقصد إبرازه هو التاكيد على أنه مهما بلغ جهد ماسينيسان في بناء هيكل الدولة أو صرحها العام، فإن ما إستغرقته أعمال الحرب و النضال المسلح من وقته و جهده كان قسطا طاغيا ساحقا، بحيث لم يبق من فترة حكمه التي إمتدت لثمان و خمسين عاما (206 ق.م- 148 ق.م) إلا سنوات عددها أقل من عشر، هي التي خصصها لتطوير الحضارة في دولته. و هذا يعني أن حضارة الدولة لم تكن وليدة جهد ماسينيسان وحده، بل أنها محصلة جهود أجيال سابقة على ماسينيسان و لاحقة له.

أولا : الملك ميكبسا (Micipsa) ميكواسن

ترك ماسينيسان بعد وفاته ثلاثة أبناء [2]، و أكبرهم كان ميكواسن [3] ثم يليه جولوسا [4] Gulussa و ماستنبعل [5] Mastanabal.

و حول تقسم السلطة بين الإخوة الثلاث إختلفت الآراء، فيرى بعض المؤرخين أنه تم طبقا لوصية ماسينيسان التي حفظها عند سكبيو لكي يقسم السلطة بين أبنائه، و الذي حضر إلى كرتا بعد يومين فقط من موت ماسينيسان. أما البعض الآخر فيرى أن هذا التقسيم كان من إقتراح سكبيو نفسه، الذي أراد بهذا التقسيم تفكيك الحكم الموحد. هذا و قد أشار زوناراس [6] أنه قد عهد إلى إبنه الأكبر ميكبواس بالخاتم الذي يرمز إلى السلطة و القيادة، و يمكننا تصديق زوناراس لو رجعنا إلى نظام الوراثة المتعامل به عند الماسيل و هو حق السلطة لأكبر فرد سنا في العائلة الحاكمة. أما الخروج عن القاعدة المتعامل بها منذ أجيال و إسناد الحكم إلى ثلاثة من الملوك خلال فترة حكم واحدة إنما يمكننا البحث عليه من خلال عدة أسباب و إفتراضات نوجزها على النحو التالي :

السبب الأول يمكن أن يعود إلى شخصية ميكواسن نفسه و الذي قال عنه أبيان [7] أنه كان متسامحا خاصة و أنه فيما بعد قد أوصى بأن يكون يوجورتا من ضمن ورثته الشرعيين [8]. لكن هذه الإفتراضات لم يثبتها التاريخ النوميدي خلال الثلاثين عام التي حكم فيها، خاصة و أن ميكواسن قد أثبت بانه كان جديرا بإدارة نوميديا، و قد وصلت نوميديا في عهده إلى درجة متقدمة من الإزدهار، و أن معظم البقايا الأثرية التي عثر عليها حتى الآن تعود لعصر حكم ميكبسة. و لا يوجد دليل واحد يثبت أن ماسينيسان أراد أن ينقص من قدر إبنه الأكبر، إشراك إخواته في الحكم.

أما السبب الثاني قد يرى فيه البعض أنه من عمل مجلس الشيوخ الروماني و قد أرغموا ماسينيسان قبل موته على الموافقة على هذا التقسيم عملا بمبدأ فرق تسد، Divide et Impera لكن أدلة جديدة تبرز لتنفي هذا الرأي، إذ لم يكن ماسينيسان بالحاكم المستبد، فقد برز في عهده بعض رؤساء القبائل، و الأمراء في كل أنحاء نوميديا و كانوا يتمتعون بحكم شبه مستقل [9]. فنلاحظ أن تقسيم السلطة بين ثلاث ملوك قد خضع لتقليد نوميدي قديم أبرزه للوجود بيكار فيما يخص بإدارة مدينة مكتار Mactar و الثوبوروس Althiburos و كرتا Cirta اللاتي حكمها ثلاث حكماء «شوفيت» و هو تقليد غير مالوف عند البونيقيين الذين إعتادوا على نظام الحاكمين. و يرى بيكار بعد مقارنة بين النظام الإداري لمدينة مكتار و نظام تقسيم السلطة بين الإخوة الثلاث أنه جاء وفقا لتقليد نوميدي قديم كان يتعامل به في المدن على عكس القبائل [10].

أما السبب الثالث فيعود إلى أن هذا النظام كان معروفا في العصر الهللينستي، و ضع أساسه الفرس ثم أخذه الإسكندر و طبقه في مصر بعد فتحها.

و السبب الرابع يبدو لي أن الإجابة عن السؤال حول إسناد الحكم إلى ثلاثة من الملوك خلال فترة حكم واحد، إنما يرجع إلى النظر في السبب الحقيقي لمجيء القائد الروماني سكبيو إلى المنطقة، فهو ما أتى إلا من أجل طلب العون العسكري و الحربي من نوميديا- الحليف القوي- ضد قرطاجة التي كانت تعد العدة لحرب بونيقية ثالثة و ربما إشتم سكبيو بانفه السياسي و العسكري رائحة هذا الصراع لو نشب فسيكون من شانه شغل الحليف النوميدي القوي بصراعات داخلية عن أداء دوره الإستراتيجي الخارجي الذي تتوقعه روما، و هو الدور الذي تعول عليه الإستراتيجية الرومانية كثيرا. و تضعه من بين حساباتها العسكرية و الإقتصادية.

لذلك يبدو أن سكبيو قد بادر إلى التدخل في الأمر من أجل تجنيب نوميديا أن تنشغل داخليا بما يعوقها عن خدمة المصالح الرومانية في المنطقة، و كان ما أرتاه سكبيو هو إشراك كافة البارزين الطامعين في الحكم في السلطة و القيادة، فكان أبرز الطامعين هم هؤلاء الثلاثة، فيكون سكبيو من أجل مصلحة بلاده- قد أقنع النوميديين بهذه الصورة الثلاثية من صور القيادة في الحكم التي هي إحدى مظاهر أسلوب الحكم في العصر الهللينستي.

و من هنا يكون الإقتراح بوجود وصية مسبقة أودعها ماسينيسان لدى سكبيو ليشرف على تنفيذها، دعوة مشكوك في صحتها في ضوء هذه الأدلة التي سقناها.

و بهذا نرى أنه بامر من سكبيو الإيميلي، أصبح ميكواسن رئيسا لإدارة المملكة، و ماستنبعل مشرفا على الشؤون القانونية، و كان مشهود له بالإطلاع الثقافي، إذ سافر إلى العديد من مدن العالم ذات الحضارة، كما نهل من موارد الثقافات الأجنبية كالأغريقية و الرومانية، كما شارك في الألعاب الباناثينية أما جولوسا و هو أصغرهم سنا فقد تولى شؤون الجيش. و قد حمل كل من الإخوة الثلاث لقب ملك [1.1].

غير أن الإخوة الثلاث لم يتفقوا حيث بدأت الخلافات تدب بينهم، لأنهم إتهموا أحدهم وهو ميكواسن بالولاء الأعمى للرومان، و حاولوا أن يضموه إليهم في القضاء على الفيالق الرومانية التي هدمت قرطاجة و التي أراد أبوهم- ماسينيسان – أن يجعل منها عاصمة للإمبراطورية النوميدية، غير أن ميكواسن، إما إحتراما لإلتزاماته أو تعهداته للرومان أما خوفا من تفويض ما بناه أبوه، فقد عارض أي خلاف مسلح مع

الرومان، و ماتا جولوسا و ماستنبعل في ظروف غامضة، بعد سنتين من وفاة والدهما تقريبا في عام 146 ق.م [12]. و قد ذكر سالوستيوس أنهم ماتوا بتأثير المرض [13].

و لعل في هذه الوفاة العاجلة ذات الظروف الغامضة التي منى بها جولوسا و ماستنبعل، ما يشهد على وجود الصراع على السلطة، و هو الصراع الذي أراد سكبيو أن يساعد النوميديين على تجنبه بواسطة التشارك في الحكم و السلطة.

فمن الواضح أن التشارك في السلطة أو الحكم قد أبرز مواطن الخلاف بين الأخوة الثلاث، فلقد كان ميكواسن من أنصار الحلف الروماني بغض النظر عن مناقشة الأهداف التوسعية و الإستيطانية للرومان في المنطقة، بينما كان لجولوسا و مستنبعل آراء و وجهات نظر أكثر إستقلالية و وطنية ذهبت بهما إلى حد طرح فكرة المجابهة العسكرية ضد الرومان على بساط البحث و التنفيذ.

و هكذا يجد ميكواسن نفسه أمام جبهة معارضة تتالف من صوتين ضد صوت واحد، و كان لا بد من حسم الأمر في شان هذه المعارضة سريعا، كما لا يستبعد أن يكون للرومان دور في التخلص من هذه المعارضة النوميدية لأنها إستهدفت وجودهم و دورهم في المنطقة، فجاءت وفاة الأخوين في وقت متقارب و في ظروف غامضة، و في دنيا السياسة نحن نعرف أن للظروف الغامضة معنى خاصا في أغلب الأحيان.

أما ميكواسن فقد بدأ الحكم المنفرد عام 146 ق.م و قد حكم بالعدل و الرحمة [14] و ظل يتبع سياسية أبيه الموالية لروما حتى توفي في عام 118 ق.م [15].

وقد عاش في عاصمته مهتما أكثر بما يدور في مملكته. و من المحتمل أنه أدرك نوايا روما و لم يريد أن يعطيها أو يترك لها ذريعة للتدخل إذ ظل مواليا لها، و ملتزما بتموينها بالفيالق العسكرية [16] و بالحيوانات مثل الفيلة و الأسود، و قبل كل شيء بالمواد الغذائية.

أما فيما يتعلق بالإنجازات الحضارية، نلاحظ أن كل ما تبقى من آثار، يرجع إلى عصر الملك ميكواسن، ما عدا بعض النقود و المسلات، التي كان أهل كرتا قد صاغوها لمعبودهم بعل حامون في عصر الملك مكواسان. حتى النقوش التكريمية الموجودة على معبد ماسينيسان بدوجا، و يرجع تاريخها إلى العام العاشر من عصر حكم ميكواسن (136 ق. م) .أما النقوش البونيقية الموجودة على جبل ماسوج [17] Massoudje و التي يرجع تاريخها إلى العام الحادي و العشرين من حكم ميكواسن، و هي عبارة عن نصب أو شاهد أرضي كان من المحتمل إستخدامه لتمييز الحدود الأرضية بين حيازتين أرضيتين لملاك مختلفين، إعتبرت إحدى الحيازتين إقطاعا ملكيا بينما الأخرى أراضي عامة. و كان هذا النصب يحمل بيانات تدل على المالك للحيازة، و محل الحيازة و أبعادها و تاريخ وهبها للمالك. و قد حاول ترجمة هذا النص من البونيقية إلى الفرنسية كل من شابو [18] و ففريي [19] في مقالين له و قد ترجم النص البونيقي إلى الفرنسية و أنا بدوري حاولت ترجمته إلى العربية على النحو التالي: «شيد هذا النصب WLBH – ى- ل- ب- ح، المامور عن أراضي تسكات (إسم المدينة)، و هو إبن آريس إبن (د- ى- س)، إبن NRWT – ن- ر- ى- ت إبن زيلالسان [20]، بناء على أمر من الأمير ميكب، في العام الحادي و العشرين من ملكه. و إبتداءا من الحجارة الموضوعة قرب القبر و حتى نهاية هذه الحجارة تبلغ المسافة مائتين و أربعين ذراعا Courses».

و يذهب ففريي إلى القول بان هذا النصب إنما هو بقية باقية من مجموعة من الشواهد التي كان يقيمها النوميديون على الطرقات، ليحددوا بها المسافات وليدلوا بها على أسماء الجهات و الأمكنة و الملاك. و إذا نظرنا إلى المسافة التي تحد بين النقطتين المشار إليها في النص و هي 43 كيلومتر[21] نلاحظ أنها نفس المسافة التي تفصل بين مدينة دوجا التي يقع بها معبد أتيبان Ateban [22] و جبل ماسوج و هي مسافة أربعين كيلومترا.

أما كامبس ففريي في هذا النصب و في النقطة الثانية المشار إليها معهد آخر شيد تكريما للملك ماسينيسان في نفس مدينة دوجا و التي قد شهدت إزدهارا ملحوظا إبان عهد ميكواسن[23].

و نستنتج مما سبق أن نوميديا كانت قد وصلت في عهد ميكواسن إلى درجة تطور إداري وصلت بها إلى حد تحديد المسافات بين المدن على الطرق التي كانت تسير عليها العربات، كما أن النص المشار إليه أي نص جبل ماسوج يلقى ضوءا على التنظيم الإداري للمملكة النوميدية في عهد ميكبسة، و من جهة أخرى نلاحظ من خلال النص أن اللغة الرسمية التي كانت سائدة في عهد ميكبة هي اللغة البونيقية.

أما مسلة تيجيجبة Thigibba [24] (قرب مكتار) ترجع هي الأخرى إلى عهد الملك ميكواسن كما أن النقوش الجنائزية التي عثر عليها بشرشال فتعود إلى الملك ميكواسن[25] فهي عبارة عن نقوش حفرت على قطعة من المرمر ذات شكل مكعب (5،23 م × 5،30 م). و قد وضع هذا المكعب قرب المعبد الجنائزي المنسوب إلى ميكبسة ملك

الماسيلين. و لم يشار إلى موقع هذا المعهد، و لذا نجد أنفسنا نطرح عدة إفتراضات من واقع عل الآثار للبحث عن موقع هذا المعبد منها.

1 - أن أيول أو شرشال حاليا و التي كانت، قبل ان تصبح عاصمة للملك يوبا الثاني، عاصمة للملك الموري بوخرس الأصغر، و يرى كامبس [26] أيضا أنها كانت عاصمة إقليمية للملك ميكبسة، غير أن النصوص لم تشير إلى العواصم الإقليمية للملك ميكواسن ماعدا عاصمته المركزية كرتا التي حقق فيها الكثير من الإنجازات [27].

هذا و لم تشر النصوص الأدبية إلى مكان دفن مكواسان و يفترض كامبس [28]، أنه قد توفي في أيول و قد شيد به معبد وضع بقربه الكتلة الرخامية المنقوشة السابقة الذكر.

2 - لكن ففريي له رأي آخر في هذه المسالة، حيث يرى أن كتلة المرمر المنقوشة، قد فصلت من المعهد الأصلي و نقلت إلى أيول، ثم يقارن بين المعبد الموصوف في نقوش الكتلة المرمرية و بين صومعة الخروب [29]. لكن هنا تبرز بعض الإختلافات بين الوصف و الواقع، خاصة فيما يتعلق بالناحية المعمارية. فصومعة الخروب لها أعمدة من الطراز الدوري و ليست مثبة على قاعدة كما هو مذكور في النص أما ترجمة كلمة Q. R. M أو (ك- ر- م) الموجودة على قنينة رماد الموتى، و التي وجدت أيضا بصومعة الخروب. لم ير كامبس [30] في ذلك عنصرا كافيا لإثبات التقارب بين المعبد السالف الذكر و صومعة الخروب و يرجع تاريخ الأدوات الجنائزية التي عثر عليها في معبد الخروب و أيضا تاريخ الأواني الفخارية ذات الطراز الدوري و التي ربما كانت تحتوي على رفات الموتى، إلى عام 148 ق.م [31] أما ميكبسة فقد توفي عام 118 ق.م. كما أن حمل هذه الحجارة من كرتا إلى أيول في مسافة 450 كيلومترا غير

ممكن، و إذا كان يوبا الثاني المعروف عنه حب جمع التراث النوميدي هو الذي أمر بنقل هذه الآثار فإن ذلك كان يتطلب موافقة القائد البروقنصولي الروماني و إن صح ما كانت النصوص الرومانية و اليونانية قد أغفلت هذا الحادث.

3 - و من ناحية ثانية يمكن مقارنة وصف النقوش الموجودة على الضريح المعروف بإسم الضريح الملكي الموريتاني [3 2] أو "قبر الرومية"، الذي يعود تاريخه إلى ما بين القرنين الثاني و الأول قبل الميلاد، و الذي يقوم على أعمدة مثبتة على قواعد و يوجد به قبور جنائزية بها مسكان يمكن أن تكون قد وضعت من أجل المحرقة. لكن المقاييس الصغيرة لقطعة المرمر لو قورنت بضخامة القبر قد تنفي هذا الإحتمال.

4 - و من المحتمل أيضا أن المعبد المذكور و الموصوف على المكعب الرخامي قد وجد بمدينة أيول (شارشال حاليا) نفسها و أن الإصلاحات التي قام بها يوبا الثاني و من بعده الرومان قد أدت إلى تصدع المعبد و لم يبق منه إلى المكعب الرخامي. و أن المعبد المشيد في أيول قد يكون معبدا تذكاريا لعبادة الملوك و أن المحرقة كانت تستخدم في حرق الأضاحي التي كان يتقرب بها العباد إلى الآلهة في هذا النوع من المعابد.

أن ميكواسن قد أولى قدرا من الإهتمام للمنطقة الغربية في نوميديا أي مازاسيليا سابقا، حيث أصبحت في عهد يوجرتا أكثر تطورا و أكثر إزدحاما بالسكان فيما لو قورنت ببقية أجزاء نوميديا [3 3].

و في كرتا داوم مكواسن على السلوك وفقا للنهج الهللينستي الذي كان أبوه يسير عليه. فقد توافدت على كرتا ونوميديا الجاليات

الأجنبية، منذ عام 113 ق. م، و إزداد عددها بحيث نجد أن جالية مثل الجالية الإيطالية قد بلغ تعداد أفرادها في عهد الملك يوجورتا تعدادا مكنها من أن تتولى مهام الدفاع و الحماية عن مدينة كرتا. و قد شهدت الحضارة البونيقية و النوميدية في عهده إزدهارا ملحوظا. فاعتبر عهده إستمرار لعهد والده ماسينيسان، و لسياسة التطوير و التحضر التي كان قد بدأها.

بعد إنقضاء حكم ميكبسة عام 118 ق.م بدأت نوميديا تدخل طورا جديدا من حياتها السياسية و العسكرية و الحضارية مملوء بالصراعات و الإضطرابات الداخلية متمثلة في إضطرابات الجاليات، و خارجيا أصبح الغزو الروماني للبلاد شاملا.

ثانيا : الملك يوجورتا :

ترك مكواسن ولدين هما أدهربعل (Adherbal) و هيمبسال(Hiempsal) و تولى مكواسن تربية الصغار من أولاد أخيه مستنبعل بعد موته و كان من بينهم يوجورتا.و لم يقصر ميكواسن في عناية و رعاية يوجورتا على نحو لم يقل عن قدر العناية و الرعاية اللتين كان يحيط بها أبناءه، و التي وصلت إلى الحد الذي جعل من يوجورتا وريثا له في العرش ضمن بقية ورثته الشرعيين، و يمكن بيان ضم يوجورتا إلى مجموعة أصحاب حق الوراثة في الحكم من بعد ميكواسن بالأمور الآتية:

1 - يرى سالستيوس أن ميكواسن لم يكن ينوي في أول الأمر تبني يوجورتا خاصة و أنه كان ثمرة زواج غير شرعي. و قد أرسله إلى نومانتيا في عام 134 ق.م على رأس الفيالق النوميدية التي كان يساعد بها الرومان و يذكر سالستيوس أنه أراد أن يتخلص منه في هذه الحرب [34]. بعد أن نجح يوجورتا في إكتساب محبة كبيرة بين الناس بفضل شجاعته و ذكائه، الشيء الذي أثار مخاوف ميكواسن إذ رأى فيه خطرا يهدد أبناءه. و قد خاب أمل ميكواسن حيث لمع نجم يوجورتا خلال حرب نومانتيا، و شارك في حصارها، و تمكن من إكتساب ثقة القائد الروماني إسكبيوا يمليانوس، كما تمكن من كسب صداقات عدد كبير من الضباط و القادة الرومان، و أصبح على دراية قوية بمشاكل الجمهورية الرومانية [35] و إستطاع أن يكسب قسطا كبيرا من الإحترام و الإعجاب، الأمر الذي دفع إسكبيوا يمليانوس تهنئته و إعطائه رسالة لتقديمها لميكواسن [36]. و يرى سالستيوس [37] أن ميكواسن قد تبناه إثر قراءة هذه الرسالة التي كانت كلها ثناء و إعجابا بشاجعة يوجورتا، و بالخدمات الجليلة التي أداها للرومان في حرب نوماتيا [38] و تبعا لذلك أوصى ميكواسن بان يخلفه على العرش أبنايه الشرعيان أدحربعل و يمبسال و إبنه بالتبني يوجورتا.

لكن إلى جانب ما ذكره سالستيون، نلاحظ أن هذا التوريث كان تطبيقا لقانون الحكم الثلاثي الذي بدأ النوميديون يطبقونه، و الذي كما هو مذكور سابقا قد ساد في مدينة مكتار و التيبوروس و في كرتا من جهة أخرى لو نظرنا إلى القانون المتعامل به في الفترة السابقة عن ماسينيسان نجد أنه ليوجورتا الحق في الإنفراد بالسلطة لأنه أكبر ذكور العائلة المالكة سنا. فقد أدرك ذلك ميكواسن و مزج بين القانونين القديم و الجديد. كما يمكن القول بان عناية ميكواسن و رعايته ليوجورتا كانت تهدف التغطية على كل إحتمال يذهب إلى إدانة ميكواسن حول النهاية

الغامضة التي إنتهى إليها أخواه، و من بينهم والد يوجورتا، فعادة النوميديين القدماء كانت تعتبر العناية بنسل الشقيق المتوفى دليلا على صفاء قلبه نحوه. غير أن الرومان بدورهم أدركوا ما يمكن أن ينسب إليهم من دور في العمل على إستئصال أخوى ميكواسن و ذلك لمعارضتهما لوضع الرومان في المنطقة، و هذا الدور لو تمت مناقشته و الكشف عنه لأفضت إلي إثارة غضب و عداء يوجورتا إبن مستنبعل، و لهذا سارع الرومان من ناحيتهم إلى العمل المبكر على إحتواء يوجورتا و كسبه إليهم معنويا، فمدحوه لدى ميكبسة و زكوه في الحكم فقربه ميكبسة إليه أكثر فاكثر حتى يكسبه إلى جانبه.

لكن يبدوا أن الرومان قد تنبهوا إلى أن نظام التشارك في الحكم قد لا يحقق لهم- في هذه المرة- هدفهم الإستراتيجي في الإبقاء على التحالف النوميدي، و ذلك لأنهم من المحتمل في ظل شخصية قوية كشخصية يوجورتا أن تنعدم فاعلية و أهمية الشركاء الآخرين في الحكم، و يوجورتا شخصية غير مامونة العواقب بالنسبة للرومان، و كان لا يمكن تنحيته عن الحكم بحكم أن العرف الآمر بتوليه الحكم لأكبر ذكور العائلة المالكة سنا، إنما ينطبق على يوجورتا و يعطيه الحق تماما في الحكم، لذلك كله بين الرومان إستراتيجية التعامل المقبل مع يوجورتا على الأساس الآتي:

أنه لن ينسى مسئولية الرومان عن إزاحة والده «في ظروف مرض غامض غير مفهوم».

و أن ثمة مواجهة بينه و بين الرومان سوف تحدث.

و أنه من الأفضل لو تمت هذه المواجهة حين يكون يوجورتا ملكا

على رقعة صغيرة من المملكة النوميدية لا ملكا على كل نوميديا، لأن ذلك سوف يجعل إمكانية الإستراتيجية في مواجهة الرومان محدودة، على نحو تجعل عملية التصدي له أمرا مقبولا و ميسرا.

و من هنا جاءت فكرة تقسيم المملكة بين يوجورتا و ولدي ميكواسن: أذهربعل و هيمبسال. و لم يستمر حكم الورثة الثلاثة طويلا إذ إتفقوا على تقسيم المملكة فيما بينهم. لكن يوجورتا لم يلبث أن كشف القناع في أطماعه، و نجح في تدبير مؤامرة قضي فيها على إبن عمه هيمبسال ربما عام 117 ق.م حسب رأي ليفيوس [39]. ومن المحتمل أيضا أن الجالية الإيطالية هي التي دبرت أمر هذا الإغتيال [40] لخلق نوع من البلبلة و الإضطراب، خاصة بعد أن علموا أن يوجورتا يريد إبطال القوانين و القرارات التي صدرت منذ خمس سنوات [41] .و لم يذكر سالوستيون نوع هذه القوانين لكن يحتمل أنها تخص الجاليات الأجنبية و الإيطالية بالذات بعد ما واسعة أنعم عليهم عمه ميكواسن بإمتيازات واسعة .و قد بادر أذرهبعل بإرسال بعثة إلى روما لإبلاغها بمصرع أخيه و عين نائبا عنه حكم البلاد، بينما تفرغ هو للإستعداد لمجابهة يوجورتا لكنه إنهزم عند أول إشتباك بينهما و فر إلى روما [42].

و بعد أن تخلص يوجورتا على هذا النحو من خصومه أراد أن يؤمن مركزه بإكتساب جانب الرومان، فارسل بعثة إلى روما مزودة بكميات كبيرة من الذهب [43].

وعندما طرحت المسالة أمام السناتو حوالي عام 116 ق.م للمناقشة قرر السناتو إتخاذ حل وسط يقضي بتشكيل لجنة برئاسة أوبيميوس لتقسيم نوميديا بين يوجورتا و أدهربعل. و يذكر سالوستيون بانه عندما وصلت اللجنة إلى أفريقيا بادر يوجرتا بإستقبالها و

قررت الكثيرة من أعضائها أن تختصه بالقسم الغربي من المملكة، و كان أكثر خصوبة و عمرانا من القسم الشرقي الذي منح إلى أذحربعل و الذي يبدو مظهريا أفضل من القسم الغربي لأن كان به أجمل المعابد و أكثر الموانئ و أكبرها، و كانت عاصمتها كرتا.

و لم يمضي على ذلك التقسيم وقت طويل حتى بدأ يوجورتا الهجوم على حدود مملكة إبن عمه، و توغل فيها حيث سلب و نهب الكثير منها، ثم إنسحب.

لم يتصد له أذهربعل و إكتفى بتقديم إحتجاج دبلوماسي. و كان يوجورتا قد أعد جيشا كبيرا و قام بغزوة واسعة النطاق، وصل فيها عند أبواب كرتا التي لجا إليها أذهربعل بعد إنهزامه و كان أغلب سكانها من التجار الإيطاليين، الذين حاولو الدفاع عن المدينة.

و في أثناء حصار كرتا، وصلت بعثة من السانتو لوقف الحرب و لم تنجح هذه البعثة في عمل شيء. كان السناتو مشغولا بالدرجة الأولى بقضايا الشرق و بلاد الغال، و لا يريد التورط في حرب جديدة في أفريقيا [44]، و من المحتمل أن يوجورتا كان قد رشا أعضاء لجنة التحقيق. و إستسلمت المدينة بسبب المجاعة و الأوبئة التي إنتشرت فيها من جراء الحصار، و ما أن دخل يوجورتا المدينة حتى إنتقم أشد إنتقام ممن كانوا فيها، و أمر بتعذيب إبن عمه حتى الموت ثم قضى على كل المناوئين له من الجالية الإيطالية المقيمة بكرتا [45] و الذين إشتركوا في الدفاع عنها.

عندما وصلت أنباء المذبحة إلى روما، في أواخر صيف عام 112 ق.م أثار غضب الفرسان و قامو بثورة ضد السانتو و كونوا لأول مرة جبهة متحدة بعد موت جايوس جراكوس. و شن جايوس مميوس الذي كان قد إنتخب نقيبا للعامة عام 111 ق.م، حملة لإدانة السانتو حول تردده

في إتخاذ القرارات ضد يوجورتا. فاخطر السانتو مرغما إياه بإعلان الحرب ضد يوجورتا و كلف لوكيوس كالبورينوس بستيا [46] L. Calpurnius و قائده سكاوروس Scaurus بإصطحاب جيش لقهر نوميديا. و فور علم يوجورتا بالقرار غير المنتظر الذي إتخذه السناتو، أرسل إلى روما مبعوثين لكن السناتو رفض إستقبالهم فاخطروا إلى العودة إلى بلادهم [47].

و كلف بستيا بشن هجوم قوي ضد النوميديين عام 111 ق.م إقتحم فيه عددا من المدن كما إستولى على أسرى كثيرين [48].

توقف القتال فجاة و دخل بستيا مع يوجورتا في مفاوضات نتج عنها عقد إتفاق دفع يوجورتا بمقتضاه غرامة بسيطة لروما مع تسليم ثلاثين فيلا و عدد كبير من الماشية و الخيول، و إنتهت هذه الحملة الأولى بالإعتراف بيوجورتا ملكا على كل نوميديا [49].

و قد أثارت هذه الإتفاقيات غضب الرأي العام في روما، خاصة أنصار التوسع من العامة و الفرسان، و إتهموا بستيا بالرشوة و الفساد، خاصة بعد أن هددت مصالحهم في نوميديا. و قاموا بحملة يرأسها نقيب العامة و هو جايوس مميميوس. لإلغاء هذا الإتفاق، و قد قام هذا الأخير من خلال الخطابات التي كان يلقيها في كل مناسبة إلى السناتو الروماني. بتكوين لجنة للتحقيق.

و يبدوا أن يوجورتا كان على وعي بفاعلية سلاح المال في التاثير على سلوك الرومان السياسي في تلك الفترة، كما يبدوا أنه إستخدم هذا السلاح الفعال مرتين : الأولى حين حرض أعضاء الجالية الإيطالية على إغتيال هيمبسال، و إبن ميكواسن و صاحب الميل و الإنحياز للرومان، و المرة الثانية حين أغرى قادة الجيش الروماني الذي أرسل لغزو بلاده

فاستجاب له الرومان بالإنسحاب ثم بإقراره ملكا و سيدا على كل نوميديا .و بذلك خلا الجو تماما ليوجورتا.

طلب نقيب العامة ميموس بتكوين لجنة يترأسها البرايتور لوكيوس كاسيوس لوكينوس L. Cassius في مهمة للذهاب إلى نوميديا و إحضار يوجورتا للإدلاء برأيه و الإفصاح عن شركائه. و قد منحت الحماية ليوجورتا طوال مدة إقامته في روما بقرار خاص من السناتو و الشعب الروماني [50].

حضور يوجورتا إلى روما :

و قد حضر يوجورتا بالفعل مع قائده بوملقارت Bomelquart، و وقف في الجمعية القبلية حيث قرأت عليه قائمة بالجرائم و الإتهامات التي إرتكبها، و قد طلب منه النقيب ميموس أن يعلن أسماء الذين شجعوه على ما إرتكبه. و يبدو أن يوجورتا كان قد ضمن لنفسه مساعدة تريبون العامة جايوس بايبيوس Baebius[51]، الذي إعترض على إقتراح ميموس، و أعفاه من الإجابة، «و بهذا فشلت خطة تحالف العامة و الفرسان في دعوة يوجورتا للإدلاء بشهادته في روما.» [52]

و كاد يوجورتا أن يخرج منتصرا على خصومة لولا حدوث إغتيال ماسيفا Massiva و هو إبن الملك جولوسا، حفيد ماسينيسان، و الذي لجا إلى روما بعد مصرع إبن عمه أذهربعل، للحصول على الإعتراف بحقه في ملك نوميديا. و قد إتهم القائد بوملقارت بقتله.

كان، سبوريوس البينوس Spurius Albinus - أحد الذين إنتخب لقنصلية عام 110 ق.م- قد حرص هذا الشاب على أن يطلب من

السناتو تنصيبه على عرش نوميديا. و يبدوا أن يوجورتا قد أحس بنية الرومان في الإطاحة به[53]، و تنصيب إبن جولوسا هذا، و هو ماسيفا ملكا على نوميديا، عوضا عن يوجورتا.

كما يبدو أيضا أن يوجورتا كان قلقا في وجود ماسيفا في حماية الرومان، و كانه كان يشكل حكومة في المنفى، بحيث يضل، و بالتالي وجوده على هذا النحو عامل قلق لحكم يوجورتا في نوميديا.

من هذا كله يمكن القول بوجود دوافع قوية لدى يوجورتا للتخلص من ماسيفا، كما لا نستبعد أن يكون حضور يوجورتا الجريء إلى روما، قد تم بموجب تنسيق سري بينه و بين زعماء الحزب الجمهوري، و مما يدعم هذا الإحتمال مساعدتهم أن يعود سالما و كان مجيء يوجورتا إلى روما كان يهدف إلى التخلص من ماسيفا أكثر من كونه يهدف المثول أمام السناتو و كشف أسماء الذين تلقوا منه الرشاوي و الهدايا.

و من المحتمل أيضا أن جريمة إغتيال ماسيفا، لم يكن ليوجورتا دخلا فيها، و أن دعاة الغزو من طبقة الفرسان هم الذين دبروا هذه الجريمة ليزيدوا من حدة الإتهامات عليه. و بعد فرار بوميلقارت بعدة أيام غادر يوجورتا هو الآخؤ روما و يقول سالوستيوس أن يوجورتا قبل أن يغادر ميناء روما. قال العبارة التالية ساخرا: «يا لك من مدينة للبيع، ستنتهي بمجرد أن تجد المشتري»[54] فقد كانت هذه العبارة صورة من واقع الأحوال التي وصلت إليها الجمهورية في أواخر أيامها.

و قد أعلن السناتو على أثر هذا الحدث رفضه لمعاهدة الصلح التي عقدها القنصل بستيا و طالب بإستمرار مواصلة الحرب ضد يوجورتا.

أ- حروبه ضد الرومان :

في عام 110 ق.م إستانف القنصل سبوريوس البينوس Spurius Albinus الحرب، بعد أن جمع جيشا قوامه أربعون ألف رجل. لكن ذلك القائد لم يحقق أي تقدم أمام مراوغة يوجورتا فرجع إلى روما ليشرف على إنتخابات العام الجديد و أوكل القيادة إلى شقيقه أولوس بوسترميوس Aulus Postumius[55] و قد أغراه يوجورتا بالتقدم إلى سوثول Suthul التي يوجد بها الكنز الملكي و هي منطقة تقع في السهوب، و هناك أوقعه يوجورتا في مصيدة و هزم الجيش الروماني و أرغمه على الإستسلام و قبول شروطه التي تقضي بان يغادر نوميديا هو و جيشه خلال عشرة أيام، و قبل أولوس بالشروط المطروحة إنقاذا لحياته و حياة رجاله[56].

و قد رفض السناتو نصوص الإتفاق المهين، و عقد النقيب جايوس مانيليوس ليميتانوس Gaius Manilius Limetanus محكمة طارئة للتحقيق في الفساد، و إختار أعضاءها من بين رجال الفرسان. و قد أصدرت المحكمة قرارها بإدانة القادة بستيا، و سبوريوس بوستوميوس ألبينوس و شقيقه أولوس بوستوميوس البينوس، و أمرت بنفيهم إلى خارج البلاد[57]. مع أحد كبار الكهنة و هو جايوس جالبا، و جايوس كاتو.

1 - تولي ميتللوس قيادة الحرب ضد يوجورتا :

في عام 109 ق. م أسندت قيادة الحرب على يوجورتا إلى القنصل متللوسي (Quintus Caecilius Metellus)، الذي كان

من أكثر الأشراف نفوذا و نزاهة. و بعد وصوله إلى ولاية أفريقيا بدأ القيام بتدريب قواته و تنظيمها، و كان عليه أن يواجه يوجورتا الذي لجا في حروبه إلى أسلوب جديد و هو أسلوب المراوغة.

قام ميتللوس بحملة عام 109 ق.م إستولى فيها على بلدة فاجا Vaga[58]، و السبب الذي مكن القائد الروماني من الدخول إلى المدينة هو إعتقاد أهلها أن القوات القادمة، قوات نوميدية تابعة ليوجورتا، ففتحوا الأبواب لها. ثم إلتقى يوجورتا مع متللوس على ضفاف نهر الموثول[59] Muthul في معركة كانت فيها الخسائر كبيرة بالنسبة ليوجورتا. لجا إثر هذه الهزيمة إلى منطقة جبلية مكسوة بالغابات يدبر و يعد نفسه لحملة ثانية، و بطريقة جديدة في مواجهة العدو و هي طريقة المراوغة أو ما يعرف بلغة العصر «بحرب العصابات»، يقوم فيها فرسان يوجورتا بغارات ليلية، يسلكون خلالها الطرق الوعرة. و قد سبب هذا الأسلوب الجديد خسائر ضخمة بالنسبة للعدو، دون أن يقلل من قوته، و يذكرجزال[60] فيما يتعلق بهذه الطريقة الجديدة في الحرب ما يلي: "... أن الجيش يقوم بتحركات سريعة ... مثل الإسبان فإن طبيعتهم[61] تهيؤهم إلى مثل هذا النوع من الحروب، حيث تجهد العدو بالمضايقة و الإزعاج مع مراقبة تحركاته، يعزلونه فيمنعون عنه مصادر الماء أو يسممونها...، و ينصبون الكمائن لإستدراج العدو ثم يهجمون عليه، و من خلال مناوشات قصيرة يكبدون العدو خسائر فادحة، و عندما يدركون تفوق العدو عليهم، يبتعدون و يظهرون مرة أخرى في مواقع أخرى ...و قد يختارون الوقت و المكان الملائم يتركون العدو يلاحقهم في الأماكن الوعرة التي يعرفون مسالكها، في هذه الحروب تلعب الحربة دورا هاما إلى جانب القوس البارثي.

و مع وصول العدو إلى المكان المناسب، يظهر الفرسان و المشاة من كل ناحية، يقذفون الحراب على العدو من مسافات قصيرة، ما بين ثلاثين و أربعين مترا، و لو خضع العدو يقضون عليه بالخنجر يقذفون به من فوق الجياد، أما إذا حاول المقاومة، فإنهم يتراجعون عن تقاربهم ثم يظهرون من جديد.

و ينسحبون أخيرا و نهائيا وفي أغلب الأحيان منتصرين بعد تفادهم المواجهة الشاملة ... في بعض الأحيان يظهرون في اليوم الثاني أو بعد المعركة الأولى بايام، و بعد أن تصل الخسائر إلى درجة الهزيمة، يلجاون إلى الجبال أو السهوب، يعدون أنفسهم من جديد بمعارك مماثلة، أو يدخلون القرى أو المدن المحصنة التي تعتبر قواعد إرتكاز و تموين لهذا النوع من الحروب».

و هذاالأسلوب في الحروب جعل النوميديين دائمي الإنتصار. إتهم الرومان متللوس بانه يعمد إلى إطالة مدة الحرب من أجل كسب الشهرة و المجد لنفسهن و قد أزيح بالفعل متللوس، و كان وراء ذلك أحد مساعديه الذي يدعى جايوس ماريوس.

2 - تولي جايوس ماريوس قيادة الحرب ضد يوجورتا :

بعد أن إنتخب ماريوس قنصلا لعام 108 ق.م [62] و فوزه بقيادة الحرب، فقد إختار كقائد مساعدا لجيشه و لوكيوس كورنليوس سولاLucius Cornelius Sulla الذي كان من الأرستقراطيين. [63]

حاول ماريوس أن يشجع جودا «المعتوه» Gauda، و هو شقيق يوجورتا و الذي جعله ميكواسن وريثا من الدرجة الثانية، أن بالمطالبة بحقوقه في

تقسيم المملكة [64] و قد وعده ماريوس بكل مملكة ماسينيسان لو ساعده في القضاء على يوجورتا.

بعد أن إنهزم في موقعه ثالة Thala [65] التي بها الكنز الملكي و العائلة المالكة، نجح يوجورتا في الفرار منها مع جزء من أولاده و أمواله، و لجا إلى منطقة قبائل الجدالة في الجنوب في منطقة الهضاب العليا. و هناك حاول التقارب من الملك الموري بوخوس، الذي تربطه به علاقة مصاهرة [66]، و بعد جمع جيشا إتجه نحو كرتا، التي كان ميتللوس قد وضع بها أسلابه في أمان. و خلال هذه الفترة وصلت أبناء من روما بتعين ماريوس قنصلا [67].

عند إستلام ماريوس قيادة الجيش من القائد P. Rutillius، بادر في تزويد الجيش بعدد من الفيالق و قادهم إلى منطقة خصبة، توفرت بها الغنائم، و بدأ في نهب و سلب المدن و القرى الموالية ليوجورتا [68]. و قد حاول ماريوس إحتلال مدينة قفصة المحصنة و نجح في إكتساح حصونها عام (107 ق.م) [69] خاصة و أن أهل قفصة لم يكون مهيئين لذلك الغزو [70].

كانت لإنتصارات ماريوس عند أول قدومه لنوميديا تاثير فعال دعم موقفه في مجلس الشيوخ، و أصبح السناتو لا يتردد في الموافقة على كل ما يقترحه ماريوس من مغامرات و مبادرات تتعلق بهذه الحرب، كما كان المجلس يعد أعمال ماريوس من قبيل الأعمال الشجاعة و الجريئة [71]. هذاما شجعه على سلب و نهب و حرق القرى و البلدات النوميدية.

بعد محاولات عديدة في مطاردة يوجورتا، الذي أنضم إليه جيش بوخوس(Bocchus)، بدأ الرومان يفكرون في تدبير المكائد له.

كان يوجورتا، بعد أن فقد مدينة قفصة و عدد من المراكز الهامة و جزء كبير من أمواله، يريد أن يدخل نوميديا. إلا أن هذا كان يتطلب إعدادات و تجهيزات عسكرية واسعة، تدعمه عند إقتحامه لمدينة كرتا.

و لدعم زحفه المنشود توجه يوجورتا إلى بوجوس طالبا منه المعونة و العون، و أغراه بالتنازل له عن ثلث نوميديا لو كان النصر حليفا لزحفه [72]. و بعد جمع القوتين، و خلال إتجاه ماريوس إلى معسكرات الشتاء، جرت معركة بالقرب من مدينة كرتا، إنتصر فيها الرومان.

و لقد كان من الواضح قبيل هزيمة الجيش المشترك ليوجورتا و بوخوس أمام أسوار كرتا، أن يوخوس كان يعامل يوجورتا على أنه الفرس الرابح، و لذلك لم يتردد في الوقوف بجانبه إلى الحد الذي جعله يرفض دعوة الرومان للحياد في الصراع الدائر بينهم و بين يوجورتا، بل و ذهب إلى ربط قبوله لهذا الحياد بان يكون يوجرتا طرفا في الإتفاق مع الرومان [73]. ثم لم يبخل بوخوس على يوجورتا بالعون العسكري و ذلك لإحساسه بانه من الممكن أن يكون له شريكا في النصر.

و لكن بعد أن تغير واقع الحال و بدأت الدائرة تدور على يوجورتا و أصبحت نهايته قريبة، تنبه بوخوس إلى ضرورة العمل على تغير إستراتيجيته و ولائه في هذا الموضوع، فبوخوس لا يريد أن ينفرد به الرومان ليصفوا معه حسابات قديمة، و قرر أن يغير ولاءه من يوجورتا إلى رومان.

بعد خمسة أيام من تلك المعركة، و صل إلى كرتا مبعوثون من بوخوس، يطلبون من ماريوس بإسم ملكهم أن يرسل إليه إثنين من أقرب مستشاريه للمناقشة في «مصالح تخصه و تخص الشعب

الروماني» [74]. و رد عليه ماريوس بإرسال مساعديه L. Sulla، و مانليوس A. Manlius[75].

أرسل يوخوس بعثة ثانية إلى ماريوس بعد الهدنة التي تلت معركة ضواحي كرتا بشهور، و بعد إستطلاع رأي سوللا (Lucius Corn. Sulla)، أحد أعضاء السناتو و الذي كان موجودا في ولاية أفريقيا، سمح ماريوس للبعثة بالذهاب إلى روما بمصاحبة روسو [76] CN. Octavius Ruso، و قد أجابهم مجلس الشيوخ بما يلي : «بما أن مجلس الشيوخ الروماني و الشعب الروماني، لا ينسو الحسنة و الإساءة، و بما أن يوخوس نادم، فإنهم سوف يغفرون له ذلته و يمنحوه محالفة و صداقه الشعب الروماني لو برهن عملا و ليس قولا على أنه جدير بذلك». [77]

و قد قام سوللا بزيارة يوخوس، و وجد أن يوجورتا قد أوفد أحد أعوانه يدعى أسبار Aspar و بدأ عندئذ صراع دبلوماسي بين الثلاثة، فقد حاول أسبار إقناع يوخوس بالقبض على سوللا و تسليمه ليوجورتا، كما حاول سوللا هو الآخر إقناعه بإلقاء القبض على يوجورتا و تسليمه إليهم.

نزل يوخوس عند رأي سوللا و تفاهم معه على تدابير المكيدة.

و قد أقنع يوخوس مبعوث يوجورتا أنه سيلبي رغبته و سيعقد إجتماعا يحضره هو و سوللا و يوجورتا للإتفاق على تدابير المعاهدة [78]. و تفاديا لإثارة شكوك سوللا، يجب أن يحضر يوجورتا بدون سلاح و في رفقة عدد قليل من أتباعه. و قد تم الإتفاق على موعد الإجتماع و مكانه. و في اليوم المتفق عليه أخفى يوخوس جماعة من رجاله وراء التل الذي أختير لعقد الإجتماع. و لما إقترب يوجورتا من المكان المحدد، وفقا لما سبق الإتفاق عليه، أحاطه رجال يوخوس من كل ناحية، و قتلوا كل أتباعه، و سلموه إلى سوللا الذي سلمه بدوره إلى القنصل ماريوس [79].

هكذا راح يوجورتا ضحية غدر و خذيعة، بعد حرب دامت سبع سنوات، و التي إنتهت خلال النصف الأول من عام 105 ق.م. و قد إنتخب ماريوس في غيابه بالقنصلية الثانية و أسندوا إليه قيادة الحرب في بلاد الغال. و قد حقق ماريوس إنتصارا كبيرا في روما، و في اليوم الأول من يناير عام 104 ق.م تولى ماريوس مهام قنصليته و أقام مهرجان نصر عظيم عرض فيه الملك يوجورتا مع إثنين من أبنائه قبل أن يلقى حتفه [80] في زنزانة توللانوم عند سفح الكابيتول [81].

ترك يوجورتا في الفترة القصيرة التي حكم فيها و قبل أن تدخل الجيوش الرومانية إلى أفريقيا، نقودا من الفضة، و عليها صورة تمثال نصفي له يظهر فيه متوجا باكليل من الغصون و بدون لحية، و على الوجه الثاني من العملة نقش عليها صورة فيل في وضع يوحي بالحركة، و تحت صورة الفيل نقش بالبونيقية حرف الذي يعني حرف الألف82. و نلاحظ أنه إتبع سياسة ميكواسن في تطوير الإقتصاد النوميدي.

ب- نتيجة حرب يوجورتا

على الأوضاع السياسية في روما و في نوميديا:

1 - في روما :

بعد أن كشفت حرب يوجورتا عن الفساد و الرشوة المتفشية بين أعضاء السناتو، و عن مناهضة الفرسان و العامة لهم، لما كانوا يحملون به من توسع تجاري و مالي، و فتح شمال أفريقيا أمام نشاطاتهم، أثرت هذه الحرب مرة أخرى على مجرى الأحداث السياسية الرومانية وتولد عنها بداية عهد جديد في تاريخ روما السياسي.

فقد أصبح للعامة و الفرسان اليد الطولى في تسير السناتو إذ نجحوا عام 107 ق. م في إنتخاب القائد الشعبي ماريوس لقنصلية عام 107 ق.م، و بهذا القرار الجديد أبطل قرار السناتو الذي كان من إختصاصه، بمقتضى التقاليد الدستورية، التدخل في تعيين القناصل.

و قد إستحدث ماريوس الذي إعتبر فاتحه عصر حافل بالرجال العظام، نظاما جديدا في الجيش.

كان الجيش قبله عبارة عن تجمع من المتطوعين القادرين، كان من واجبهم الإنفاق على أنفسهم خلال الحرب. لكن ماريوس جعل أساس الإنضمام للجندية هو اللياقة البدنية و ليس الثروة. كما جعل الجندية حرفة مهنية، فاصبح الجنود يتقاضون رواتب، و بعد تسريحهم بعد ست عشرة عام يمنحون قطعة أرض زراعية. و كان لذلك القرار نتائج سياسية و عسكرية فرضت نفسها على الأحداث. كما منحت الحقوق الرومانية الكاملة لإعداد كبيرة من الإيطاليين الذين كان يتعذر عليهم الحضور في الجمعيات الشعبية، و أن الجيش الذي أصبح ينتمي إلى هذه الطبقة، كان أكثر الهيئات الشعبية تعبيرا عن رغبات المواطنين. كما أصبح الجيش يتبع قائده من أجل تحقيق وعوده بمنح المكافآت بعد إنتهاء الخدمة، و أصبح بذلك أكثر ولاء للقادة و أداة و سلاح في قبضة القواد الطموحين.

2 - في نوميديا :

نتائج حرب يوجورتا داخل نوميديا تجسدت في تغيير الحدود السياسية عما كانت عليه من قبل، إذ أن روما قد نصبت على الجزء الشرقي في نوميديا، و الذي كان من نصيب أذهربعل في عام 116 ق.م، جودا شقيق يوجورتا، أما يوخوس فقد منح الجزء الغربي من

نوميديا بعاصمته سيجا مع الإحتفاظ بموريتانيا [83]. و هكذا رضيت العامة و الفرسان و إنفتحت نوميديا ثانية أمام نشاط رجال المال و الأعمال الرومان. و يبدو أن روما لم تضم شيئا يذكر إلى ولاية أفريقيا، غير أن ولاية أفريقيا منذ عام 146 ق.م قد أصبحت مساحاتها لا تقل عن خمس و عشرين ألف كيلومترا مربعا و التي تحدها غربا الحدود التي وضعها لها سكبيو و التي تسمى بالخندق الملكي Fossa Regia و كان قد وضع على رأسها بريتورا ينتخب سنويا حتى إصلاحات سوللا عام 80- 81 ق.م حيث أسند حكم ولاية أفريقيا إلى بروقنصل Proconsul، و أصبحت أوتيكا عاصمة الولاية البرو قنصلية و التي أطلق عليها إسم (أفريقيا). و قد وضعت بها حماية عسكرية للدفاع عن حدودها [84]، و قد أقام باتيكا حوالي ثلاثمائة تاجر إيطالي مثلوا جمعية الثلاثمائة [85]. و منذ نشاة الولاية أصبحت أراضيها تعتبر أراضي العامة Ager Publicus Populi Romani.

و كان على ملاك الأراضي القدماء دفع جزية عسكرية (Stipendium) و على الأفريقيين و البونيقيين و الليبيين أن بدفعوا ضريبة الرأس (Capitatio) و قسمت البلاد على ثلاثة مقاطعات (Pagi). و قد تمتعت سبع مدن بالإستقلال الذاتي و بالحرية الإدارية جزءا لمحالفتها لروما خلال الحرب البونيقية الثالثة و هن: هدروميتوم Hadrumetum (سوسا) و ليبتيس مينوسLeptis Minus و هي ملتة حاليا، و ثابسوس Thapsus (رأس ديماس)، أخولا Acholla (بوترية)، أوزولا Usula (على بعد ثلاثين كيلومترا شمال سفاكس (و هي الأنساريين حاليا)، و ثود ليس حاليا (Theudalis) (وراء بحيرة بنزرت).

و بمقتضى قانون روبريا [86] Lex Rubria و هو زميل جايوس جراكوس الذي أستصدر هذا القانون عام 122 ق.م و الذي ينص على :

- إنشاء مستعمرة يونونيا Junonia[87] بالقرب من أطلال قرطاجة
- إستيعاب ستة آلاف روماني و أيطالي.
- يمنح كل فرد إقطاعا مساحته خمسين هكتارا (من ثلاثين إلى مائتين يوجرا).

و من الملاحظ أن الأراضي التي وزعت تصل إلى ثلاثمائة ألف هكتار إذا أستثنينا الأراضي العامة التي ظل يزرعها أصحابها القدماء مع دفع الضرائب، و التي ضمت إلى المدن الحرة الحليفة، و إذا إستثنينا أيضا الأراضي الأفريقية غير الصالحة للزراعة نجد أنه تبقى حوالي 200000 هكتار فقط. و قد وزعت هذه المساحة بين الرومان و الإيطاليين، و قد أبطل قانون روبريرا عام 121 ق.م بمقتضى قانون مونيكيا Lex Municia [88]، غير أن المستعمرين ظلوا مقيمين في أفريقيا [89]. و قد مثل هذا العدد النواة الأولى لتواجد الرومان في شمال أفريقيا [90].

كما كان من نتائج حرب بوجورتا على الأوضاع في نوميديا و خاصة في أفريقيا أن أستصدر السناتور نينوس عام 103 ق.م قانون [91] Lex Apuleia لصالح قدماء محاربي حرب يوجورتا من الجيتوليين من جنود ماريوس، و قد قضى هذا القانون على منح كل و احد إقطاعا مساحته مائة يوجرا (حوالي خمسة و عشرين هكتار)، و من المحتمل أن هذا الإقطاع يقع بالمنطقة الممتدة ما بين الخندق الملكي و أشولا Acholla و ثيناي [92] Thenae إلى غرب الواد الأوسط لنهر البجرادة، و في السهل الحالي لسوق الخميس.

و تعود بعض المستعمرات إلى ماريوس و منها مستعمرة ليخي مايوس Lichi Majus (Colonia Mariana Augusta Alexandria Lichitanorum Majorum) و مستعمرة ثيباريس Thibaris و مستعرة توبورنيكا Thuburnicae و قد وصف ماريوس بقائد مستعمرة توبورنيكا Conditor Colonia Thuburnicae [93] و هذا لا يعني أنه هو المؤسس الحقيقي للمستعمرة بل هو أول من بادر بعملية إستيطان الجالية الإيطالية في هذه المدينة.

أما جنوب هذه المستعمرة الماريوسية الثلاث وجدت مستعمرة موستى Musti قرب كريب Krib[94]. هذا و كما ذكر سابقا أن ماريوس قد منح جنود، من قبائل الجدالة إقطاعات في المنطقة الممتدة على طول الخندق الملكي ما بين مدينة آشولا و ثيناي [95].

و يرى سوماني في هذا الإستيطان خارج الحدود المرسومة منذ عام 146 ق.م للولاية البروقنصولية قد جاء وفقا لقانون أبوليا Lex Appuleia Coloniae و الذي كان يقضي بإنشاء مستعمرات في صقلية و مقدونيا و جزيرة كركنا Cercina مع منح بعض أعضاء كل مستعمرة حقوق المواطنة Lus Latinatas و قد أصبح لروما بعد إنتصارات ماريوس على يوجورتا، الحق في إعتبار المملكة النوميدية ملكا عاما للشعب الرروماني Ager Publicus بمقتضى حق الإمتلاك بعد الإستيلاء. و أصبح لها الحق السياسي في التصرف في الأرض ما وراء الولاية البروقنصولية التي أصبحت قانونيا من أملاك الشعب الرومانيAger Publicus Populi Romani و وفقا لهذا القانون كان قد نصب جودا على مملكة نوميديا [96].

و قد زاد الإحتلال الروماني الإيطالي حدة مع مجئ التجار و رجال الأعمال في كل من ولاية البروقنصلية و أوتيكا و أيضا في كرتا و فاجا.

ثالثا : نوميديا من عام 105 ق.م حتى 46 ق.م :

وصل جودا الثاني للحكم عن طريق وعود رومانية وفقا لحق الرومان في التصرف في أملاك نوميديا التي أصبحت من أملاك الشعب الروماني و كان قد رشحه كما ذكر سابقا ميكواسن كوريث من المرتبة الثانية [97].

و تذكره النصوص على أن جودا شخص معتوه، لكن كون ميكواسن يرشحه للوراثة هذا يدل على أنه كان شخصا حائزا على أهلية الحكم و الإدارة.

لم تذكر المصادر النقدية شيئا عن حكمه. غير أن المعروف أنه توفى قبل عام 88 ق.م، لأنه لما قدم ماريوس إلى أفريقيا عام 88 ق.م كان إبنه هيمبسال قد خلفه [98] و من المحتمل أنه توفي عام [106]ق.م أي عام بعد توليه الحكم.

تقسيم نوميديا بعد موت جودا :

- <u>الملك هيمبسال الثاني</u> :

نلاحظ أن نوميديا قد قسمت في أعقاب موت جودا في ظروف أغفلها التسجيل، حيث أن حدودها التي تمتد من نهر الشليف غربا حتى حدود الولاية البروقنصلية شرقا، قد قسمت إلى مملكتين:

-مملكة الماسيل الغربيين و على رأسهما ستانيسا Mastenissa و الذي كتب إسمه Mstns[99] و هي المملكة التي ذكرت تحت إسم "مملكة ماستانيوسوس" (Mastaneosus).

-أما الجزء الشرقي فقد منح بعد التسوية إلى هيمبسال الثاني (Hiempsal II) إبن جودا، و كان قد خلفه حوالي عام 105 ق.م، و أشارت إليه النصوص بانه ملك ذكي و متشبع بالثقافة الإغريقية و اللاتينية و الليبية و قد أهتم بجمع تراث أجداده، حيث قال عنه بليني [100]، أنه إحتفظ بالكتب البونيقية التي أهدتها روما بعد تدمير قرطاجة (146 ق.م) إلى الملوك النوميديين، و كان مؤرخا بارعا إذ ترك مؤلفات بالبونيقية بحث فيها عن أصل سكان شمال أفريقيا، و هي من المصادر الأولى التي إعتمد عليها سالوستيوس في كتابه عن حرب يوجورتا، و عن أصل سكان شمال أفريقيا.

و قد إحتفظ هيمبسال الثاني بلقب حليف و صديق الشعب الروماني. و إمتدت حدود مملكته من غرب كرتا حتى خليج سرت الصغرى [101] و قد جعل من زاما عاصمة له (جاما حاليا).

و قد وصلت نوميديا في عهده إلى درجة كبيرة من الإزدهار و النمو الإقتصادي، حيث نسبت إليه [102] نقود ضربها من الذهب و الفضة و البرونز، و كانت لنوميديا في عهده علاقات إقتصادية مع كل من أثينا، و ماساليا (مارسيليا الحالية)، و أسبانيا و الجمهورية الرومانية [103].

و قد حملت القطع النقدية الذهبية على أحد وجهيها، صورة تمثال نصفي له، و هو متوج باكليل من السنابل و الغصون. أما على الوجه الآخر من العملة فرسمت صورة لحصان. أما النقود الفضية فقد ظهرت تحمل على أحد وجهيها صورة تمثال نصفي لحيمبسال متوج بإكليل من السنايل و الغصون، و على الوجه الآخر للعملة صورة حصان تحيط به هالة من الغار، و تحت الحصان نقش الحرب البونيقي و هو حرف الحاء [104] كما نقش على قطعة نقدية ثانية صورة لحصان و تحت الحصان و التي كما سبق شرحها و هي إختصار لكلمة حمملكت و تعني «أميرا».

* الحروب الأهلية الأولى في إيطاليا
و تاثيرها على الأوضاع السياسية في نوميديا :

كانت للحروب الأهلية الأولى بإيطاليا (90- 88 ق.م) ، و التي زادت حدتها مع تزايد الصراع بين ماريوس و سوللا، تاثيرا مباشرا على الأوضاع في نوميديا خاصة و أنها كانت الممون الرئيسي لروما بالقمح و زيت و الزيتون. و قد أدى ذلك إلى تنافس كل من ماريوس و سوللا من أجل إكتساب أنصار لهم في نوميديا. فحولت الحرب الأهلية الإيطالية كلا من ماريوس و سوللا إلى عدوين لدودين، بينما كان سوللا يناصر السناتو، نجد ماريوس يتعاطف مع الثوار الإيطاليين و يساندهم في حقهم للحصول على الجنسية الرومانية.

و قد ظهر الخلاف بين ماريوس و سللا عندما بحث السناتو تعيين قائد للحملة الرومانية ضد ميثراداتيس و قد أختير سوللا لتولي قيادة الحرب بسبب مواقفه المعروفة، أرستقراطي معادي للعامة و الفرسان.

قبل مغادرة سوللا إيطاليا كان الشعبيون قد تجمعوا حول شخصية يوبليوس سوليكيوس روفوسPublius Sulpicius Rufus الذي إنتخب تريبون للعامة و قد أصدر تشريعات و أهمها منح حق المواطنة لكل القبائل الإيطالية (الخمس و ثلاثون) و إستدعاء كافة المنفيين السياسيين، و طرد بعض أعضاء السناتو الأثرياء، و إحلال ماريوس محل سوللا في قيادة الحرب ضد ميثراداتيس.

هذا الموضوع أشعل فتيل النزاع بين ماريوس و سوللا. و قد رد سوللا على ذلك بمحاصرة روما، و شرع في تصفية أعدائه بالعنف، و قتل روفوس بينما تمكن ماريوس من الهرب حتى وصل إلى منتورناي

Minturnae حيث ألقي عليه القبض، ثم أطلق سراحه و سمح بركوب سفينة أبحرت به إلى شمال أفريقيا عام 88 ق.م. و هو المكا الذي رأى فيه اولى إنتصاراته خاصة و أنه كان به أنصارا من أصحا المستعمرات التي أسسها (لصالح قدماء محاربيه من الرومان و الجدال بعد حرب يوجورتا.

بعد أن نزل قرب قرطاجة أرغمه حاكم أفريقيا البريتور سكتيليوس Sextilieus على مغادرة المنطقة بدل معاملته كعدو مجلس الشيو الروماني. كان إبنه قد لجا مع عدد من أنصار أبيه الفارين إلى مملك هيمبسال الثاني.

هذا مع العلم أن سوللا كان قد إكتسب ولاء و صداقة كل من بوجود، و بخوس ملكي موريتانيا، التي قد قسمت بعد موت بوخوس الأول عام 70 ق.م بين ولديه. فقد آلت المنطقة الغربية إلى بخوس الثاني، أما المنطقة الشرقية فقد آلت إلى بوجود Boguo، أما نوميد فكانت قد قسمت بين ماستانيسا و حيمبسال الثاني[105]. و شج سوللا هيرباس، أحد رؤساء القبائل، على الإطاحة بماستانيسا الذي فر إلى مملكة هيمبسال الثاني.

ومن جهة أخرى، كان القنصل لوكيوس كورنيليوس كنا Lucius Cornelius Cinna، المتعصب للحزب الشعبي و لماريوس، في إشتباكات دموية مع خصمه جنايوس أوكتافيوس Gnaeus Octavius، نجح هذا الأخير في طرد كنا لكنه لم يلبث أن عاد و إقتحم روما بمساعد الإيطاليين، و أعلن عودة ماريوس من شمال أفريقيا.

و قد عاد ماريوس من أفريقيا مستعدا للقضاء على خصومه و حاصر روما حتى إستسلمت[106] ثم أطلق لنفسه العنان في الإنتقام من

خصومه، و قد تولى ماريوس القنصلية للمرة السابعة و ذلك في عام 86 ق.م، غير أنه لم يتمتع طويلا بقنصليته إذ توفي فريسة لمرض الحمى أودت به للموت بعد أيام قلائل من توليه القنصلية في الثالث عشر من يناير عام 86 ق.م.

لم يقم سوللا بمطاردة خصومه السياسيين و لكن عندما تمرد جنايوس دوميتيوس أهزباريوس صهر كنا، و قد إتخذ هذا الأخير مع حيرباس و الذي خلع هيبمسال الثاني ملك نوميديا و أيضا ماستانيسا.

عندئذ بدأ خوف سوللا من التكتل ضده في أفريقيا مما قد يحرمه من موارد القمح. فعهد إلى بومبي بمهمة محاربة دوميتيوس.

كان بومبي بصقلية، على رأس حملة تتالف من ستة فرق و 120 سفينة حربية و 800 سفينة نقل [107]، فابحر إلى أفريقيا. وقد إنضم إلى بومبي 7000 مقاتل فروا من جانب العدو، و إنتصر على ديميتيوس الذي لقي حتفه في أول معركة [108] و ألقى القبض على حيرباس بعد هجومه على نوميديا و أعاد حيمبسال و ماستانيسا إلى عرشهما و كان ذلك في عام 81 ق.م، و قد إستغرقت حملة بومبي على نوميديا أربعين يوما فقط.

ظل حيمبسال بعد إستعادة ملكه بحكم نوميديا حتى عام 52 ق.م و خلفة إبنه يوبا الأول على عرش نوميديا.

و هكذا نلاحظ أن الملوك النوميديين قد فشلوا في توحيد نوميديا لأنهم لم يغتنموا فرصة الفوضى و الصراعات الداخلية السائدة في

روما لتعزيز قواتهم و التخلص من التبعية. و قد يرجع السبب في ذلك إلى مساعدة قبائل المور و الجدالة للثوار الرومان و هذا طمعا في التوسع، و بهذا تسببوا دون أن يشعروا في القاء نوميديا و كل شمال أفريقيا في أحضان الإستعمار الروماني.

ب - الملك يوبا :

خلف والده حيمبسال الثاني حوالي عام 60 ق.م [109]. و قد بدأ يوبا يظهر على مسرح الأحداث السياسية منذ حياة والده هيمبسال الثاني، الذي كلفه حوالي عام 62 ق.م [110] بالإحتجاج أمام مجلس الشيوخ الروماني ضد مازينثا (Masintha) ، أحد المتمردين، مع بعض التجار الرومان و قدماء المحاربين و رئيس حزب المعارضة في المنفى، ضد حكم هيمبسال الثاني.

إستجاب مجلس الشيوخ للإقتراحات النوميدية، إلا أن قيصر، الناطق بلسان دعاة الإحتلال، إستطاع أن يؤثر على أعضاء السناتو، بالتراجع على قراراتهم و وصل به الهياج إلى "أن سب يوبا و كل جنسه من النوميديين" [111].

و قد نجح فعلا قيصر في إبطال المهمة التي جاء من أجلها يوبا الأول. و كانت لهذه المقابلة أثر في سلوك يوبا إزاء معاملة قيصر في المستقبل.

و بهذا نرى أن يوبا قد جاء للحكم بعد أن خاض تجارب دبلوماسية و سياسية و قد إستطاع أن يمسك بكل جدارة مقاليد الحكم رغم حداثة سنه.

و بما أن يوبا كان يحمل ضغينة لقيصر و للرومان، فلم يترك الفرص لدعم كل العناصر المنشقة في روما. و نجح مع بداية الإنقسامات الداخلية بروما من إحتلال مدينة لبدة Lepcis Magna الحليفة لروما .

تدخل مجلس الشيوخ الروماني للضغط على يوبا كي يسترجع منه ما إحتله و سحبوا منه لقب الملك "الحليف و الصديق" Socius et Amicus.

و قد وصل تحدي يوبا للرومان في عام 50 ق.م، إلى حد أن إقترح التريبون كوريو Curio أن تسحب منه مملكته و تحويلها إلى ولاية رومانية.

و قد أعطت الحرب الأهلية الثانية في روما ليوبا، الفرصة لشن عدد من الغارات على حدود الولاية الرومانية. و كان قد إنضم إلى حزب بومبي المعادي لقيصر و السبب يعود إلى كون بومبي كان ضابطا في جيش سولا (Sulla) الذي أعاد أبيه هيمبسال لحكم بلاده.

* الحرب الأهلية الثانية في روما
و نتائجها على الأوضاع السياسية في نوميديا:

كان قيصر قد حاول إيجاد وفاق بين بومبي و كراسوس لإقامة حكومة ثلاثية أطلق عليها إسم الإئتلاف الثلاثي Trium Viri. مع العلم أن بومبي و كراسوس قد إستخدما نفوذهما من أجل نجاح قيصر أثناء الترشيح للقنصلية عام 59 ق.م. و قد تم إنتخابه قنصلا لعام 59 ق.م. و بالفعل نفذ قيصر كل القرارات المتفق عليها قبل ترشيحه للقنصلية، و عزز أواصر صداقته مع بومبي بتزوجيه إبنته جوليا.

كان هدف قيصر في تولي القنصلية هو حكم ولاية بلاد الغال القريبة. وبعد إنتصارات متتالية إحتل فيها بلاد الغال و وسط أوروبا، و أخضع للجزية عددا كبيرا من شعوب الشمال. و نجح من خلال حملاته هذه أن يجمع أموالا طائلة تمكن بفضلها أن يقوي و يوسع من نفوذ حزبه.

و في مواجهة خطر قيصر، حرض شيشرون رئيس الحزب الجمهوري بومبي ضده. و كان كراسوس قد لقي حتفه خلال حملته على بلاد البارثين، و هذا الصراع بين قيصرو بومبي الذي دام من 49 ق.م- 46 ق.م، كان من أسباب إندلاع الحرب الأهلية، و قد بادر قيصر بالحرب.

بعد أن ترك بلاد الغال و طريقه إلى إيطاليا، جرت أول معركة بين الطرفين على ضفاف نهر الروبيكون (Rubicon) الفاصل بين بلاد الغال و إيطاليا و قد فتحت له المقاطعات الإيطالية أبوابها دون مقاومة، و دفعت إليه الضرائب التي كانت تدفع للحكومة في روما [112] و قد تكون له جيشا رسميا. و أخطر بومبي إلى مغادرة إيطاليا و الإتجاه إلى الشرق ليستعد، و كان قيصر قد دخل إلى روما منتصرا.

و نتج عن هذه الأحداث، أن أصبح على رأس الجمهورية قيادتين متناحرتين: سناتو عقدونيا يتكون من أن أنصار بومبي، و سناتو في روما يتكون من أنصار قيصر. و كان قد إنضم إلى بومبي كل من شيشرون Ciceron، و كاتو Cato و سكبيو Scipio أما كوري Curio، و ماركوس أنطونيوسMarcus Antonius و كاسيوس Cassius فقد ظلوا في روما إلى جانب قيصر.

بعد إنتصار قيصر إنتخب دكتاتورا ثم قنصلا، و حمل عدة إنتصارات ضد أعدائه في كل من مرسليا و إسبانيا و فرسا. و حاول بومبي أن يلجا إلى مصر لكنه قتل في السفينة التي كانت قد قادته إلى الشاطئ في 28 من الشهر التاسع عام 48 ق.م [113].

خلال تواجد قيصر في مصر بعد أن نصب كليوباترة ملكة، و بعد أن قضي على أخيها بطليموس الثالث عشر، إجتمع أنصار بومبي في أفريقيا، و تقاسم المهام السياسية في أوتيكا كل من كاتو و فاروس و سكبيو و متللوس.

فقد تولى سكبيو شؤون قيادة الجيش، و تولى فاروس قيادة الأسطول البحري، أما كاتو فقد أسندت إليه مهام تنظيم المدينة و قد وعدوا يوبا نظير محالفته لهم لو إنتصروا أن يعيدوا له وحدة مملكته.

و نجح أنصار بومبي في جمع جيش من ستين ألف أو سبعين ألف وزعوه على عدة نقاط محصنة من أفريقيا منها حضرموت (سوسا الحالية) و ثابوس Thapsus بجنوب سوسا (و هي رأس ديماس) و في كليبيا Clupea (أو التي عرفت فيما بعد أبسيس Apsis، و الواقعة على رأس الصالح).

أما قيصر، فبعد عودته من مصر، توقف بضعة أشهر في روما و قضى الوقت اللازم لإعادة تنظيم شؤونه و الإعدادات اللازمة خاصة و أنه كان ينوي أن يقود شخصيا الحملة ضد إسبانيا بينما كلف هو شخصا بمحاربة أتوس فاريوس و حلفائه نوميد.

* حملة كوريو على أفريقيا :

نزل كوريو في حوالي منتصف الشهر السادس عام 49 ق.م بالقرب من مدينة أوتيكا [114] لإنتزاع ولاية أفريقيا من أثيوس فاروس (Attius Varus) حاكم ولاية أفريقيا [115]. و قد أقام معسكره برأس قلعة كورنيليا Castra Cornelia.

أما أتيوس فاروس فقد هاجم كوريو بحوالي ستمائة فارس و أربعمائة جندي مشاة، قدمها له الملك يوبا الأول كمساعدة. و قد شجع كوريو جنوده بوعده لهم بانه سوف يمنح كل جندي إقطاعا لو إنتصروا على فاروس، خاصة بعد أن رفض بعض جنوده محاربة الرومان. كان كوريو بعد إجتماع قد أقنعهم أن هذه الحرب موجهة ضد النوميديين. و أحرز بعض الإنتصارات الأولية، الشيء التي بث فيه ثقة كبيرة في نفسه. فبعد أن فشل فاروس في الدفاع عن نفسه، هرع رجاله من ميدان القتال و دخلوا مدينة أوتيكا. و كان بعض المستوطنين الرومان، من وجهاء المدينة و من أنصار قيصر، قد أقنعوا فاروس بان يسلم المدينة إلى كوريو، خشية الوقوع تحت سيطرة الملك يوبا الأول، لو كان الإنتصار حليف فاروس مما قد يفقدهم كل ممتلكاتهم و ثرائهم [116].

أما يوبا الذي طال به الإنتظار و بعد أن لاحظ أن فاروس تاخر في إستئناف القتال، بادر بالتحرك و لجا إلى الأسلوب الروماني، خاصة و أنه كان يحمل في نفسه ضغينة لكوريو، ذلك الرجل الذي عندما كان تريبونا، إستصدر قرارا بإحتلال نوميديا.

فادخل بعض رجاله المعروفين بولائهم له في معسكر كوريو بصفتهم فارين من الجيش النوميدي لأعطاء معلومات خاطئة عن

الجيش النوميدي[117]. و بعد أن وثق في كلامهم أرسل لكوريو حملة من الفرسان لمتابعة النوميديين.

منح يوبا سابورا Sabura قيادة الجيش المتالف من حوالي ألفين خيال من المرتزقة الأسبان و الغاليين، و عدد كبير من المشاة، و أمره بالتحرك في المقدمة، أما هو- أي يوبا - فقد اتبعهم في المؤخرة مع ما تبقى من جيشه و ستين من الفيلة[118]. و بالقرب من مكان يعرف اليوم بإسم الجديدة، على الضفة الشمالية من نهر الباجراداسن إستدرج سابورا كوريو، و أحاطت به القوتين (يوبا و سابورا) و لم يكن لكوريو و رجاله ثمة منفذا يفرون منه.

حارب كوريو بشجاعة و بسالة إلى أن خر صريعا مع أعداد كبيرة من رجاله في 28 من الشهر السادس عام 49 ق.م[119]. أما ما تبقى من رجال قوة كوريو في المعسكر، وفورعلمهم بنبا مصرع قائدهم، إتجهوا إلى الميناء للإيجار، و رغم تهدئة الكوستور روفوس لروعهم، أبحروا في السفن الحربية و التجارية الراسية بالميناء، مثقلين بالغنائم و الأسلاب. و هلك أغلبهم لأن السفن لم تسع ثقلهم و ثقل متاعهم فغرقت بهم[120]. أما الذين تمكنوا من الإبحار[121]، فقد قضي عليهم قراصنة البحر طمعا في أموالهم. و بطبيعة الحال، إستسلم إلى فاروس[122] كل الذين لم ينجحوا في الإبحار، لكن رفض يوبا منحهم الأمان و قتل كل الجنود الرومان عدا المرتزقة الغاليين الذين ضمهم إلى جيشه[123].

وصل يوبا إلى الميدان بصحبة عدد من النواب[124] و أمر بتنفيذ ما وعدوه به[125] و عاد إلى مملكته. و بعد هذا الإنتصار العظيم منحه مجلس الشيوخ الروماني بالمنفى بمقدونيا لقب "ملك صديق و حليف الشعب الروماني". أما مجلس الشيوخ الروماني القيصري فقد أطلق عليه

إسم "عدو الشعب" و لم يعترفوا إلا ببوجود و يوخوس ملوك موريتانيا و بهذا حرم قيصر من قمح و زيت و فرسان ولاية أفريقيا. و قرر أن يقود الحملة ضد أفريقيا بنفسه.

* حملة قيصر على أفريقيا :

كان الجمهوريون المقيمون بافريقيا من أنصار بومبي قد جمعوا جيشا يتالف من «عشرة فرق من المشاة الكاملي العدة (حوالي 5000 رجل) فضلا عن قوة كبيرة من المشاة خفيفي العدة و رماة النبال و رماة الحراب و أصحاب المقاليع، و حوالي 15000 من الخيالة، و أسطول يتالف من حوالي خمسين أو ستين سفينة، هذا إلى جانب قوات يوبا و التي كانت تتالف من حوالي 30000 مقاتل من المشاة و قوة كبيرة من الخيالة و حوالي ستين من الفيلة». [126]

أما قوات قيصر فكانت تتالف من: "عشرة فرق من المشاة الكاملي العدة بحوالي ثلاثة ألاف من المشاة خفيفي العدة و حوالي أربعة ألاف من الخيالة " [127].

وضعت كل المدن الساحلية في حالة تاهب ضد أي هجوم. و كان حاكم مدينة كولبيا قد نبه سكبيو [128] إلى وصول أسطول قيصر على شواطئ أفريقيا. فهاجمه حوالي ثلاثة ألاف فارس نوميدي فإضطر إلى التراجع عن النزول، و عاد مع جيشه إلى السفن، و إستمر في طريقه على طول الساحل بحثا عن مكان ملائم للنزول. و إتجه قيصر صوب مدينة التي رحبت به، و هناك وصلته الإمدادات العسكرية و بادر بالإستيلاء على

هضبة تقع بالقرب من روسبينا – (تبعد بحوالي سبعة كيلومترات إلى الشمال) و جعل منها، بعد تحصينها، قاعدة له.

و بعد ما تاكد خصومه من مقره، هاجمه لابينوس و في أعقابه بتريوس على رأس قوات من الخيالة و المشاة، ثم تبع ذلك سكبيو، من الشمال و يوبا من الغرب. و لكان أفلت قيصر و نجا بفضل مناورة بارعة قام بها، و إنسحب وراء تحصينات روسبينا.

بعد هذه المعركة بثلاث أسابيع وصلت قيصر إمدادات زادت من عدد قواته و دعمه العسكري.

و لما كان قيصر قد إفتقد مصادر التموين لقواته غير المكان (السابع من الشهر الحادي عشر)، و إستقر على بعد حوالي عشرة كيلومترات من مكانه السابق و راح يهدد معسكر سكبيو باوزيتا (Uzita) و لكن لابينوس قد تصد إليه بمناورات بارعة و إضطر قيصر مرة ثانية لتغير الموقع. و في عام 46 ق.م نزل بمكان يسمى أجار (على بعد حوالي ثلاثين كيلومترا جنوب شرق أوزيتا). و قام بحملة غزى فيها مدينة سارسورا(Sarsura).

أما يوبا فقد لام الرومان على ترددهم و عدم إتخاذهم القرارات الحاسمة و عاد إلى نوميديا لصد هجمات القوات المشتركة لبوخوس و لسيتيوس [129]، و إسترجع كرتا التي إحتلها سيتيوس و بعض المراكز و المدن. و أسند إلى قائده سابورا و الملك ماستنيسا مهمة متابعة سيتيوس ثم عاد و إنضم إلى سكبيو.

و في المرتفعات الواقعة جنوب بحيرة مكنين، و بعد دراسة للمنطقة قرروا محاصرة قيصر و ذلك بإغلاق المضيقين و هذا بعد حفر خندق و عمل تحصينات. بينما بقي يوبا و أفرانيوس للإحتياط، إقترب

سكبيو من معسكر قيصر عند جنح الظلام، مع أكبر جزء من جيشه و لما وصل سكبيو إلى مسافة قريبة)حوالي مائة متر من معسكره(أمر أسطوله بالإتجاه وراء مواقع قيصر، بينما إتجه للهجوم عليه من الأمام.

كان الهجوم سريعا و خاطفا، و يذكر بعض المؤرخين أنه تقرر من قبل بعض فرق المئات، بدون الرجوع إلى أوامر قائدهم و كان رماة المقاليع و النبال قد وجهوا أسلحتهم بكل ضراوة و إستبسال نحو الفيلة و خلفوا جوا من التهيج بين الحيوانات التي رجعت تهاجم قوادها و تسببت في خسائر كبيرة، و إغتنمت فرق قيصر هذا الهياج فدخلوا معسكر سكبيو. أما قيصر فقد بادر بإحتلال معسكر أفرانيوس. و يقدر عدد ضحايا هذه المعركة بحوالي خمسين ألف. و لم يتدخل يوبا في هذا القتال في الوقت الملائم و يمكن تفسير موقفه هذا في عدة نقاط:

أولها – من المحتمل، أنه أراد أن يحتفظ بقواته لأي مواجهة قد تاتيه من الغرب.

ثانيها – من المحتمل أنه أراد أن يستبقي قواته للقضاء على ما سيتبقى من الفرق القيصرية.

ثالثها –من المحتمل أنه أراد أن يرى الرومان يتقاتلون و بهذا تضعف وسائلهم الدفاعية و يبقى هو سيدا قويا على أفريقيا و نوميديا.

و لو كانت هذه حساباته فقد أخطا فيها، إذ أن هزيمة ثايسوس كان لها أثر على مستقبل نوميديا كما سنرى ذلك.

أما عن مصير القواد الجمهوريين فقد إستطاع سوللا فوستيوس و أفرانيوس من الوصول إلى موريتانيا في محاولة للإبحار نحو أسبانيا لكن إعترض سبيلهما بعض مرتزقة ستيوس و ألقوا القبض عليهما ثم سلموهما إلى قيصر الذي قتلهما.

أما سكبيو فقد حاول الفرار عن طريق البحر، غير أن عاصفة معاكسة أعادته إلى (عنابة حاليا) و قتل هناك .هذا و قد نجحا لابينيوس و فاروس في الفرار و الوصول إلى أسبانيا.

أما بتريوس و يوبا فقد وصلوا نواحي زاما و هي مقر إقامة عائلة يوبا و عاصمته. لكن سكان المدينة أغلقوا أبواب المدينة في وجهه بعد أن علموا بهزيمة ثايسوس فإتجه الإثنان إلى مزرعة بالقرب من زاما و قرروا القضاء على حياتهما من خلال مبارزة بين الإثنين قتل فيها يوبا باتريوس ثم سلم السيف إلى أحد الخدم و أمره بقتله.

و بهذا مات يوبا في أواخر الشهر الرابع من عام 46 ق.م، و مات معه آخر أمل للنوميديين من أجل إعادة بناء دولة قوية و إحتل قيصر نوميديا نتيجة عن معركة ثايسوس. فبعد أن حاصر و إحتل في أول الأمر مدينة أوتيكا التي أسندت لكاتو مهمة الدفاع عنها، و لما أدرك أن كل أمل ضاع فضل الإنتحار على أن يكون أسيرا في قبضة العدو.

حول قيصر جانبا كبيرا من نوميديا إلى ولاية رومانية بإسم أفريقيا الجديدة (Provincia Africa Nova) و قد إمتدت حدودها من المجرى الأسفل لنهر الواد الكبير Ampsaga حتى جبال الأوراس غربا و قفصة و تكاباس جنوبا.

أما مملكة مستنيسا فقد قسمت إلى جزئين منح جزئها الغربي إلى بوخوس، و جزئها الشرقي إلى ستنيوس الذي تحصل على شطر من مملكة يوبا.

و قد خلف ماستانيسا إبنه ماستانيسا الثاني الذي كان يدعى أرابيون Arabion و قد حكم من عام 65 ق.م حتى 40 ق.م [130] و قد إستطاع أن يفر هو الآخر إلى أسبانيا بعد معركة ثابسوس. لكنه عاد إلى

نوميديا بعد موت قيصر (44ق.م) و قد نجح في القضاء على سكتيوس عام 43 ق.م حيث إسترد جزءا من أملاك أجداده.

خلال الصراع الذي نشب بين الحاكمين سكتيوس Sextius و كورنيفوكوس Cornificius تحالف في الأول مع كورنيفوكيوس ثم بعد أن تاكد من تفوق سكتيوس و أنه خسر قضيته إنضم إلى سكتيوس الذي أمر بقتله (43 ق.م) لأسباب لم تسجلها المصادر، و ربما تعود لكونه قد إنضم في الأول إلى جانب عدوه.

و يمكن تفسير لجؤ المعارضين السياسيين من زعماء الثوار الرومان إلى نوميديا عن غيرها من البلدان و الذي بدأ من ماريوس و أنصار ماريوس خلال الحرب الأهلية الأولى ثم بومبي و أنصار بومبي خلال الحرب الأهلية الثانية، في عدة نقاط منها :

أولا - الطبيعة الجغرافية الجبلية لنوميديا كانت تساعدهم على خوض حرب العصابات.

ثانيا - وجود أنصار لماريوس من قدماء المحاربين من الرومان و الجدالة إلى جانب وجود الملك جود بنوميديا. ثم فيما بعد وجود الملك يوبا الأول كحليف لبومبي.

ثالثا – كما كانت نوميديا من أهم المصادرالغنية بالقمح و الممول الرئيسي لروما بالحبوب و كان اللجوء إليها يعني تجويع روما من جهة وإكتساب مورد مضمون لتمويل ثوارتهم.

1 ضمت الأراضي النوميدية بعد حرب يوجورتا إلى الأملاك العامة Ager Puplicus بحق الإستيلاء عليها و على هذا الأساس و وفقا لقانون أبوليا Lex Appuleia أقام ماريوس مستعمراته غرب الحدود المرسومة منذ 146 ق.م أي في الأراضي النوميدية.

2 و لم تسجل المصادر من الأربعة و الأربعين أو الأربعة و الخمسين ولدا الذين أنجبهم ماسينيسان بعد وفاته إلا ست أولاد، ذلك الذي أنجبه عامين قبل وفاته .

3 ميكسوان : نقش إسمه بالليبية بكتابة منطقة مدينة دوجا و يمكن نقل هذا الإسم إلى اللاتينية كالآتي Mkusn. و إلى العربية : م- ك- و- س- ن أو مكوسن. J. B. Chabot, Recueil des Inscriptions, Op. Cit., p. 314.

و في النقوش البونيقية المحدثة بشرشال (أيول أو قيصرية) قد كتب كالتالي : الصورة الأصلية منه مودعة حاليا بمتحف اللوفر Louvre بباريس

Ph. Berger, Inscription néo punique de Cherchell en l'Honneur de Micipsa , revue d'Assyriologie et d'Archéologie Orientale, publiée sous la Direction de G. Contenau et E. Dhorme, imprimerie des Presses Universitaires de France, Paris, 1888, T. II, No. 2, P. 37 ligne 1. J. G. Fevrier, Inscription Funéraire de Micipsa R.A. A. O., T. 45, 1951, P. 148. Hans P. Roschinski Die Mikiwsan Inscrift Aus Cherchell, Dienumider Op. Cit., Pp. 112- 113.

4 A. Berthier, et R. Charlier, Le Sanctuaire, punique d'El Hofra à Constantine. N°.63. - Pliny, VIII, 31 ; C. I. L, VIII, 1875.

5 P. Roussel, et J. Hatzfeld, Fouilles de Délos Inscriptions Dédicacées au roi Massinissa, Bulletin de Correspondance hellénistique, T.XXXIII, 1909, Pp. 473- 522. Pp. 484- 485.

إحدى الآثار التي أقمها ملك بثينيا و هو نيكوميديس مجموعة المنتصرين في الألعاب الباناثينية تشير من بين المنتصرين إلى ماستنبعل أبن ماسينيسان.

6 Appian, Lib., 106 ; Zonaras, IX, 27 ; Titius Livius, Epitome du Livre L, A.

Berthier et R. Charlier, Le sanctuaire punique d'El Hofra à - .Constantine, Op. Cit., P. 60, Stèle, No. 63

7 .Appian, Lib ., 105, 106

8 .Sallustius, Bell. Jugh ., IX, 2

9 .J. Mazard, Corp. Num. Num ., Maur ., P. 24

حيث يذكر أن عدد هؤلاء الرؤساء يقرب من نحو خمسة و عشرين في نوميديا الشرقية. كلف مجلس الشيوخ الرومان ثلاث نواب بتسليم الهدايا إلى رؤساء القبائل.

9 -Titius Livius, XXVII, 5, 5.

10 G. Charles Pi Card, Civitas Mactaritana, Karthago, T. VIII, 1957, .Pp. 39- 40

11 A. Berthier, R. Charlier, Le sanctuaire punique d'El Hofra, Op. .Cit., P. 60, Stèle No. 63

12 J. Mazard Corpus, P. 29. يرى أنهم حكموا ثمانية أعوام أي حتى عام 140 ق.م.

13 .Sallustius, Bell., Jugh., V, 80

14 د. سيد أحمد الناصري، تاريخ حضارة الرومان من ظهور القرية حتى سقوط الجمهورية، دار النهضة العربية 1982/ ص 238.

15 د. إبراهيم نصحي تاريخ الرومان، الجزء الثاني (133- 44 ق.م)، الطبعة الثانية، 1978/ ص 169.

16 و الدليل على ذلك أنه أرسل إلى رومان فيالق من الفرسان و المشاة بقيادة إبن أخيه ماستنبعل و هو يوجورتا، إلى نومانس Numance.

17 يقع هذا الجبل على بعد عشرين كيلومترا شمال مدينة مكتار.

18 Abbe J. B. Chabot, Note sur l'Inscription Punique d'une Borne .Limite Découverte en Tunisie, B. A. C, 1943, Pp. 64- 67

19 المقال الأول : J. G. Fevrier, La Borne de Micipsa, BAC, 1951- 1952,

J. G. Fevrier, La Borne de Micipsa Cahiers de ؛و المقال الثاني .Pp. 116- 120
.Byrsa, T.VII, 1957, Pp. 119- 127

20 نلاحظ أن Wlbh الذي شيد هذا النصب، هو أحد أحفاد زيللسان Zilalsan جد ماسينيسان- كما أن تسكات هي قريبة الشبه من Tusca أو توسكا التي كان ماسينيسان قد إحتلها عام 152 ق. م و من المحتمل أن ميكواسن قد وضع على رأس هذه المقاطعة أحد الأمراء من العائلة الماسيلية و هو Wlbh

21 و يرى كامبس في (Courses) القياس المشار إليه ما يعادل (Stade) و من المعروف أن (Stades) الواحد يعادل 177.6 مترا و بهذا فإن 240 ستادس تعادل ، 43.944 كيلومترا.

22 و هو المعبد الذي شيده أتيبان تكريما للملك ماسينيسان بدوجا قد سجل فيه أسماء العمال و المهندسين و الفنانين الذين أقاموا أتيبان و هو نص منقوش بالليبية و البونيقية. J. B. Chabot, Recueil, Op. Cit., Pp. 1, 2.

23 .G. Camps, Massinissa, P. 267

24 .J. G. Fevrier, La stèle de Thigibba, B. A. C. Pp. 652- 655

25 J. G. Fevrier, L'Inscription Funéraire de Micipsa, Revue .d'Assyriologie et d'Archéologie, Orient, T. XLV, 1954, Pp. 139- 150

26 .G. Camps, Massinissa, Op. Cit., P. 231

27 .Strabon, Geo ., XVII, 3, 13

28 .G. Camps, Loc., Cit

29 و هو الضريح الذي تقع بقاياه في الخروب بضواحي مدينة قسنطينة (أو كرتا). الدراسات الآثارية التي قام بها مجموعة من علماء الآثار الألمان أثبتت أن الأدوات التي عثر عليها بصومعة الخروب يعود تاريخها إلى عهد حكم الملك ميكواسن و بالتالي فإن ميكواسن قد دفن بضريح الخروب. Ch, B. Rugger, Die Keramik des Grabes Von .Es- Soumaa Bei El Kroub, Die Numider, Op. Cit., Pp. 339- 344

30 و تجدر بنا الإشارة إلى الوقوف عند هذا التاريخ و هو 148 ق.م ، حيث جاءت دراسات أثارية حديثة لتثبت أن هذه الأواني ذات الطراز الرودي يعود تاريخها إلى ما بين 130 ق. م و 110 ق.م و بهذا تكون معاصرة للملك ميكواسن (148- 118 ق.م).

31 Chris, B. Rugger, Die Keramik des Grabes Von Es Soumaa.

32 قع بين الجزائر العاصمة و شرشال على قمة جبل من جبال الساحل بالقرب من تيبازة و هي إحدى المراكز الفينيقية الواقعة على ساحل البحر.

33 G. Camps, Massinissa, Op. Cit., P. 239; Sall., Bell, Jugh, XVI, 5.

34 Sall , Bell, Jugh, VI, VII.

35 د. سيد أحمد على الناصري، التاريخ و حضارة الرةومان من القرية حتى سقوط الجمهورية، المرجع السابق، ص 169، ص 238.

36 Sall ., Bell ., Jugh ., IX.

37 Sall ., Bell ., Jugh ., X.

38 Sall ., Bell ., Jugh ., IX, X.

39 Livy, Epitome du Livre 62. - د. إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان ص 170.

40 Mouloud Gaïd, Aguellids et Romains en Berberie, Alger, Sned,1972, P.57.

41 Sall, Bell, Jugh, XI.

42 Sall ., Bell ., Jugh, XI, XIII .

43 Sall ., Bell ., Jugh, XVI.

44 د. سيد أحمد على الناصري، تاريخ و حضارة الرومان ، ص 239.

45 Sall, Bell., Jugh, XXVI.

46 و هو الذي كان تربونا Tribun للعامة في عام 120 ق.م

47 Sall, Bell, Jugh, XXVIII.

48 Sall, Bell., Jugh, XXVIII.

49 Sall, Bell., Jugh, XXIX.و يذكر سالوستيوس أن السبب في هذا التغير المفاجئ إنما يعود إلى الرشوة التي تلقوها من يوجورتا.

50 Sall., Bell., Jugh ., XXX, XXXII. د. سيد أحمد على الناصري، تاريخ و حضارة الرومان، المرجع السابق ص ؛ 241.

51 د. إبراهيم نصحي- تاريخ الرومان، للمرجع السابق ص 175.

52 د. سيد على الناصري تاريخ و حضارة الرومان، المرجع السابق ص 241.

53 د. إبراهيم نصحي- تاريخ الرومان، المرجع السابق، ص 176- 177.

54 Sallust, Bell, Jugh, XXXV. د. سيد أحمد على الناصري، تاريخ و حضارة الرومان، المرجع السابق ص ؛ 241.

55 الذي كان مساعدا Legatus للقائد بمرتبة قائم بعمل برايتور Pro Praetore

56 Sallust., Bell., Jugh ., XXXVI.

57 د. سيد أحمد على الناصري، تاريخ و حضارة الرومان، ص ؛ 242

58 و هي مدينة باجا Beja حاليا بتونس ذكرها سالوستيوس كمركز تجاري هام للقمح وجد بها جالية إيطالية من التجار.

59 و هو نهر السبوز حاليا

60 Cicero, Brutus, 33, 127, 34, 123.

61 ربما يقصد طبيعتهم الجغرافية

62 وصل إلى روما قبل موعد الإنتخابات في عام 108 ق. م بإثنى عشر يوما.

63 د. سيد أحمد على الناصري، المرجع السابق، ص 247.

64 Sall., Bell., Jugh., LXV.

65 هي مدينة Thelepie الرومانية جنوب سيكا على حدود الصحراء.

66 .Sallust., Bell., Jugh., LXXXIII

67 .Sall., Bell., Jugh., LXXXVI

68 .Sall., Bell., Jugh., LXXXVII

69 .Sall., Bell., Jugh., LXXXIX

70 و قد أسس هذه المدينة هراقل و إعتبرت مستعمرة فنيقية داخلية حسب رأي سالوستيوس.

71 Sall., Bell., Jugh., XCI

72 .Sall., Bell., Jugh., XCVII

73 كان متللوس قد حاول إرسال سفراء من عنده إلى الملك الموري يوخوس ليعلنوه أن مساعدة و حماية ليوجورتا سوف تجعل منه عدو للرومان مما قد يجلب عليه الحرب و الدمار و كان يوخوس قد رد عليهم أنه سيقبل الإتفاقية لو إشتملت على إمكانية قبوله لعرض المحالفة و السلام مع الرومان شرط أن تشتمل المحالفة على يوجورتا كطرف فيها ، و لم يذكر سلوستيوس تفاصيل هذا اللقاء.

74 .Sall., Bell., Jugh., CII

75 .Sallust, Bell, Jugh, CI, CII

76 .Sallust, Bell, Jugh, CIV

77 .Sallust, Bell, Jugh, CIV

78 .Sallust, Bell, Jugh, CXIII

79 Sallust, Bell, Jugh, CI, CXIV ; Diodorus Siculus, XXX, 39; .Plutarque, Sulla, III, Marius, X

80 Plutarque, Marius; Livy, Epitome du Livre 67 .St. Gsell. H.A.A.N. T. VII, P. 122

81 د. سيد أحمد على الناصري، المرجع السابق، ص 247.

82 J. Mazard, Corp., Num., Numi., Maure., Op. Cit., P. 45. Fig. 73, .74, 75

83 يرى جزال أن يوخوس منحه الرومان المنطقة الممتدة على الأقل حتى نهر الشليف و لم تصل الحدود إلى نهر الإمبساجا . كما كانت حدود مازاسيليا سابقا. و يتفق كامبس مع رأي جزاز في أن الحدود الشرقية ليوخوس وصلت عند واد المينا نهر ميناء Mina عند المجرى الأسفل لنهر الشليف.

84 Paul Orose, V, II, 4. - يذكر أنه عام 125 كان قد لقي حوالي 30000 مصرعهم على أثر وباء الطاعون و هذا العدد يبرر لنا أن العدد الكامل يفوق البيان المذكور.

85 F. Décret et M. Fantar, l'Afrique du Nord dans l'Antiquité, Op. Cit. P. 143.

86 Plutarque, C. Gracchus, X ; - Appian, Guerres Puniques, 136 Coasar, B. C. I, 24.

87 تكريما للألهة (جونو السماوية) Junon Caelestis و التي رأى فيها الرومان تانيت زوجة بعل Tanit Face de Baal.

88 بعد نشر خصوم جايوس الشائعات على المستعمرة الجديدة التي وصفوها بارض ملعونة.

89 G. Bloch, J. Carcopino, La République Romaine, Pp. 252- 253.
- F. Décret, M. Fantar, Op. Cit, P. 144.

90 بغض النظر عن الحاميات العسكرية الموجودة منذ عام 146 ق. م.

91 Aurelius Victor De Vir, ILL, 73, I, Bell., Afri, Pp. 35, 56.

92 G. Bloch, J. Carcopino, La République romaine, Op. Cit., P. 338. - CH. Saumagne, La Fossa Regia, Cahiers de Tunisie, T. 10, 1962, Pp. 412- 413. - Gascou, Marius et les Gétules Mélanges d'Archéologie et d'Histoire, Publié par l'école Française de Rome (M.E.F.R) T. 81, 1969, Pp. 555, 558. - C.I.L., VIII, P. 1487.

93 وثوبورنيكا Thuburnica و هي سيدي علي بلقاسم شمال شرق جارديما و على بعد خمسة عشرة كيلومترات جنوب غرب دوجا.

94 F. Bloch. J. Carcopino, La République Romaine, P. 338.

95 Ch. Saumagne, Op. Cit ., Pp. 89, 90.

هذا ما أثبتته وفرة النقوش التي عثر عليها بالمنطقة المذكورة و التي تؤكد أن ماريوس هو مؤسس هذه المستعمرات في نوميديا غرب الخندق الملكي.

96 F. Decret, M. Fantar, Op. Cit ., P. 148.

97 Sall, Bell, Jugh, IX.

98 J. Mazard, Corp. Num.Num, Maur, Op. Cit., P.45

يشير إلى أن هيمبسال بدأ الحكم عام 105 ق. م.

99 J. Mazard, Corpus, Op. Cit., P. 55, F. 99, 100.

100 Pliny., Hist., Nat., XVIII, 22.

101 خليج جابس بتونس الشرقية.

102 J. Mazard, Corpus, Op. Cit., P. 46 Fig .76, 77, P. 47, Fig 78, 79, P. 47, Fig, 78, 79, 80, 81, 82, 83.

103 Troussel, Trésor, monétaire de Tiddis R.S.A.C., T. LXVI, 1948, P. 132. - تعود العملات الأجنبية إلى عام 79 ق.م و هي فترة حكم حيمبسال الثاني.

104 من الملاحظ أنه لم يعرف بالليبية حرف « الحاء» لذا كتبت إسمه بالهاء المعروفة في الحروف الليبية.

105 St. Gsell, H.A.A.N., T. VII, P. 281.

106 Plutarque, Marius, XLI, XLIII.

- Dio Cassius, F, 102, 8;

- Livy , Epit, 79-80.

107 Plutarque, Pompey, X, XII.

108 و هويوم عودة بومبي إلى روما بعد منحه سوللا لقب الأكبر، و حق الإحتفال بالإنتصارات على نوميديا. P. Orose, V, 21, 14 ; Plut ., Pompey, XIII, XIV; Livy., Epit., 89 ; Strabon, Geo., IV, 5, 1.

109 J. Mazard, Corpus, P. 49.

110 F. Décret, M. Fantar, L'Afrique du Nord dans l'Antiquité, P. 152.

111 St. Gsell, H.A.A.N ., Op. Cit., T. VII, P. 294.

112 د. سيد أحمد الناصري، تاريخ و حضارة الرومان، ص 358.

113 Plutarque, Pompey, LXXVII, LXXX ; - Appian, B. C ; II, 84- 86 ; - Livy., Epit ; 112.

114 Caesar, B. C. II, XXIII; Appian, B. C, 44, 46.

115 و قد نزل في مكان يحمل إسم Anquillaria بالقرب من كلوبيا (Clupea).

116 M. Gaïd, Aguellids et Romains en Berberie , Op. Cit ., P. 80.

117 Caesar, B. C. II, XXXVIII.

118 Caesar, B. C, II, XL.

119 Caesar, B. C , II, XLI & , II, XLII.

120 Caesar, B. C , II, XLIII.

121 يذكر قيصر (B.C , II, XLIV) أن عددا قليلا من الجنود و بعض رؤساء العائلات Pater Familiae نجحوا في الإبحار و وصلوا صقلية.

122 Plutarque, Caes., LII ; APP., B. C, II, 95- 100; - Dio. Cassius, XLII, 13, 56- 58.

123 Caesar, B. C, II, XLIV.

124 من بينهم، ليسينيوس دماسيبوسLicinius Damasippus و سارفيوس سولبسيوس Servius Sulpicius.

125 Caesar, B. C, II, XLIV.

126 د. إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 657.

إختلفت الآراء حول عدد قوات جيش الجمهوريين فمنهم من يرى أن لهينوس كان على رأس إثنتا عشر فرقة (Légions) و عدد كبير من الخيالة الجرمان و الغال و الأفريقيين، (B. A, 19) بالإضافة إلى أربعة فرق و عدد هائل من الخيالة (B.A ; I. 48). أما أبيان (B. C ., II, 96) فقد منح يوبا قيادة حوالي ثلاثين ألف من المشاة و عشرين ألف من الخيالة. سكبيو ، ثمانية فرق و حوالي عشرين ألف من الخيالة ، (B. A. I)

127 د. إبراهيم نصحي المرجع السابق، ص 657.

كان قيصر قد جمع ست فرق و حوالي ألفين فارس(De Bell., Afr) و قد وصلت إليه إمدادات من صقلية ضاعفت العدد المذكور إلى جانب الإمدادات العسكرية التي ساهم بها كل من بوخوس و سيتيوس؛De Bell, Afr, 33, 44, 53.

R. Cagnat, L'armée romaine d'Afrique sous l'occupation des Empereurs, P. X, XI, XI.

128 د. الناصري، تاريخ و حضارة الرومان، المرجع السابق، ص 379.

قد أوفد إلى أفريقيا منذ معركة فرسالوس أبرز الجمهوريين منهم ، كاتوولابينوس و أفرانيوس و بتريوس و فاوستوس سوللا و إبن بومبي سكستوس، و جنايوس و كوينتوس متللوس، سكبيو. -د. إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 656- 657.

129 Sittius أو هو بوبليوس سيتيوس أحد المغامرين من جنود كاتيلينا القدامى الذي فر من دائنه إلى أسبانيا لتكوين ثروة جديدة و قد كون جيشا خاصا و أسطولا صغيرا و إنخرط منذ حوالي عشرين عاما في خدمة الملك بوخوس ملك موريتانيا.

130 J. Mazard, C.N.N.M. Op. Cit, P .55.

الباب الثاني

مظاهر الحضارة في نوميديا

من حكم الملك جايا إلى بداية الإحتلال الروماني

(213 ق.م / 46 ق.م)



الفصل الأول : النظم الإدارية

أولا : الوظائف الملكية :

بعد أن قضى ماسينيسان على خصمه سيفاكس و أزال نهائيا المملكة المازاسيليا عام 200 ق.م عكف على تنظيم الإدارة في البلاد و ذلك إلى عام 195 ق.م، و قد أدلى تيتوس ليفيوس [1] و أبيان [2] بإعتراف سكبيو و مجلس الشيوخ الروماني بكفاءة ماسينيسان و تنصيبه ملكا على النوميد، و تعد فترة ملك ماسينيسان أطول فترة في تاريخ شمال أفريقيا حتى الآن.

ففي البداية كان حق مباشرة السلطة يوكل إلى أكبر ذكور العائلة المالكة سنا غير أن في عهد ماسينيسان حاولوا أن يمدوا هذه المملكة بانظمة أكثر متانة، فحمل ماسينيسان لقب تنوب عن حروفه المتمثلة في الوظيفة النوميدية الكلمة المعروفة في اللهجة البربرية بمنطقة القبائل بالجزائر أغليد Aguellid[3].

كما أن ميكواسن قد حمل لقب «حمملكت» في نقش بونيقي عثر عليها بجبل ماسوج (أربعين كيلومترا جنوب دوجا) [4].

و نلاحظ أن لقب «حمملكت» الذي يعني أمير لا يعد مناسبا للوظيفة الملكية و أيضا لقب أغليد الذي حمله أشخاص من غير الأمراء أو الملوك. غير أنه عثر على نقشان الأول في تيجيبا (منطقة مكتار) و الثاني بشرشال حمل فيها ميكواسن اللقب الليبي [5] أو Mnkdh أو م ن ك د (منكد) و هو يدل عن وظيفة عالية في الدولة.

عثر في لبدة على نقش بونيقي جديد تكريما لأوغسطس. و ترجمت إلى اللاتينية بإمبراطور Imperator، و في عدة نقوش ليبية نلاحظ إستخدام الكلمتان، Msuh Mnkdh و ترجمت هي الأخرى إلى «جندي الإمبراطور».. لكن أهمية هذا القب تعود إلى كونها تطابق لفظيا و صوتيا الكلمة البربرية بلهجة التوارق أمينوكول [6] Amenokal و حاول فيفري ترجمة Mksn Mnkdh بمكواسن القائد الأعلى [7].

أما النقش البونيقي الذي عثر عليه بشرشال و فقد ترجم [8] إلى ملك الماسيليين، و هي تعظيم و تكريم لميكواسن بعد موته من طرف أحد أحفاده الذي يحمل إسم «بوغود» و قد وصفت هذه الكتابة أدوات الطقوس الجنائزية الملكية وصفا دقيقا، فكانت الأسطر الأولى من الكتابة تقرأ كالتالي، حسب الترجمة الفرنسية لفيفري: «معبد جنائزي من أجل حي الأحياء/ ميكواسن ملك الماسيليينن المفقود، قائد الأمة، رئيس الأمراء المكرم». و بعد دراسة هذا النص نستنتج من خلال بعض الكلمات الوظائف التي كان يحملمها ميكواسن فنلاحظ أن كلمة «حي الأحياء» هي عبارة تدل على الملك «المؤله».

أما لقب « ملك مسليم» و التي تعني ملك الماسيليين فهو يعبر عن السلطة الملكية، و نلاحظ أن كلمة «رب الأمراء» فهي تضع الملك

سيدا على كل الأمراء المحليين و هي أعظم و اكبر وظيفة في الدولة لأنها تضع الملك في رتبة «الملك المؤله». و نلاحظ أن الوظيفة الملكية جلدت قد إختفت منذ عهد ميكواسن و كان لها مدلولا دنياوي و ديني. أما الوظيفة منكد و التي تعني الإمبراطور باللاتينية و التي إستحدثت عند قبائل التوارق بإسم إمينوكال فلها مدلول عسكري و حربي.

و من الجدير بالذكر أن النصوص النقشية المعروفة حتى الآن لم تعط لماسينيسان لقب ملك أو رئيسا أعلى، و بهذا نقول أن ملوك القرن الثاني ق. م حملوا لقب حمملكت (أميرا بالبونيقية) و (جلدت بالليبية). و كانت السلطة الملكية في عهد ماسينيسان قائمة على أسس ثابتة نابعة من نظم قديمة كانت فيها السلطة تعود إلى أكبر شخص في العائلة المالكة.

أما في عهد ميكواسن و وفقا لكتابة «تيجيبا» نلاحظ أن كلمة منكد تعبر عن السلطة الملكية و يكون الملك فيها رئيسا أعلى و قائد الرؤساء المحليين و الأمراء و القبائل و المدن. كما نلاحظ أيضا أن الملك كان يحمل في المدن لقب «حمملكت» و التي تعني «أمير» بدل مملكت و التي تعني «ملك» و بهذا يعد الملك أميرا على كل المدينة و أن القضاة الذين حملوا نفس اللقب في كتابة دوجا هم منتخبي الأرستقراطية المحلية و ممثلين الملك في المدينة.

و بهذا نستطيع القول أن السلطة الملكية تتلخص في إعتباره ملكا على القبيلة التي إنحدر منها، و رئيسا على القبائل النوميدية التي إعترفت بسلطته و سلطة عائلته كما هو سيدا على المدن أيضا، و على ذلك فإن شخصية الملك كانت تجمع بين مختلف السلطات.

بعد موت ماسينيسان ظهر نوع جديد من الأنظمة الإدارية.و كما ذكرنا سابقا كان ماسينيسان قد ترك بعد موته ثلاثة أولاد و كانت الخلافة من حق إبنه الأكبر ميكواسن الذي يقال عنه أنه قد أهداه الخاتم المعبر عن السلطة. غير أنه لم يعلن خلافته رسميا و ترك الأمر إلى سكبيو الذي قسم الحكم بين أبناء ماسينيسان الثلاث، و قد فسر البعض هذا التقسيم لعوامل عديدة منها:

1) عدم تعيين ميكواسن ملكا الذي من حقه الإنفراد بالحكم وفقا للتقاليد النوميدية القديمة يعود إلى شخصيته المسالمة.

2) تقسيم السلطة بين الثلاثة هو نابع عن أنظمة ليبية أصيلة لم يكن لها تاثيرا بونيقي و لا روماني حيث لاحظ بيكار أن مدينة Mactar و الثبوروس Althiburos كان قد عين على رأس كل منهما ثلاثة حكماء « الشوفيت » و ليس أثنين كما هو الحال في قرطاجة. كما أن الإتحاد الكرتي الذي جمع بين مدينة «شولو» «ميلاف» و «روزيكاد» كان يرأسه ثلاثة أشخاص، و أن تنظيم هيئة المنتخبين في «كرتا» و «ماكتار» هو نابع من أصل نوميدي، و بعد مقارنة هذا النظام الإداري بالمدن النوميدية و تقسيم السلطة بين أبناء ماسينيسان الثلاث نرى أن تقليد النظام الإداري كان متعامل به في المدن النوميدية حتى العصر الروماني [9].

أعطت مسلة الحفرة [10] المؤرخة عام 148 ق.م و هو عام وفاة ماسينيسان لقب " حمملكت" للإخوة الثلاثة : ميكواسن، ماستانبعل و جولوسا.

حمل الملوك النوميد إبتداء من سيفاكس، الرمز الملكي و هو التاج على نمط خلفاء الإسكندر المقدوني و الذي كان قد قلد بدوره الفرس و ظهر على رؤوسهم في النقود المنسوبة إليهم [11].

ثانيا : النظام الإداري في المدن النوميدية

كما هو معروف وجدت أغلبية المدن النوميدية على الساحل و هي في غالبيتها مدن فنيقية أو مؤسسات قرطاجية إسترجعها ماسينيسان و سيفاكس و قد ضمنت الإستقرار و التفوق الإقتصادي لنوميديا. أما عن النظم الإدارية لهذه المدن فهي غير معروفة بدقة و إستخلصنا المعلومات الخاصة بهذه الأنظمة من خلال بعض الوثائق النقشية و المسكوكات التي أبرزت للوجود بعض الأنظمة الإدارية المتعلقة ببعض المدن. أما النصوص فهي غير واضحة و لم تتكلم بصفة خاصة عن إدارة المدن.

أما فيما يخص النظام الإداري لمدينة ماكتار نلاحظ أنه قد حكمها ثلاث «شوفيت» و ليس إثنين حسب التقليد البونيقي [12]، و نفس النظام وجد في مدينة الثيبوروس [13]. أما المعلومات المتعلقة بالنظم الإدارية في بقية المدن النوميدية فهو يعود إلى العصر الروماني. غير أننا نلاحظ فيه تنظيما قديما متاثرا بالنظام البونيقي و هو نظام الحاكمين (الشوفيت) و أغلبية هذه المدن تقع في منطقة قرطاجة أو ولاية أفريقيا في العصر الروماني. أما المدن التي بها نظام الحاكمين في نوميديا هي كالتالي [14]:

الإسم الحالي	الإسم العربي	الإسم اللاتيني للمدينة
مادينا	الثيبيوروس	Althiburos
بير الأبيض	بيـر الأبيض	
قالمة	كالامــا	Calama
قفصة	كابســا	Capsa
	جاديوفـالا	Gadiaufala
	جــاليس	Gales
لبــدة	لبكيس ماجنا	Lepcis Magna
	ليميســا	Limisa
مكتــار	مكتــار	Mactar
ســكبيا	ماسكولـولا	Masculula
دوجــا	ثوجــا	Thugga

و يبدو أن هذه المدن المذكورة قد عرفت هذا النظام منذ نشاتها.

أما كرتا فقد عرفت نظام «الشوفيت الثلاث» إبتداء من القرن الثالث ق.م حيث نلاحظ في نقش عثر عليه بها إسم يبتدأ بالحروف التالية و هي: دملقرت و هو إسم عرف في قرطاجة و حملت بعض الأشخاص مثل عبد لقارت Amilcar و بادمالقارت Bad Melquart و بومبيلكار Bomilcar. و كلمة بادمالقارت هي تعني ملقارت الإله القرطاجي الذي ترجم إلى هرقل بالإغريقية و أن الحروف «بد» هي إختصار لعبد و بهذا تكون كلمة بادملقارت هي عبد ملقارت (عبد الرب ملقارت) مثل ما هو معروف بالعربية: عبد الله، عبد القادر، عبد الرحمن، و أن هذا الإسم أي

«ملقارت» هو أول حاكم « الشوفيت » عرفته مدينة كرتا [15]. كما سكت كرتا نقود بإسم بوملقارت و حانو و يبدوا أنهما شوفيت مدينة كرتا [16]. كما نلاحظ أيضا في مسلة بونيقية جديدة بالحفرة (قسنطينة) مؤرخة من العام الأول لتاولي سرم و سلوم [17] وظيفة «الشافطية».

كما عثر في مدينة قالمة عن نقش لاتيني أشار إلى «البرانسيباسي» Principes و هذه الوظيفة لا تعني رئيس قبيلة إنما تعني عضو في مجلس أو جمعية شعبية. كما أظهر نقش لاتيني آخر شخصا يحمل لقب Principes [18].

و في العهد الروماني كان على رأس بعض القرى التي كانت تابعة لقرطاجة قضاة يحملون لقب Magistri أو Magistrati [19] و يبدو أن أصل هذه الوظيفة قديم و يعود إلى عهد الملوك النوميد. أو من المحتمل أيضا أن أغلبية المدن كان يسير تنظيمها الإداري مجلس أو جمعية شعبية، و الجدير بالذكر أن منطقة القبائل بالجزائر تعرف حتى الآن نظام الجماعة الذي له نفس إختصاص المجلس الإداري.

ذكر سالستيوس [20] أن مدينة «فاجا» كان لها مجلس البرانسيباس و قد دام هذا النظام حتى عصر يوغورتا. عرفت مدينة تبسة في القرن الثالث ق.م مجلس المسنيين أو Presbyteroi [21].

كما عرفت مدينتي مكتار و الثييوروس مجلس شعبي يحمل إسم ميزراخ رأى فيه البعض مجلس إنتخابي ديني.

كما أناب الملك عنه في بعض المدن حاكم Praefecti إذ علمنا أن سيفاكس قد عين في المدن الماسيلية التي إحتلها ولات [22]. من جهة أخرى نلاحظ أنه في عهد يوغورتا أشار سالوستيوس إلى وجود «حاكم أو والي» في القرى و المدن النوميدية [23]. و كانت وظيفة هؤلاء إلى جانب قيادة الجيش جباية الضرائب أيضا حيث نلاحظ أن عددا من المدن النوميدية خفضت الكنوز الملكية، و بهذا فهي أقسام أو دوائر مالية، و يذكر بيكار [24] أن مدينة مكتار كانت على رأس قسم ضريبي هام تحت حكم الملوك النوميد.

حملت بعض المدن النوميدية وصف «الملكية» (Regia) و هذه المدن لم تذكر كعواصم، و من المحتمل أنها تقع في منطقة الممتلكات الملكية [25].

كانت هذه المدن محصنة و قد عرفت نوميديا عدد كبير من الأملاك تابعة لها خارج المدينة. و في بعض الأحيان نلاحظ وجود قرى تابعة إداريا للمدن الكبيرة حيث كان يحيط بمدينة كرتا القرى التابعة لها إداريا.

و كانت لهذه القرى إدارة محلية بعيدة القرابة عن النظام القبلي و وجد بها جاليات أجنبية و عمال إيطاليين، حرفيين أغريق و بعض القرطاجيين.

أما المدن الساحلية التي أشرنا إليها سالفا، قد إحتفظت في بعض أنظمتها الإدارية القرطاجية و على عكس قرطاجة منحها الملوك النوميد بعد إسترجاعها حق سك العملة مثل مدينة عنابة و سكيكدة [26] و شرشال. و كانت نقود هذه المدن من مادة البرونز و تستخدم للتجارة الداخلية. غير أن مدينة لبدة قد سكت في فترة قصيرة نقودها من مادة الفضة.

ثالثا : النظام القبلي النوميدي

كانت المملكة النوميدية خارج المدن عبارة عن إتحاد قبلي، و أشارت إلى هذه القبائل وثائق ترجع إلى ما قبل تاسيس الممالك النوميدية أو إلى العصر الروماني.

أما فيما يتعلق بالقائل التي عاشت إبتداء من القرن الثالث ق.م و التي أشارت إليها بعض النقوش اللاتينية يمكننا ذكرها في عصر الممالك النوميدية لأن وجودها في العصر الروماني يعد بقاء و إستمرارية لعصر مسبق. و لنذكر هذه القبائل تدريجيا.

أ- توزيع القبائل النوميدية

من حدود قرطاجة حتى نهر الواد الكبير:

أشار ديودور الصقلي [27]، خلال تحدثه عن حملة أجاثوكلاس على أفريقيا، إلى قبائل يمكن وضع موطنها في المرتفعات التونسية و هي قبائل الزوفون Zuphône و قبائل الأرياكيد Areacides التي حاربت إلى جانب حنبعل قد إشترطت في نفس المنطقة [28].

- قبائل الأسفود الوس [29] Gens Asphodelos و تقطن شمال تونس. و من المحتمل أن داكاماس Dacamas الذي إنظم إلى جانب الرومان في الحرب البونيقية الثانية على رأس ستمائة فارس ينسب إلى هذه القبائل.

أما الوثائق التي أشارت إلى القبائل القاطنة في المنطقة الغربية تعود للعصر الروماني و نذكر من ضمن هذه القبائل تلك التي يحتمل إرجاعها إلى العصر النوميدي، و منها :

- قبائل ايبونتي Gens Iontii و تقطن هذه القبائل المنطقة الساحلية حتى طبرق و تظهر أقدمية هذه القبائل في كونها مذكورة عند ديودور الصقلي [30].

- قبائل الميزيكيري Gens Misiciri و هي عبارة عن قبيلة أو إتحاد قبلي عاش في العصر الروماني في منطقة الغابات بالشافية (Cheffia) و موني (Munier) أشارت إليهم ثلاث نقوش لاتينية [31] و إثنتان وستون نقشا ليبيا تحت الحروف التالية : Mskrh و التي رأى فيها شابو كلمة Misiciri [32]. و إنتشرت هذه النقوش في المنطقة الممتدة من نهر الماجاردة جنوبا حتى نهر الوادي الكبير و سهل التارف شمالا و وادي نهر الناموسة غربا، أما شرقا فوجدت هذه القبائل حتى منطقة فارنانة. و نظرا لكبر مساحة المنطقة التي قطنتها قبائل الميزيكيرى فنرى فيها إتحاد قبليا و ليست بقبيلة.

داخل أراضي الميزيكيرى عاشت شعوب أخرى تحمل إسم : نابإباس Nababes في منطقة ماشتة الجنائن Mechta Djenaine [33]. كما عاش في كاف بني فرج قرب مدينة ثوليوم Thullium قبائل تحمل الحروف اللاتينية çrmmh «س ر م م ح» و الذين أعدوا أنفسهم من الميزيكيرى [34]. أما جنوبا في جهة نهر بياضة Bayada الوادي الأعلى لنهر الوادي الكبير عاشت قبيلة Nndrmh «ن ن د ر م ح» .أما قبيلة Nsfh «ن س ف ح» فقد إحتلت منطقة أكثر إتساعا حيث نجدهم في عين

الحفرة [35] بجوار موني (Munier) و أشار إليهم ثمانية عشر نقشا. أما قبيلة Nfzih « ن ف ز أ ح» فتحتل منطقة ضيقة جنوب موني و عين الكرمات Ain Karmat.

و بهذا نلاحظ داخل الحدود الميزيكيرية وجود خمسة قبائل.

- قبيلة نوميدا Numidae أو Gens Numidarum و تقطن هذه القبيلة منطقة إلتقاء نهري المليح، الماجاردة، السيبوز، و وادي الشرف، إذ وجدت بمنطقة توبورسوكو Thubursicu [36] و هي قبيلة كبيرة قسمت في العصر الروماني إلى أجزاء إدارية، و جد جزء من هذه القبيلة في منطقة الماجاردة العليا [37] و أن كلمة Ngrith (ن ج ر أ ت ح) أو Ngry (ن ج ر ي) و التي أشارت إليها شواهد قبور ثر عليها بمنطقة سوق أهراس و قلعة بوسبع و تعد جزءا من الإتحاد القبلي النوميدي [38].

- قبائل الموسولامي Gens Musulames و توجد هذه القبائل جنوب قبيلة نوميدا و إشتهرت في عصر إنتفاضة تاكفاريناس و عصر الإمبراطور تيبيروس Tiberus و كانت هذه القبائل تقطن في جزء كبير من حوض نهر الموثول Muthul أو المليح حاليا.

و قد عثر على مخلفات أثرية تمثلت في نقوش لاتينية ترجع للقرن الثاني الميلادي، أشارت هذه النقوش إلى الحدود التي وضعها الأباطرة بين مدن: حماديرا (هيدرة حاليا) [39]، و مادوروس Madauros، و ثيفاست Theveste و ثالا Thala و هنشيرمدكيس Henchir Medkis و بين قبائل الموسولامي [40].

كون كل من الميزبسيرى و النوميدي و الموسولامي إتحاد قبلي دام حتى العصر الروماني المتاخر. كما نلاحظ أنه وجدت قبائل تابعة للموك النوميد و وصفت بالملكية (Regia) مثل: قبائل مزوني الملكية [41]

Musuni Regiani و ذكرهم بلين [42] تحت إسم موسوني Mussini و بطلميوس الجغرافي و قد عثر على نقوش تخص هذه القبيلة شمال شرق فاريانة و هنشير الرشيج و هنشير الشراجة.

أما عن وصف Regiani «ملكية» و الذي أطلق على جزء من القبائل النوميدية إنما يدل على مدى العلاقات التي كانت تربط بين الملك و القبيلة و يبدو أن هذه القبائل كانت تحت الحماية الملكية يرأسها موظفون معينون من قبل الملك، أو أنها كانت تقطن الأراضي الملكية وفقا لإتفاقية بين الطرفين (الملك و القبيلة). و من المحتمل أيضا أن وصف «ملكي» يوافق الكلمة «مخزن» للعصر العثماني في الجزائر حيث كانت بعض القبائل الجزائرية قد وضعت نفسها تحت تصرف الباي العثماني بالجزائر بدلا من مقابل إعفائهم من دفع الضرائب و إستعارة الأراضي.

- قبائل النتابوتاس Gens Nattabutes و تقطن هذه غرب نهر الشرف.

- قبائل النكيفاس Gens Nicives و يبدو أن هذه القبائل قد إستقرت في موقع يحده قبائل الماسيل و قبائل سوبوربوراس الملكية و النتابوتاس.

- قبائل الفكاموراس Gens Vacumures و الأثيني Ethini و المراخوبي Marachubi، أشار بليني إلى هذه القبائل الثلاث [43]. غير أنه لم يعثر حتى الآن على نقوش تدل على وجود هذه القبائل.

- قبائل الكرسيتاني Gens Carsitani، أشار سالوستيوس إلى مدينة قفصة التي حاصرها ماريوس خلال حرب يوجتا [44]، و يبدو أن هذه القبائل كانت تقطن المنطقة المجاورة لهذه المدينة.

- قبائل السوبوربور Gens Suburbures، و قبائل المالياردى Haliardi و تقطن هذه القبائل بالقرب من سهول سطيف.

ب- توزيع القبائل النوميدية
من نهر الواد الكبير حتى نهر الملوية

- قبائل الكابرارينساس Caprarienses أشير إليهم [45] عام 348 ميلادي في منطقة جبلية يحددها الأثيوبيون و يحتمل أن هذه القبائل كانت تقطن منطقة مرتفعات الحضنة [46].

- قبائل الأكوتمامي Ucutami أو الأكوتاماني Ucutumani، أشار إليها نقشا يعود إلى العصر البيزنطي عثر عليه جنوب مدينة جيجل [47] و يحتمل أن هذه القبائل هي تلك التي ذكرها بطليموس الجغرافي تحت إسم "الكورداموسو" Kordamousu و هم أجداد قبائل كوتوما التي أشار إليها إبن خلدون [48].

- قبائل الفيراتانساس Feratenses، أشار إليها يوليوس هونوريوس [49] و تقطن بمنطقة مرتفعات جبل الفراتوس بالقرب من Tiklat Tubusuctu [50] أي في منطقة شمال الطريق الذي يفصل بين بجاية تاورجا و دليس.

- قبائل الماكورابي Macurebi، أشار إليها بليني بين نهر الأوسار Usar و نبار فلومان Nabar Flumen [51]. و يحدها عن قبائل النابابس [52] نهر الأوسار، و يبدو أن فرع من قبائل الماكورابي المشار إليها في المنطقة الغربية قد زحف غربا و هذا ما يفسر تكرار إسم القبيلة في الشرق و في الغرب.

- قبائل الإكمبانساس Icompenses و تقطن بمنطقة الوادي الأسفل لنهر الأوسار[53] و يرى فيها ديزانج قبائل الإيفانساس Ifanses.

- قبائل الماكوراى Makkourae و تقطن المنطقة المجاورة لجبال الوارسنيس Ouarsenis[54].

- قبائل الموكيني Mukeni و تقطن نواحي شلف[55] Oppidum Novum.

- قبائل المازيكاس Mazices ذكرت قبائل شتى تحت هذا الإسم[56]، و أشار إليهم في موريتانيا القيصرية بالقرب من جبال زكار Zalakon[57].

- قبائل البرباراس Barbares أشار إليهم يوليوس هورنيوس[58] بين قبائل المازيكاس Mazices و الفكواتاس Vacuates[59].

- قبائل الدروتيا Drutea أشار إليهم بطليموس بالقرب من قبائل المازاسيلي[60] و يرى ديزانج في كلمة الدروتيا أهل دوريس Duris و هي كلمة ليبية تعني الأطلس أو الجبل[61].

- قبائل الهربديتاني Herpeditani وضعهم بطليموس[62] شرق موريتانيا الطنجية و غرب موريتانيا القيصرية جنوب مناجم النحاس أو Khalkoukheia و نلاحظ أن Khalka التي أشارت إليها مدونات رحلة سلاكس أنها تقع غرب مدينة سيجا و يمكن إرجاع مدينة هربيس Herpis[63] إلى إسم هذه القبيلة الواقعة في موريتانيا الطنجية. كما نلاحظ أن جزء من هذه القبائل وجد في منطقة جبل الكبدانة Kebdana (غرب نهر الملوية) و جزء ثاني وجد على سفوح جبال بني سناسن بالمغرب الأقصى[64].

- قبائل الماكواس Gens Macues ذكرهم نقش عثر عليه بشرشال و وصفهم بقبائل موريتانيا و من المحتمل أن هذه القبائل هي تلك التي أشار إليها بولبيوس [65] و يمكن مقارنتهم بقبائل الماكوسي Makkousii التي أشار إليها بطليموس [66].

بعض هذه القبائل المذكورة يرجع وجودها إلى ما بعد الممالك النوميدية في العصر الروماني. غير أن وجودها يعود إلى تاريخ سابق لهذا العصر و إعتبرت القبائل وحدات سياسية هامة بالنسبة للمملكة النوميدية، تجمعت على شكل عائلات حول القرى أو على شكل إتحاد قبلي أو إتحاد شعوب.

و من الملاحظ أن القبائل النوميدية كانت شبه مستقلة و تدين للملك بدفع الضرائب و الفيالق العسكرية إذ تطلبت الحاجة، هذا بإستثناء القبائل الملكية الموالية للملك.

و رغم مظهر الإستقرار و الأمن في عهد حكم ماسينيسان نلاحظ أنه عان من بعض الإنتفاضات و تمردات بعض رؤساء القبائل منذ بداية توليه الحكم حيث كما هو مذكور سابقا رأينا كيف إستطاع مازاتول بعد وفاة كابوسا أن يستقل بزمام الحكم .و أن كيف فرض الأمير لاكومازاس على ملك ماسيليا. و بعد إخماد الثورة و عودة ماسينيسان إلى ماسيلنيا رأينا مرة ثانية مازاتول يحارب إلى جانب حنبعل عام 202 ق.م على رأس ألف فارس. مرة أخرى ظهر أحد رؤساء القبائل بإسم توخايوس Tuchaios و من المحتمل أن يكون رئيس قبيلة الآرياكيد Areacid يحارب الرومان. في نفس الفترة ترك ماسينيسان 4000 فارس إنضموا إلى جانب حنبعل [67].

كما إستمرت صعوبة التحكم في رؤساء و أمراء القبائل حتى عام 150ق.م فنلاحظ تمرد أحد النوميد المسمى أفتير .Aphtir

Aphter عام 195ق.م أما عام 150ق.م خلال مواجهة ماسينيسان لجيش أزدروبعل إنضم 6000 فارس نوميدي بقيادة رئيسين هما، أجازيس Agasis و سوباس Soubas، إلى العدو.

بعد إحتلال ماسينيسان لمازاسيليا لم تشير النصوص قط إلى كيفية التحكم في رؤساء القبائل لهذه المنطقة، و من المحتمل أنهم إعترفوا بسلطته عليهم و التي تمثلت في دفع الضرائب السنوية المتمثلة في الحبوب و الماشية.

أما فيما يتعلق بعلاقة الملك بقبائل الجدالة Geatulii فالنصوص تبدو غامضة، و من المحتمل أنه وجدت قبائل الجدالة موالية للملك الماسيلي و المازاسيلي و كانت هذه القبائل تقوم بدور الوساطة في التجارة عبر الصحراء مثل قبائل الغارامونت بين الشمال و الجنوب الذي كان يسكنه الأثيوبيون.

و من الملاحظ أن القبائل الرحل كانت تقوم بغارات على المدن لسلب المحاصيل الزراعية، هذا الأمر دفع المستقرين إلى تحصين مدنهم و تخزين محاصلهم الزراعية في قرى جماعية و قلاع في أماكن وعرة جبلية.

و على عكس المدينة إحتفظت القرى بانظمتها الإجتماعية القديمة و تقاليد الحكم الجماعي كما إحتفظت بالعادات الدينية و الطقوس الجنائزية و اللغة الليبية على عكس المدينة التي أصبحت بونيقية و أغريقية و لاتينية.

رابعا : نظام الجيش النوميدي :

أ- البري :

كرس ماسينيسان كل مجهودات السنوات الأولى من حكمه في تكوين جيش و تدريبه على أحسن النظم الحديثة المعاصرة، فكون جيشا بريا و بحريا لمواجهة الخطر الداخلي من أخماد التمردات و الخطر الخارجي المازاسيلي و القرطاجي.

في بداية تكوين الممالك النوميدية كان الجيش عبارة عن وحدات عسكرية تجمع من كل القبائل. ولما أدرك ماسينيسان عدم ضمان ولاء هذه القبائل له حاول أن يجعل من بعضها سندا في خدمة سياسته و بهذا سميت بعض القبائل «بالملكية» كما هو مذكور سالفا. فكون جيشا نظاميا محترفا، و تطلب ذلك ميزانية خاصة من أجل إنفاق الجيش و كانت تمول هذه الخزينة بالفوائد الناتجة من بيع القمح و الصادرات الأخرى و الضرائب.

كان الجيش النظامي مقيم في المدن بالقرب من القصر الملكي أو في العواصم الإقليمية. رأينا أن سيفاكس كان قد طلب من الرومان مدربين عسكريين [68] كما أنه قد ترك في كل المدن التي إحتلها وحدات عسكرية يسيرها والي Praefecti [69].

و إبتداء من يوجورتا على الأقل إستعان الجيش النوميدي بالمرتزقة من اللجوريين Ligures و الثراس Thraces [70]. حيث نلاحظ وجود أسماء ثراسية منقوشة بالإغريقية على إحدى مسلات الحفرة [71].و أن يوبا الأول قد إستخدم في جيشه مرتزقة من الإسبان و الغاليين [72].

أما فيما يتعلق بتنظيم الجيش البري. فقد يجمع الجنود على شكل سريات يقودها ضباط. نظم يوبا الأول جيشه أيضا على شكل فرق، و كون الثكنات العسكرية موجودة بالمدن فهذا يدل على تاثيرها بالفنيات العسكرية البونيقية، حيث كانت الإدارة العسكرية و الخدمات يقوم بها موظفون و كتاب متشبعين بالثقافة البونيقية، حيث كانت الأوامر العسكرية تعطى بالبونيقية ثم بالإغريقية قبل أن تصبح باللاتينية [73].

كانت تضاف إلى الوحدات العسكرية للجيش النظامي وحدات أخرى من القبائل النوميدية في أوقات الحرب.

أما فيما يتعلق بالأسلحة فكانت بونيقية و قد إستخدموا الرمح و الدرع ذات الشكل البيضاوي، و السماعة المقرنة، و القوس و خاصة السيف القصير [74].

و قد عثر في مقبرة الخروب علي سيوف و رماح كما رسم على جدران واد الخنجا رؤساء ماسيل يحملون السيوف [75]، و قد إستعمل النوميد أيضا الفيلة و الفرسان و حيث عثر على نقش بالكتابة البونيقية في مدينة مكتار [76] أشارت إلى "فارس في بلاد الليبيين" هذا إلى جانب وفرة النصوص الأدبية التي تكلمت عن الفرسان النوميديين [77].

البحري :

نتج عن توسع ماسينيسان شرقا و غربا إمتلاك بعض موانئ الهامة التي إمتدت من نهر الملوية غربا حتى منطقة طبرقة شرقا حيث أصبحت المراكز الساحلية البونيقية و المازاسيليا تحت سيطرته و تصرفه. كما

أن إمتلاك الأسواق البونيقية Emporia في السرت الصغرى و طرابلس و التي كانت تتحكم و تراقب الصادرات في إتجاه اليونان، فكان هذا الإحتكار قد ضمن له التبادل التجاري مع العالم الخارجي و شجعه على تكوين و تطوير أسطول بحري و حربي بغرض حماية تجارته الخارجية.

يؤكد وجود هذا الأسطول النوميدي ما جاء به شيشرون [78] إذ ذكر أن أسطول ماسينيسان بعد أن أبحر في إتجاه جزيرة مالطة Malte إستطاع أحد قظبان البحر التابعين للأسطول أن يحصل على أسنان فيل عظيمة كانت تزين معبد «عشترت» أهداها هذا الأخير بعد عودته إلى الملك و بعد أن تطلع عن مصدرها أمره ماسينيسان بعد تحضير مركب ذات خمس مجاديف Quinque Remes أن يعيدها إلى مكانها، و هذا دليل على أن ماسينيسان كان يملك عدد كبير من هذا النوع من المراكب و تدل أيضا على أن أسطوله الحربي كان يراقب السواحل الشرقية و الغربية لشمال أفريقيا.

1 .Titius Livius, XXX, 16, 1

2 .Appian, Lib, 32

3 .G. Huyghe, Dictionnaire Français Kabyle, Article Roi

4 .J. G. Fevrier, la Stèle de Micipsa, B. A. C. 1949, Pp. 652- 655

5 .G. Camps, Massinissa, Op. Cit., P. 216

6 P. Ch. De Foucault, Dictionnaire Abrége Touareg Français, T. II, .P. 52, Article Amenokal

7 .J. G.Fevrier, La Stèle de Micipsa, B. A.C. 19949, Pp. 652- 655

8 J. G.Fevrier, Inscription Funéraire de Micipsa, Revue .d'Assyriologie et d'Archéologie Orientale, T. XLV, 1951, Pp. 139- 150

- Hans P. Roschinski, Die Mikwasan Inschrift aus Cherchell, Die .Numider, Op. Cit., Pp. 111- 115

9 CH. Picard, Civitas Mactaritanas, Karthage 1957, T. VIII, Pp. 39- .40, N°. 133

10 A. Berthier, Abbe, B. Charlier, Le sanctuaire punique d'El Hofra, .Op. Cit., Stèle, N°. 58- 59- 63

11 راجع الأشكال رقم

12 G. CH. Picard, Civitas Mactaritana, Karthago, T. VIII, 1957, Pp. .39- 40

13 .Loc. Cit

14 L. Poinssot, Une Inscription de Souani El Adani, Revue .Tunisienne, 1942, Pp. 125- 140

15 Troussel, Le Trésor Monétaire de Tiddis R.S.A.C T. LXVI, 1948, P. .157

16 .J. Mazard, Corp, Mum, Numi, Maur, Op. Cit., N°. 523

17 A. Berthier et Abbe R. Charlier, le Sanctuaire Punique d'El .Hofra, Op. Cit., P. 23, Stèle N° 21

18 .C.I.L, VIII, 5306, C.I.L ., VIII, 5369

19 Sallustius, Bell ., Jugh, LXVI, 2 « Principes Civitatis Inter Se .« Conjurant

20 Reyne, Deux Unscriptions de Vina, Karthago, IX, 1958, Pp. 91- . .117

21 .Diodorus Siculus, Blibli, XXIV, 10, 2

22 .Tite Live, XXX, 11,2

23 .Sallustius, bell, Jugh, XLVI, 5

24 .G. Charles Picard, Civitas Mactaritanas, Op. Cit. P. 21, 22

25 حملت بعض المدن وصف Regia أو Regius مثل : Thimida Regia, Hippo Regius, Zama Regia, Bulla Regia

26 Troussel, Le trésor monétaire de Tiddis (RSAC) T.LXVI, 1948, P. .155- 160. - L. Muller, La Zeugitane, Op. Cit., P. 159. Numidie, P. 70

27 .Diodorus Siculus, Bibli ., XX, 38, 2

28 .Appian, Lib., 35

29 .Appian, Lib., 41, 46

30 .Diodorus Siculus, Bibli, XX, 57

31 C. I. L., VIII, 5211, 5217 et 5218 ; St. Gsell, Inscriptions Latines .d'Algérie. T. I, 156, 138, 174

32 .J. B. Chabot, Recueil des Inscriptions Libyques N°. 252, 145

J. B. Chabot, sur deux inscriptions puniques et une inscription - latine d'Algérie, compte rendu de l'Académie des Inscriptions des Belles .Lettres (CRAI(, Paris 1916, Pp. 242- 250

33 عثر في المنطقة على ثمانية عشر نقشا أشارت إلى إسم قبائل الميزيكري.

34 .J. B. Chabot, Recueil des Inscriptions Libyques N°.145- 146

35 J. B. Chabot, Recueil des Inscriptions Libyques Op. Cit., N°. .702- 706

36 St. Gsell, A. Joly, Khamissa, Mdaourouche Announa, 1ère partie, .Khamissa, Paris, 1916, Pp. 116

37 .Joly. Loc. Cit

38 A. Chabot, Rec, des Inscript, Libyques, N°. 441- 464, 466, 469, 559, 929. C. I. L ., VIII, 17467. J. G. Fevrier, sur la bilingue de Guelta .Abou Sba, B.A.C, 1951, PP. 38- 43

39 St Gsell, I.L.A, T.I, P. 267. - Dr. Carton, inscription relative au .73-Territoire des Musulames, Craibl, 1923, Pp. 71

40 .St Gsell., I.L.A., I, 2828, 2829

41 A. Merlin, inscriptions latines nouvellement découvertes en .Tunisie, CRAIBL, 1909, Pp.91- 101

42 .Pline., Hist., Nat ., V, 4, 5

43 .Pline, Hist ; na, V, 30 -

44 .Sallustius, bell ., gugh ., LXXXIX, XCI

45 .Ammien Marcellin, XXIX, 5, 3u, 37

46 J. Desanges, Catalogue des tribus Africaines à L'Ouest du Nil, .Op. Cit

47 .C.I.L, VIII, 8379

48 إبن خلدون المرجع السابق

49 .Julius Honorius, A48, P 54

50 .Ammien Marcelin, XXIX, S, 11

51 .Pline, Hist, nat, V. 21

52 .J. Desanges, Catalogue des tribus africaines à l'ouest du Nil

53 E.Cat, Essai sur la province romaine de Maurétanie Césarienne, .Paris, 1891, P. 74

54 .Ptolémée, Geog, IV, 2, 5

55 هي مدينة تلمسان حاليا.

56 .Ptoléemee, IV, 2, 5

57 .C. I. L, VIII , 9613, 2786

58 .Julius Honorius, Au .48, P.58

59 .Julius Honorius, A .47, P.53

60 .Ptolémée, IV, 2, 5

61 .J. Desanges, Catalogue des Tribus Africaines, Op. Cit, P. 38

62 .Ptolémée, Geog, IV, 1, 5

63 .Ptolémée, Geog, IV, 1, 2

64 .J. Desanges, Catalogue, Op. Cit., P. 39

.Polybius, III, 33, 15 65

.J. Desanges, Op. Cit, P. 39 66

.Appian, Lib ., 33 67

.Titus Livius, XXIV, 48, 1 68

.Titus Livius, XXX, 11, 2 69

.Sallustius, Bell, Jugh., XXXVIII, 6 70

A. Berthier et Charlier, Le Sanctuaire punique d'El Hofra, Op. 71
.-Cit, Pp. 167- 176

.Ceasar, B.C., 11, 40,1 72

.G. Camps, Massinissa, Op. Cit., P. 263 73

Th. Gerresheim, H. G., Horn, H. Langguth, W. Maslankowsky 74
und, A. Steiner: Zur. Konservierung und Restowrierung der fund von es
.soumaa, Op. Cit

Ph. N°. 211, P. 349. Ph., 212, 213, P. 350. Ph. N°. 214- 215, P. 351.
.Ph. N°.216

.G. Camps, Massinissa, Op. Cit., P. 263 75

S. G. Fevrier, L'inscription Punico- Libyque de Mactar, Journal 76
.Asiatique, T. CCXXXVII, 1949, Pp. 85, 91

.Cicero, Verines, II, I, IV, 46 77

.Valere Maxime, I, I, CH.I 78

الفصل الثاني : الحياة الإقتصادية في نوميديا

أولا: الزراعة

أ- الثورة الحيوانية

- القنص

مارس النوميديون لكسب معيشتهم الصيد إلى جانب الزراعة و تربية الماشية [1] حيث توفرت بنوميديا مادة القنص [2]، فإلى جانب الإستفادة من لحم و جلد الحيوانات المصطادة فكان من الضروري القضاء على بعض الحيوانات المفترسة التي أصبحت خطر يهدد السكان و مالديهم من ثروة حيوانية مستانسة.

و قد مثلت مواد القنص ثروة طبيعية إستفاد منها الملوك لتنمية إقتصادهم خاصة منها الحيوانات التي كانت مطلوبة في السوق الخارجية القرطاجية، الرومانية و الإغريقية مثل بيض النعام و ريشه، أنياب الفيلة التي يستخرج منها العاج [3] و ايضا جلد الأسد و العسبر، و القرود التي ملأت بيوت الأرستقراطيين بالخارج [4]. كما كانت أيضا بعض حيوانات

نوميديا [5] تستخدم من أجل الترفيه و بدأت تظهر في الملاهي و المسارح الرومانية من القرن الثاني ق. م. و منها الأسود، العسابر و الفيلة، النمور و النعام [6].

أما فيما يتعلق بوسائل القنص فكانت تختلف حسب قوة و شراسة الحيوان. ففيما يتعلق بصيد الفيلة مثلا، كانوا يصنعون لها فخا و هو عبارة عن حفرة عميقة يضعون فوقها كومة من الأغصان تموه عليها وجود الحفرة [7] و هي طريقة كانت تستخدم أيضا لصيد الحيوانات المفترسة مثل الأسود و النمور. و كان النوميديون يصطادون على متن الخيول [8]. أما الأسلحة فتختلف حسب نوعية الحيوان منها الرمح التي كانوا يصطادون به الحمير المتوحشة و النعام، و الثعالب و الظبا، أما الحيوانات الضخمة مثل النمر و الخنزير البري فكانت تجري بين الطرفين مصارعة يستخدم فيها الصياد الخنجر، الرمح و الحربة [9].

أما إستخدام الكلاب في صيد فلم يكن شائعا في نوميديا رغم إستخدامه من أجل نفس الغرض في ما قبل التاريخ و في العهد الروماني [10]، و ربما كان ذلك يرجع إلى شعيرة تاليه الكلاب التي إنتشرت في الأوساط الشعبية النوميدية، و ربما دفعهم ذلك إلى أجلال الكلاب و الترفع بها عن هذا النشاط الدنيوي البحت.

- الماشية

إشتهرت نوميدا منذ القدم بالرعي. الشيء الذي أدى بعض المؤرخين هيرودوتسي [11] في القرن الخامس ق.م إلى أنه قد سكن ليبيا شعب من الرعاة و هم النوماداس، و التي تعني بالإغريقية الرعاة، بين مصر و سرت الصغرى، و فيما بعد أطلق الإغريق إسم «نوماداس»

على الشعوب الليبية القاطنة في المنطقة الممتدة من الحدود القرطاجية حتى المحيط الأطلسي.

و يذكر سالوستيوس أن نوميديا كانت صالحة لتربية الماشية [12].

و في القرن الثاني ق.م كتب بوليبيوس يقول: "كنز هذا الوطن هو الخيول، و البقر، و الغنم و الماعز على نحو لم نرى له مثيلا في باقي المعمورة" [13]. و يرجع السبب إلى أن: "أغلبية القبائل الليبية لم تهتم بالزراعة و كانت تعيش من قطعانها و مع قطعانها". أما تيتوس ليفيوس فيعتبرها ثروة أساسية في تنمية الإقتصاد النوميدي [14].

كما يحدثنا بوبونيوس ميلا عن القبائل القاطنة بعيدا عن الساحل بانها تعيش من تربية الماشية [15].

و لقد وجدت مخلفات أثرية تعود إلى العهد الحجري الحديث تمثلت في بقايا عظيمة لأغنام و ماعز و بقر [16]. و كما تمثل هذا النوع من القطعان في مناظر منقوشة على صخور منطقة جرف التربة (غرب مدينة بشار بجنوب غرب الجزائر)، و هذا النوع من القطعان وجد أيضا منقوشا في بعض الرسومات الجدارية بالصحراء الكبرى و التي كانت – أي الصحراء- مصدر للمظاهر الحضارية النوميدية، و قد تمثل فيها الثور و مناظر رعوية [17] في مواقع، جبل العونات Ouenat بالتيبستي، و في تفداست Tafedest، و في الجزء الشرقي من التاسيلي العجر Tassili El Ajjer و في موريتانيا بدرجة أقل، و يعود تاريخ هذه الرسومات إلى الألف الرابع ق. م.

و من الملاحظ أن إستئناس الماعز و الغنم يرجع إلى نفس الفترة أي إلى الألف الرابع ق. م.

- البقر و الثيران

يرجع البعض موطن إستئناس الثيران إلى أعالي النيل [18] حيث عرف الليبيون إستئناس الثيرة عن طريق الرعاة بعد إحتكاكهم بالمصريين و شملت موجتهم منطقة التيبستي، و الفزان Fezzan و التاسيلي و الآهاجار Ahaggar.

أما أنواع الثيران المرسومة على الجدران فهي متنوعة منها صنف ذو القرون القصيرة Bos Brachyceros و آخر ذو قرون طويلةBos Africanus . فعثر في. [19] Uan Muhuggig جنوب غرب ليبيا و في أدراربوز Adrar Bous بالعائر Air (على مخلفات لقرون قصيرة لثيران مستانسة. و أرجعت التحليلات إستئناس هذا النوع من الحيوانات إلى ما قبل 5595 ق.م في المركز الأثري الأول، و إلى 3830 ق.م في المركز الأثري الثاني. و أن هذا النوع من الحيوانات قد ظهر في وادي النيل قبل تشيد الهرم الأكبر لخوفو أي قبل 2600 ق.م و ظهر بالصحراء 1200 عام قبل ظهوره بمصر و ينفي إرجاع أصل الحيوانات ذات القرون القصيرة إلى مصر و الشرق الأوسط [20] و يرجع ظهور موطنها الأصلي إلى أفريقيا ما بين الصحراء و المغرب.

يصنف بقر شمال أفريقيا إلى نوعين: النوع الجاملي)نسبة إلى مدينة قالما بالشرق الجزائري(و يرى جزال [21] أنه قد يكون من أصل أسياوي و الثاني محلي مغربي. هذا و قد عثر على مخلفات عظام لثيران في مغارات مع أدوات صناعية تعود للعهد الحجري الحديث نسبت إلى الصنف الأيبيري [22] و قد عرفت الشعوب الليبية، القاطنة في المنطقة الممتدة ما بين مصر و السرت الكبرى، البقر في القرن الثالث عشر و الثاني عشر ق. م [23].

- الأغنام

تمثل الكبش في بعض الرسومات الجدارية في المنطقة الممتدة من جبل باني إلى الفزان و مارا بمنطقة الفجيج، واد الزسفانة و مرتفعات القصور الوهرانية، جبال العمور و جبال أولاد نائل [24] كما تمش منظر الكبش مرسوما في جدار جبال التاسيلي العجر [25]، و على الضفة الشمالية الغربية من التيبستي Tibesti [26] و أيضا غرب منطقة تاهرت [27]، و بالقرب من سادراته، و الخروب)ضواحي قسنطينة(و الشافية بنوميديا الشرقية [28]. وهذه الرسومات إنما تنم عن عبادة الكبش في شمال أفريقيا و تلقى ضؤا على مدى قدم وجود الكبش بنوميديا و إستئناسه و معرفته عن طريق الصحراء منذ العهد الحجري الحديث.

و قد تغنى الأغريق في قصائدهم الشعرية بالغنم الليبي [29]. و وجد بنوميديا الصنف المعروف بالبربري Barbarine ذو الذيل السميك و قد ثبت وجود هذا النوع من الأغنام في عدد من المسلات [30].

- الحصان

عرف النوميديون الحصان منذ العصور القديمة و قبل مجيء الفنيقيين، و كان أول إستخدام له في جر العربات وجدت صورة محفورة في مناظر شتى و قد وجدت له نحو مائتين صورة نقشية، و تمثل في بعض منها يعدو فوق سطح الأرض بقوة يبدو معها و كانه لايلامسها و قد كانت أغلب المناظر حريصة على إبراز صور الجواد المنطلق و كانه طائر. و قد إنتشر هذا النوع من الخيول في منطقة التاسيلي العجر و الأهجار [31].

كما مثلت العربات المرسومة بداية ظهور الحصان لأول مرة في الصحراء و الذي كان قد سبقته مرحلة الثيرة. و يرى لهوت في هذا الف

نوع من التاثير الميكيني المتخلف عن موجة الهجرة الإيجية الكريتية التي أبحرت في قوريني حوالي عام 650 ق.م. و أن أقدم الرسومات الجدارية تعود إلى نفس الفترة التي وصلت فيها شعوب البحر إلى ليبيا.

كما أن الجزء المتاخر من هذه الرسومات يعود إلى ما بين القرن السادس و الخامس ق.م و يوافق هذا التاريخ ما جاء بنص هيرودوت الذي ذكر أن شعوب الغرامونت قد إستخدمت العربات التي تقودها أربعة خيول في مطاردة الأثيوبيين [32]. كما يرى أيضا لهوت أن الشعوب الكرتيية بعد فشلها في الإستيلاء على الحكم في مصر إندمجت مع الليبين و أدخلوا في ليبيا و المنطقة الصحراوية هذا النوع من العربات الحربية مع فنهم في الرسم الذي بدى جديدا بالنسبة للصحراء و ليبيا.

أما الجزء الثاني من الرسومات و التي كما هو مذكور ترجع إلى ما بين القرن السادس و الخامس ق.م قد وجدت في منطقة الفزان و التاسيلي و الأهاجار و أدرار الأيفورة Adrar des Iforas في الصحراء الغربية و بالجنوب المغربي [33].

أما إستخدام الحصان للركوب بدل إستخدامه لجر العربات بدأ ظهوره حسب الرسومات الجدارية منذ القرن السابع و الخامس قبل الميلاد، و في شمال أفريقيا إستخدم النوميديون الحصان للركوب إبتداءا من القرن الرابع ق.م.

ففيما يتعلق بإدخال العربات المجرورة بالخيول عن طريق شعوب البحر فقد ساند هذه النظرية إلى جانب أعظم أخصائيين في الدراسات الصحراوية مثل بيري [34] لكن ينفي هذه النظرية بيكار [35] و أخصائي في دراسة أنواع علم الجياد سبرويات [36] الذي لم ير أية علاقة بين الرسومات الصحراوية للعربات و الأيجيين، كما يرى ديزنج [37] أنه يجب مراعاة إختلاف

العربات الصحراوية و عربات الحرب لشعوب البحر، و عربات الجرامين)التي يقودها أربعة خيول(و قبائل الأبسيتاس Absytes، و الزواساس Zaueces و الليبيين المجاورين لقرطاجة في خدمة أجاثوكلاس، و النيجريت Nigrites. و يدل إفتراض تاثير كريتي إيجي يرى ديزانج [38]، و أنه من الأفضل و من المنطقي إرجاع هذا التاثير إلى مصر و التي عرفت هذا النوع من العربات عن طريق الهكسوس الذين سبقوا في مجيئهم إلى شمال أفريقيا شعوب البحر. لكن أرى أن الهكسوس و شعوب البحر قد إستخدموا نوع الحصان العربي الشرقي [39] الدال على أنهم من أصل مشترك شرقي، البعض أتى عن طريق البر و الثاني عن طريق البحر و جزر الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط.

و هذا النوع من الخيول العربية الشرقية يختلف عن الخيول الصحراوية ذات الأصل المنغولي فحجمه يبدوا صغيرا، ذات الظهر المقعر و له خمس فقرات ظهرية. و قد دام إستخدامه في العهد النوميدي و بدا مرسوما على نقوش مسينيسان و ميكواسن و غيرهم من الملوك النوميديين [40]. و يفترض ديزانج أن نوع الحصان الصحراوي النوميدي قد دخل إبتداءا من أفريقيا الشرقية و السودان [41] غير أن سبرويات [42] يرى أن الحصان المنغولي دخل نوميديا عن طريق مضيق جبل طارق آتيا من إسبانيا و جنوب غرب فرنسا.

و من الملاحظ أن النوع العربي الآسياوي قد وجد مرسوما داخل منطقة الليمس الرومانية على الحدود الصحراوية في منطقة الهضاب العليا، لكن بدرجة أقل [43]، و بهذا نقول أن النوع المنغولي دام الجنس السائد حتى دخول العرب، شمال أفريقيا و يبدو النوع العربي الآسياوي معاصرا لدخول الجمل أفريقيا.

أما في العهد الممالك النوميدية، فكانت تربية الخيول هامة جدا بالنسبة للنوميد و ما إشتهروا به من مهارة في ركوب الخيل. فكانت نسبة الفرسان خلال الحروب تفوق نسبة المشاة [44]. ففي عهد الملك ميكبسة يقول إسترابون [45] أن كرتا إستطاعت أن تدفع إلى الملك 10000 فارس. و نفس الجغرافي يقول أن الملك كان يدلى إهتماما كبيرا لتربية الجياد و كان يامر بإحصاء سنوي للأمهار حيث بلغ عددهم مائة ألف، و لم يذكر سترابون إسم الملك لكن يبدو أنه الملك ماسينيسان. و من المحتمل أنه كان يدفع كضريبة [46].

كان الحصان النوميدي، رغم قبح شكله، يمتاز بالصبر و الدئابة فيتحمل العطش و الجوع حيث لم يكن يعلف الشعير بل كان ياكل العشب [47] فلا يتطلب عناية كبيرة في تربيته [48] فهو وديع، سهل التدريب [49] حساس لنغم المزمار [50] يتحمل التعب [51] و سريع [52].

و قد إستخدم النوميديون الحصان للصيد و للحرب53. إعترف بهم القدماء أنهم من أحسن الفرسان [54]، كما كانوا يحسنون ركوب الخيل منذ الطفولة [55]. يمتطونها بدون سرج [56]. و هذا حسب ما ذكرته الكثير من النصوص و برهنت عليه الصور المرسومة و النقود [57]. لا يستخدمون الشكيمة و لا اللجام [58] و لا لمهماز [59]. لا يحمل الفارس سوى عصا صغيرة [60] و في بعض الأحيان يوضع على رقبة الحصان طوقا [61] أو تميمة.

- الجمل

إختلف العلماء حول بداية دخول الجمل إلى أفريقيا [62]، فقد وجد مرسوما على جدران الصخور بالصحراء الوسطى و منطقة التبستي Tibesti و الأنيدي Ennedi و قد عاش الجمل في شمال أفريقيا منذ الزمن الجيولوجي الرابع [63] حيث وجدت مخلفاته في مغارات عين الترك.

و يرى لهوت [64] أن الجمل دخل الصحراء عن طريق غرب دلتا النيل ثم طرابلس و الفزان، و قد نشرت شعوب الغرامونت إستخدامه عبر الصحراء و قد إستبدلوه بالحصان بعد الجفاف المتزايد. و قد دخل مصر من الجزيرة العربية إلى بلاد النوبة ثم إنتشر في المناطق الغربية.

و قد وجدت نقوش لجمال بصحبة أشخاص تنم ملامحهم عن أصلهم الأشوري بوضوح [65]. كما دخل الجمل مصر في العهد الهلينستي و الفارسي ما بين القرن الخامس و الرابع ق.م.

تبدو النصوص و الآثار في إمكانية وجود الإبل بنوميديا حتى عام 46 ق.م، فخلال حملة قيصر على أفريقيا و محاربته يوبا الأول إستولى على إثنين و عشرين جملا كانت ملكا ليوبا الأول، و كانت تعد وقتها من الحيوانات النادرة. لكن بعد مائة و خمسين عاما من هذا التاريخ أصبحت شمال أفريقيا من أهم مصدري الإبل لروما من أجل الألعاب هناك.

و قد شاهد الرومان الجمل لأول مرة خلال حملتهم على أنتوخيوس [66] و يقول باسي [67] أن الرومان دخلوا شمال أفريقيا مرتين قبل معرفتهم به في آسيا، و كانت المرة الأولى مع ريجولوس Regulus خلال الحرب البونيقية الأول و المرة الثانية مع سكبيو الأفريقي خلال الحرب البونيقية الثانية و لم يتكلموا قط عن الجمل و هذا حسب قول

باسي دليل على عدم وجوده بشمال أفريقيا غير أنه يمكن الرد على نظرية باسي أن الجمل هو حيوان صحراوي بالطبع و سكان االشمال الأفريقي لم يكونوا بحاجة ماسة إليه أكثر من سكان المناطق الصحراوية الذي أصبح الجمل فيها يحل محل الحصان بعد الجفاف الذي إزداد مدة. و أن الحملات الرومانية خلال الحرب البونيقية الأولى و الثانية قد إقتصرت على المناطق الساحلية من الشمال الأفريقي.

فحول قدم وجود الجمل بشمال أفريقيا ذكر إبن خلدون [68] ما يلي : «كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم شان العرب». ربما أدخل هذا النوع من الحيوانات ذات السنمة الواحدة إلى شمال أفريقيا الموجات السامية لأرض أفريقيا.

أما العناصر الأثرية المتعلقة بالجمل فغالبيتها تعود للعهد الروماني، فوجدت بسوسا)حضروموت قديما(تماثيل من الفخار لرجل أفريقي على متن جمل [69]. كما عثر أيضا على ميداليات من الفخار لأواخر القرن الثالث ميلادي في نفس المكان. و يبدو أيضا على حجارة منقوشة مناظر للجمال [70].

و يتفق أغلب المؤرخين على أن العرب هم الذين أدخلوا و نشروا إستعمال الجمل كحيوان حمل و عدو عبر الصحراء. و يدل على هذا الأصل الكلمة البربرية "الغوم" و الذي يرى فيه باس [71] الأصل العربي "لغم" و الذي يعني الذبد الذي يخرجه الجمل من فمه في حالات الغضب

و هو الشيء الذي يتميز به الجمل. و لم يعرفه البربر بإسم "جمل" المعروف عند الرومان Camelus المشتق من الإسم السامي جمالو Gemalu. و بهذا نستنتج أن الليبيين عرفوا الجمل و لم يستخدموه إلا بعد الجفاف.

- الحمار

عرف الليبيون الشرقيون الحمار ما بين القرن الثالث عشر و الثاني عشر ق.م [72]. و قد إنتشر إستخدامه عن طريق مصر الذين عرفوه بدورهم منذ الألف الرابع ق.م و هو النوع المعروف حاليا في شمال شرق أفريقيا [73]. و قد وجد الحمار البري بوفرة في شمال أفريقيا حيث أشار إليه بابيني [74] و عدد آخرين.

عثر على بقايا للهيكل عظمي لحمير مصحوبة بعدد من الأدوات التي ترجع صناعتها إلى العصر الحجري الحديث [75] كما وجدت رسومات جدارية بجنوب وهران إختلفت الآراء حول تحديد نوع فصيلة الحيوان فالبعض ينسبونه إلى سلالة الحمير [76].

ب- <u>قدم الزراعة عند النوميديين</u>

ظهرت بوادر زراعة الحبوب لأول مرة في منطقة الصحراء الوسطى، حيث عثر في مركز آماكني على حبتين لقاح تبدو من خلال حجمهما أنهما من القمح، و أرجعت التحليلات التي جرت على الحبتين أن تاريخهما يعود إلى ما بين 6100 ق.م و 4850 ق.م [77] و يرى كويزال و بونس أنهما من أنواع الحبوب المزروعة و يعود تاريخهما إلى 3600 ق.م [78]. و قد رأى فيهما هوجو جبتان من القمح [79].

و يبدو أن منطقة التاسيلي بصفار (Sefar) قد عرفت زراعة الحبوب حيث أظهرت الرسومات الجدارية [80] عرض لمشاهد تتعلق بإجراءات الزرع والحصاد و كانت شعوب هذه المنطقة مستقرة قد سكنت القرى الواقعة على ضفاف البحيرات و الأنهار [81]. و كانت أدواتهم الفنية و التي كانوا يستخدمونها في حياتهم الزراعية مشتملة على فؤوس و مطاحن و حجارة مسقولة و فخار.

و حول أصل زراعة الحبوب مثل القمح و الشعير و الفول و الحمص. يرى البعض أن النزع المزروع بنوميديا يعود إلى أبيسينيا)الحبشة و الصومال [82](خاصة القمح و الشعير. و قد حملت هذا النوع من الحبوب شعوب أتت من آسيا عن طريق القرن الأفريقي منذ أواخر العهد النيوليتي [83].

قد تمثل المحراث (Araire) في صورة مرسومة في منطقة الشافية (Cheffia) شرق قسنطينة و أيضا بالأطلس الأعلى بالمغرب الأقصى [84].

كما وجدت بقايا لتجهيز بدائي للري غرب مدينة تبسة في منطقة دوار تازبانت يعود إلى عهد ما قبل الممالك النوميدية حيث يبدوا أن أصحاب هذا التجهيز كانت لهم صناعة حجرية [85].

و كان لليبيين علم بنوع خاص من المحراث يتمثل في معول من الخشب [86] و ذلك قبل مجئ الفنيقيين كما عرفوا أيضا المجرفة و التي دامت تستخدم عند قبائل الجوانش (Guanches) بجزر الكناري و التي إعتبرت ملجا للقبائل الليبية. الفارة تحت ضغوط الهجرات الكثيرة الآتية من الشرق. كما عرفوا أيضا كدن البقر من أجل جر المحراث. و قد تمثلت هذه المناظر الزراعية في صور منحوتة على جبال الأطلس الأعلى [87].

غير أنه كان للفنيقيين دورا في إدخال آلة (Plostellum Phoenicum) لقب التراب على الحبوب المزروعة، حيث كانوا يستخدمون قبل الفنيقيين من أجل نفس الغرض، الحيوانات الكبيرة.

أما فيما يتعلق بزراعة الأشجار المثمرة فكان التاثير الفنيقي واضحا، غير أن النوميديين عرفوا شجرة الزيتون قبل مجيء الفنيقيين بينما يعود الفضل لهم في كيفية إستخدام معاصر الزيت [88].

و قد عرفت أفريقيا شجرة الزيتون منذ العصر الحجري الحديث الأعلى إذ عثر ببعض الرماديات على بقايا من غصون الزيتون. كما نقش على صخور منطقة التاسيلي العجر غصون من أشجار الزيتون [89]. فمن الناحية اللغوية نلاحظ أن البربر قد أطلقوا تسميتين على هذا النوع من الأشجار، إحدى التسميتين محلية و هي أزمور و أخرى من أصل سامي و هي زيتون [90].

و الزيت يعني بالبربرية أودي و أطلقوا هذا الإسم على كل مادة دسمة و بهذا فالزيت لا يعرف له إسما خاصا به [91]، و نستنتج أن البربر لم يكونوا قد عرفوا إستخراج الزيت قبل مجيء الفنيقيين.

و قد عرف الليبيون أيضا، التين قبل مجيء الفنيقيين و يعني بالبربرية أزار و هو إسم لا يعرف له بديل بالعربية و يعتبر التين الفاكهة المحببة عند البربر.

كما أن الكروم كانت معروفة في نوميديا منذ الزمن الجيولوجي الرابع و خاصة بمنطقة الجزائر العاصمة، لكن لا شيء يثبت أنها كانت مستزرعة قبل مجيء الفنيقيين [92].

نلاحظ من خلال المعالم الأثرية أن ليبيا عرفت الزراعة و الإستقرار. و ترجع الصعوبة في إعطاء تاريخ محدد للفخار النوميدي في كونه فنا محافظا و تقليديا لا نلاحظ فيه أي تاثير قرطاجي [93]، و أن الأدوات الجنائزية التي عثر عليها في المقابر تدل على قدم الحضارة الريفية البربرية [94].

ج- الزراعة في عهد الممالك النوميدية :

زراعة الحبوب :

نسبت أغلبية النصوص الأفريقية و اللاتينية إلى ماسينيسان دورا هاما في تطوير الوسائل الزراعية و إستصلاح مساحات شاسعة من الأراضي البور. و يقول بوليبيوس [95]: "قبل ماسينيسان كانت نوميديا كلها لا تجدي نفعا و لا تاتي بفائدة و كانت تعتبر بطبيعتها غير قادرة على إعطاء شيء من المنتجات الزراعية. و كان ماسينيسان الأول بل الرجل الوحيد الذي أظهر أن نوميديا قادرة على إعطاء جميع المحاصيل الزراعية مثلما تعطيه أية جهة أخرى في العالم و ذلك لأنه إستصلح مساحات شاسعة و تعهدها بالزراعة و الحرث".

و نلاحظ في هذا النص نوع من المبالغة في الدور الذي نسب إلى ماسينيسان في النشاط الزراعي و خاصة عند قوله أنها : "غير قادرة بطبيعتها على إعطاء شيء من المنتجات الزراعية". كما أن نوميديا عرفت الإستقرار و زراعة القمح و الشعير و الأشجار المثمرة قبل مجيء الفنيقيين. و ما فعله ماسينيسان هو نشر الزراعة و تشجيعهم عليها فبعد التوسعات على حساب المملكة المازاسيلية إستطاع ماسينيسان أن يضم إلى مملكته أراضي أشتهرت بخصوبتها كما هو مذكور سابقا.

أما المنطقة الشرقية التي ضمها ماسينيسان إلى مملكته فتعتبر هي الأخرى من أحصب المناطق الليبية و أشتهرت منطقة الأسواق Emporia الواقعة في الواد الأسفل لنهر الماجردة و المعروفة قديما عند هيرودوتس بالكينيبس [96]، أنها أخصب منطقة لزراعة القمح و هي أرض سوداء مروية.

كما أن إسترجاع ماسينيسان لمنطقة السهول الكبرى و التي تعادل منطقة سوق الأربعاء و سوق الخميس بالجمهورية التونسية قد زاد من الإنتاج الزراعي النوميدي. غير أنه من الملاحظ أن ماسينيسان إسترجع تلك المنطقة في الأيام الأخيرة من عمره حوالي عام 152 ق.م ذكر فيما يتعلق بنفس المنطقة (سوسا) و التي عرفت بالبيزاسيوم Byzacium، الجغرافي سيلاكس حوالي 535 ق.م أو 522 ق.م خصوبة تلك المنطقة و أيضا بولبيوني [97] و قد أشار أيضا [98] أن أهل أرجوس Argos عرفوا الحنطة من أفريقيا و أنهم شيدوا تمثالا للربة كريس تكريما لهؤلاء الأفارقة على فضلهم بتعريفهم هذا النبات. و ذكر بوليبيوس أن القرطاجيين خلال أول معاهدة صلح التي أبرموها مع الرومان ذكروا ضمن بنود الإتفاقية من الإبحار وراء رأس قرطاجة [99]، خوفا من أن يتعرفوا على الأراضي الغنية الأفريقية. كما ذكر أن منطقة قرطاجة كانت قد وصلت إلى درجة كبيرة من الإزدهار و النمو الزراعي خلال حملة روجولوس Regulus عام 256 ق.م على قرطاجة.

كما سميت أيضا.[100] بالأرض الخصبة و قد تكلم أيضا هوراس [101] عن وفرة المحاصيل الزراعية بنفس المنطقة و أشار تيتيوس ليفيوس [102] بدوره إلى خصوبة أراضي منطقة الأسواق إلى جانب بوليبيوس و سترابون [103]، نسب [104] إلى ماسينيسان إدخال الزراعة في نوميديا. كما هو مذكور سابقا فكانت الزراعة معروفة من قبله، لكن يرجع له الفضل في نشر و إستصلاح بعض المساحات و تعهدها بالزراعة و الحرث.

من المعروف أن زراعة الحبوب تتطلب العمل مرتين في السنة و هي فترة الحرث ثم الحصاد و الباقي يستخدم لرعاية الماشية و تربيتها. فعملية إستصلاح الأراضي التي قام بها ماسينيسان كانت طويلة و في هذه الفترة كانت تربية الماشية أمرا ضروريا.

و حول إستقرار النوميد الرحل أراد ماسينيسان أن يكون نموذجا لرعاياه فبرع في الأعمال الزراعية لدرجة أنه ترك لكل واحد من أبنائه حقولا مساحتها عشرة ألف فرسخ[105] مصحوبة بكل الآلات الضرورية لإستثمارها[106] و من الملاحظ أن ماسينيسان ترك أربعة و أربعين ولدا ماتوا معظمهم في حياته. و يذكر ديودور الصقلي أنه ترك بعد موته عشرة أولاد[107]. و نستنتج أنه ترك لأولاده مساحات أرض مزروعة في كل أنحاء نوميديا أو ما يعادل 8740 هكتار و هذا إذا إستثنينا أحفاده الذين قد أدخلهم ضمن ورثته[108].

أشارت المصادر الأدبية إلى وفرة القمح النوميدي الذي كان ماسينيسان يصدره إلى الخارج كمساعدات للجيوش الرومانية المحاربة. و بهذا حاولنا رسم جدول لأنواع و كميات الحبوب التي كان يصدرها ماسينيسان إلى الخارج.

جدول لأهم مصادرات الحبوب في عهد ماسينيسان[109]:

جهة الإرسال	سنة الإرسال	الكمية	نوع المحصول
الجيش الروماني في ماقدونيا	200 ق. م	200000 صاع فرنسي (17508 لتلا هكتاري)	قمح
	200 ق. م	200000 صاع فرنسي (17508 لتلا هكتاري)	شعير
اليونان	198 ق. م	200000 صاع فرنسي (17508 لتلا هكتاري)	قمح
روما	191 ق. م	300000 صاع فرنسي (26262 لتلا هكتاري)	قمح
	191 ق. م	250000 صاع فرنسي (21885 لتلا هكتاري)	شعير
اليونان		500000 صاع فرنسي (43775 لتلا هكتاري)	قمح
		300000 صاع فرنسي (26262 لتلا هكتاري)	شعير
ماقدونيا	171 ق. م		قمح
ماقدونيا	171 ق. م 170 ق. م	مليون صاع فرنسي (87540 لتر هكتاري)	قمح

و من الملاحظ أن هذه الكميات من القمح و الشعير تعتبر مساعدات من ماسينيسان إلى الرومان و من المحتمل أنها من إنتاج

الحقول الملكية و من الحبوب المتحصل عليها من الضرائب و تعتبر الأرقام المذكورة سابقا جزءا بسيطا من الإنتاج المحلي العام الخارج عن نطاق التجارة الخاصة. و من الجدير بالذكر أيضا أن هذه الأرقام تعود إلى ما قبل إسترجاع منطقة الأسواق و السهول الكبرى المشهورة باراضيها الخصبة الصالحة لزراعة الحبوب [110] و أن الإنتاج المذكور يعتبر إنتاج ماسيلي بحت.

إلى جانب النصوص الكلاسيكية دلت النقوش و المسكوكات على هذا الثراء الزراعي حيث رسمت سنابل من القمح على مسكوكات بعض الملوك النوميديين مثل ماستانيسا [111] (81 ق.م- 48 ق. م)، و على نقود فضية تحمل حرف ح و المنسوبة إلى الملك هيمبسال 105- 62 ق.م [112] كما رسمت السنابل على نقود مدينة كرتا [113] و على عدد من نقود بعض المدن الساحلية و الموريطانية.

لم يقتصر هذا النمو الزراعي على عهد ماسينيسان بل إمتد حتى عهد يوجورتا في جزء كبير من نوميديا [114] حيث كانت مدينة Baga [115] سوقا كبيرا يتردد عليه الأجانب و خاصة الإيطاليين [116]، كما زرع القمح في منطقة سيكا [117] و غرب هذه المدينة على ضفاف نهر الموثول Muthul (نهر المليج) سكن مزارعون نوميد [118].

أما في بداية العهد الروماني في سنة 46 ق.م، أنتجت على قول قيصر [119] الولاية الجديدة للشعب الروماني 1200000 صاع من القمح ما يعادل 105000 لتر هكتاري، فإذا إفترضنا أن هذا الرقم يمثل عشر المحصول المتوسط فإن المحصول العام قد يفوق مليون لتر هكتاري على كل الأراضي الخاضعة للضرائب.

و يعتبر هذا العدد قليلا نسبيا خاصة إذا قورنا بمحصول سنة 1927 بالجزائر و الذي كان قد وصل إلى سبعة ملايين و نصف لتر هكتاري. و أن المنطقة التي تكلم عنها قيصر ليست كل مملكة يوبا الأول لأنه إقتطع منها لصالح سيتيوس جزءا و بهذا فهي غير خاضعة للضرائب. و أن الولاية الجديدة المذكورة قد ضمت شمال شرق الجزائر و شمال غرب و وسط تونس حيث توجد أخصب أراضي القمح. فإذا أخذنا بعين الإعتبار محصول الولاية التي أسست سنة 46 ق.م و هو 1200000 صاع الناتج عن الضرائب العينية فيستدرج بنا القول إلى أن الأعداد المذكورة سابقا حول محصول القمح تحت حكم ماسينيسان غير مبالغ فيه. و يمثل 1200000 صاع إنتاج القمح السنوي لنوميديا الشرقية في منتصف القرن الأول ق. م.

أدوات الزراعة :

كما هو مذكور سابقا عرف النوميديون قبل مجيء الفينيقيين نوعا خاصا من المحراث يتمثل في معول من الخشب، كما عرفوا المجرفة المستخدمة حتى الآن في الواحات الجزائرية و أستخدمتها أيضا قبائل الجوانش. و أدخل الفنيقيون في شمال أفريقية المحراث ذات السكة الحديدية التي لها شكل ثلاثي [120] كما أدخلوا أيضا إلى نوميديا آلة لتغطية الحبوب بالمبذورة و التي تسمىPlost Phoenicum و هي آلة شرقية من فلسطين و فنيقيا [121].

أما للحصاد فقد إستخدموا المنجل، عثر على بقايا منه في مقبرة الدوطان بسيلة.

كان النوميد يضعون المحاصيل الزراعية من قمح و شعير قبل تسويقها أو مداد الضرائب بها في خزائن للمؤن [122] أرضية، و أستخدموا أيضا المكامير التي أشارت إليها بعض النصوص في ولاية أفريقيا في منتصف القرن الأول قبل الميلاد [123]. و كانت المكامير تحفر خاصة بجوار المزارع و القرى المحيطة بحقول القمح و الشعير و هذا للمحافظة عليها من محاولات السلب و النهب و المصادرة. لكن أغلبية السكان الذين يعيشون في تجمعات قروية لهم مخازن غير أرضية موضوعة تحت حراسة مستمرة. هذا و السبب في التخزين يرجع إلى أن السكان في بعض الأحيان يذهبون مع ماشيتهم للرعي و أحيانا أخرى للحرب. و قد شيدت عادة هذه المخازن الجماعية في المرتفعات و المناطق الوعرة و هي عبارة عن قرى محصنة و لا تعتبر مراكز للسكن و تسمى هذه القرى المحصنة بالبربرية "أجودار" و مفردها أجادير [124]. و كان سالوستيوس قد أشار إلى هذا النوع من المخازن [125].

أما عن الذين كانوا يشترون هذه الأنواع من الحبوب فهم ينقسمون إلى ثلاث فئات ،

1- الرعاة الرحل، بعد عودتهم من الترحال بحثا عن المراعي و يسددون الثمن بالمنتجات الصوفية و الجلود و الماشية و عادة ما يتبادلون المنتجات عن طريق المقايضة [126].

2- أما الفئة الثانية فهي تتالف من الحرفيين سكان المدن و يتبادلون القمح ببعض الأدوات المصنوعة محليا مثل الفخار و الأدوات الزراعية.

3- أما الفئة الثالثة فتتمثل في تجار ما وراء البحر، حيث عثر على بعض المسكوكات الذهبية و الفضة الأجنبية بنوميديا [127]، كما جلبت مدينة فاجا و كرتا عدد من التجار الإيطاليين.

- زراعة الأشجار المثمرة :

كما ذكرت سابقا عرف الليبيون زراعة الأشجار المثمرة مثل الزيتون و التين و الكروم قبل مجيء الفنيقيين.

ذكر هيرودوتس [128] أن جزيرة كيرانوس Cyranus، و التي جعلها جزال تقابل جزيرة كركنة Cercena التونسية أنها كانت مغطاة باشجار الزيتون و الكروم، كما أن رحلة سلاكس أشارت إلى أن سكان جزيرة جربة قد صنعوا الزيت من نبات الزيتون البري و يشهد ديودروس الصقلي بدوره خلال تحدثه عن حملة أجاثوكلاس على أفريقيا علم 310 ق.م أن أهل سيراكوزة أعجبوا بما رأوه من بساتين الزيتون في ضواحي قرطاجة.

كما إنتشرت زراعة أشجار الزيتون في منطقة قوريني و ساحل سرت الصغرى [129] كما اشار لاكروي [130] أن حنبعل من أجل أن يشغل جنوده أمرهم بغرس أشجار الزيتون و هذا لا يعني أنها إستزرعت لأول مرة في أفريقيا.

برع القرطاجيون في إستخراج عصير الزيتون، و إعتبر عندهم ضمن المواد الأساسية، فإلى جانب إستخدامه للأغراض المنزلية فكانوا يدهنون به عضلاتهم خلال الحرب [131].

أما في عهد ماسينيسان فقد شجع غرس هذا النوع من الأشجار من أجل إستخراج الزيت. و كانت المنطقة الواقعة ما بين السرت الصغرى و لبدة من ضمن ممتلكات ماسينيسان التي ضمها مؤخرا لأملاكه و بقيت تحت نفوذ خلفائه حتى عام 111 ق.م حيث إنفصلت لبدة في عهد يوجورتا و أصبحت حليفة للشعب الروماني [132] ففي ضواحيها زرعت مساحات شاسعة من الزيتون. و في عام 46 ق.م أرغمها قيصر على دفع ضريبة سنوية تقدر بنحو ثلاثة ملايين أرطال من الزيت [133]، ما يعادل 10678 ليتر هكتاري و يعتبر عشر المحصول العام لمدينة لبدة السنوي و يفوق 200000 ليتر هكتاري في السنة [134].

ظهرت غصون الزيتون مرسومة على نقود ماستانيسا.

يذكر بليني أن أرض أفريقيا هي إمبراطورية كريس أي أنها لا تنبت إلا الغلال فقط لكنه يناقض نفسه بنفسه حيث يتطرق إلى ذكر أشجار الزيتون في مدينة Tacape الواقعة قرب السرت و لبدة التي أشتهرت بخصوبتها و إنتاج الزيتون الناتج عن نوع خاص من وسائل الري. كما يذكر أنه يمكننا أن نرى: «ينمو زيتونا فوق نخل وتينا فوق زيتون» [135].

و بهذا نقول أن الرومان قد وجدوا بافريقيا معرفة تطعيم أشجار الزيتون و قد أستفادوا في هذا المجال من تجربة البونيقيين لنشر و إستثمار هذا النوع من الزراعة في كل أنحاء شمال أفريقيا [136].

و كان كولومال [137] قد نقل ماجو البونيقي في أساليب الزراعة و تطعيم النباتات و ذلك إلى اللاتينية في فترة كان فيها النوميد قد سبقوا إلى تطبيق هذه الأساليب.

أما عن الكروم فرغم وجودها قبل مجيء الفينيقيين يرجع إليهم الفضل في تطوير فن غرس هذا النوع من الأشجار. ذكر هيرودوتس أن جزيرة كركنة كانت مغطاة باشجار الكروم. و ممالا شيك فيه أن نوميديا إستفادت من تجارب قرطاجة في مجال طريقة غرسها و العناية بها أيضا في إستخراج النبيذ التي كانت قرطاجة تصدره.

يذكر ماجو في موسوعته الزراعية نصائح تدل على خبرة فنية كبيرة في زراعة الكروم حيث ذكر أن العنب النوميدي مشهور من حيث إنتاجه الهائل بالنبيذ. كما أشار أيضا ماجو إلى شهرة النبيذ النوميدي[138].

ظهرت عناقيد العنب على نقود الملك ماستانيسا و أيضا على نقود مدن ليكسوس Lixus وسالا (Sale) و جونوجو Gunugu[139]. و يرمز عنقد العنب الإله ديونسوس Dionysos[140].

و قد عرف الليبيون أيضا التين قبل مجيء الفينيقيين و إعتبرت الفاكهة المفضلة لهم[141] ففي منتصف القرن الثاني ق. م عرض كاتو الأكبر أمام مجلس الشيوخ الروماني حبة تين دلالة على الثراء الذي وصلت إليه قرطاجة. و كان النوميد تلاميذ البونيقيين في طريقة إستثمار التين الذي كان موجودا قبلهم في حالته البرية كما علموهم طريقة التلقيح للتين.

يعود الفضل للفينيقيين في إدخال فاكهة الرمان إلى شمال أفريقيا و هي معروفة بإسم التفاحة البونيقية عند الرومان[142]. و ترمز إلى الثراء عند البونيقيين[143].

و قد شرح ماجو في موسوعاته الأساليب اللازمة لزرع اللوز و الجوز و حتى القسطل، و التي إستفاد النوميديين من تجارب القرطاجيين في هذا المجال.

أما البقول فهي كانت معروفة عند النوميديين بكل أنواعها و من المحتمل أن كرتا كانت تحيطها بساتين الخضر و الفواكه [144].

التمر :

فقد عرفه النوميديون قبل مجيء الفينيقيين خاصة عند القبائل الجدالة بالجنوب. و قد تبدو النخيل معروفة عند قبائل الناسامون Nasamons [145] و بلاد الغرامونت [146].

فقد رسم على نقود تحمل الحروف: م. ن غصون من السعف [147] كما نقشت على نقود عثر عليها بنوميديا غير أنها مصنوعة في ورشات باسبانيا الجنوبية [148]. و كانت النخلة ترمز عند الفينيقيين على الثراء و إلى الألهة تانيت و قد إحتلت النخلة مكانا هاما في المسلات البونيقية. و يذكر برتي أن رسم النخلة مقرونا برمز تانيت يعني الثراء أما سعف النخلة لوحده فيعني الإنتصار [149].

- النحالة :

ذكر هيرودوت أن قبائل الجيزانت Gyzantes الواقعة بالقرب من قبائل الزواسس Zauces على الساحل الشرقي التونسي بها نحل ينتج كميات هائلة من العسل [150]. كما أشار بليني أن أفريقيا إشتهرت بإنتاج العسل في المناطق الساحلية [151]. و يعود الفضل لتعليم النوميديين تربية النحل إلى الفينيقيين.

- أنواع الملكية :

كانت أراضي قبائل الرحل تعتبر ملك لجميع أعضاء القبيلة و قد تحتكر القبيلة الأراضي التي تجد فيها المراعي لماشيتها.

أما فيما يتعلق بالأراضي الزراعية فنجد ثلاث أنواع من الملكية:

1- الملكية الجماعية: و تكون الأرض فيها ملكا مشاعا لمجموعة من الأشخاص الذين يسكنون القرية و يكون الإستثمار جماعي و المحاصيل جماعية و تقسم المحاصيل بين العائلات حسب عدد الأشخاص.

2- الملكية الخاصة: يقوم معظم النوميد في تجمعات ريفية. إلى جانب هذا النمط من الملكية وجدت ملكيات خاصة عائلية أو فردية. و الأرض هي ملك للشخص الذي إستزرعها يصبح له الحق في إمتلاكها و يرثها عنه أولاده.

3- أما في عهد الملوك النوميد فساد نوع خاص من الملكية و هي الأراضي الملكية. نلاحظ أن ماسينيسان كما هو مذكور سابقا قد ملك مساحات شاسعة حيث ترك لكل واحد من أبنائه أرضا تبلغ مساحتها 874 هكتار و أصبح صاحب أكبر أملاك عقارية بنوميديا.

إكتسب الرومان أملاك شاسعة في أفريقيا الجديدة كانت قد صودرت بعد إحتلال المملكة النوميدية و من المحتمل أن هذه الأراضي كانت ملكا ليوبا الأول الذي ورثها عن أجداده و قد عرفت في العهد الروماني بإسم Saltus.

أما القوانين التي كانت تنظم إستخدام الأراضي الزراعية فهي غير معروفة بدقة و ناتجة عن إفتراضات.

و إلى جانب خدمة الأرض كان الفلاحون يدفعون ضرائب سنوية[152]. و إعتبر المستقرون من أحسن المواطنين في جمع الضرائب و أفضل من الرحل الذين يعتبرون الرعايا من الناحية الجبائية و كان هدف ماسينيسان من إقرار الرحل المعتبرين كمادة جبائية ميتة، منحهم ملكية الأراضي و حمايتها من غزوات البدو، إلى جانب التنمية الإقتصادية فإنه رفع من مستوى دخل الدولة و القبيلة. لكن هذا الإستقرار زاد من حدة الصراع بين البدو و الجدالة القاطنين على طول السباسب و الهضاب العليا و المزارعين المستقرين. ذلك الصراع الذي غطى كل تاريخ شمال أفريقيا.

لا يعرف في نوميدية نظام العبيد. و من المحتمل أنه وجد نظام Saltus الروماني حيث كانت الأرض تؤجر إلى أشخاص يعملون بدون عقود يدفعون لصاحب الأرض نصيبه من المحصول السنوي.

ثانيا – الثروات الطبيعية :

من بين الثروات الطبيعية التي إستغلت في عهد الملوك النوميد، نذكر الشجرة المعروفة عند الرومان بإسم Citrus أو Thuya و تستخرج من هذه الشجرة نوع من الخشب قد إستعمله تجار الآثاث (تجار الآبنوس) المشهور منذ القرن الثالث ق. م.

كان ماسينيسان يرسل إلى رودس Rodhes هذا النوع من الخشب «الثويا» حيث إشتهر جبل أنكورايوس Ancorarius، هذا لنوع من الأشجار[153].

إشتهرت أيضا ليبيا بنوع خاص من النبات يحمل إسم Silphium (الحنيت حاليا) إستخرج منه الأغريق عصير يحمل إسم Cyrenaique أو Laser قد إستخدم لأغراض عديدة منها أغراض الطبية154. يذكر هيرودوتس أن هذا النوع من النبات ينمو في شمال أفريقيا من جزيرة بلاتي Platée حتى مصب نهر سرت الكبرى[155].

أعتبر الملح من الثروات الطبيعية التي توفرت بنوميديا، حيث يذكر هيرودوتس[156] أن الملح قد توفر في المناطق التي تسكنها قبائل الأجيلاس بواحة أوجيلة و ببلاد الغرامونت Garamantes و بلاد قبائل الأتارانت Atarantes و في منطقة مرتفعات الأتلانت، و كل هذه الأماكن المذكورة تقع بالصحراء.

أ- المعادن

- النحاس

فيما يتعلق بالنحاس إستثمرت مناجمه بموريطانيا في نواحي أكجوت إبتداءا من الربع الأول للألف الأول ق. م [157].

فقد عثر على أدوات من هذه المادة مع أدوات صناعية تعود إلى العصر الحجري الحديث. وجد ببجاية في مغارة "علي باشا" مئات القطع الأسطوانية الشكل و الصفيحات ذات الشكل المستطيل مصنوعة من النحاس [158] بالقرب من نفس المنطقة Pic des Singes وجد بمنجم أثري سكنه صيادون قد إشتمل على أدوات من النحاس، إلى جانب أدوات تعود إلى العصر النيوليتي تمثلت في ثلاثة صنانير و ساق و مسمار و إعتبرت كصناعة محلية لأنه وجد على خبث هذا المعدن بقايا من الفحم [159]. يعتبر جزال أن هذه الأدوات ترجع إلى العصر الحديدي [160] كونها وجدت بالقرب من مكان عثر فيه على شفرة حديدية.

أما النصوص فقد ذكرت أنه وجد قبل مجيء الرومان منجما للنحاس بالقرب من مدينة تيناس [161] و قد إستثمر هذا المنجم قبل مجيء الفينيقيين [162] و أشار إليه بإسم «سيلاكس» و هي كلمة تعني النحاس بالإغريقية [163].

- الرصاص و الحديد

فيما يتعلق بالرصاص فتوفر هذا النوع من المناجم خاصة بمنطقة القل و الميلية بوجبار قرب المريج، و على الحدود الجزائرية التونسية في منطقة قلعة الصنام حيث إستثمرت مناجم منذ العهد القديم وجدت

مرتفعات من خبث معدن الرصاص تحتوي على 8% من الرصاص قد إستثمرت خلال الحرب العالمية الأولى و حتى عام 1922[164].

كانت صناعة الرصاص جارية في العهد القديم و وجدت علب أسطوانية الشكل مصنوعة من مادة الرصاص لأغراض الزينة بقرطاجة و بولا ريجيا (عنابة) و قورايا[165] كما عثر على طويلات صغيرة دائرية الشكل أو مستطيلة ، و أواني، و كؤوس، و قناديل عليها نقوش مزدوجة أغريقية و بونيقية[166] كما عثر في صومعة الخروب على أدوات معدنية. من نفس المادة.

و قد إستخدم الملوك النوميد المواد المعدنية لصنع المسكوكات و يمكننا الرجوع إلى هذه النقود للبحث عن توفر المعادن التي صنعت منها المسكوكات النوميدية.

فمنذ عهد سيفاكس إلى عهد يوجورتا و حمبسيال الثاني كانت المعادن الوحيدة المستخدمة لصنع النقود هي النحاس و الرصاص. أعطت التحليلات التي أجريت على معامل المسكوكات بباريس على نقود المملكة النوميدية النتائج التالية فيما يتعلق بدرجات المعادن[167].

التركيب	نقود من النحاس	من الرصاص	نقد من الرصاص مطلية بالنحاس
النحاس	96	0,60	9
الرصاص	3,20	98,96	88,23
الحديد	0,30	0,40	0,72
القصدير	-	0,20	1,00
زنك	-	-	0,50
الزرنيج	0,50	-	0,70
الفضة	أثر	أثر	أثر

- الذهب و الفضة

كان لملوك نوميديا يكسبون كنوزا تتكون من سبائك ذهبية و فضية. ذكر سالوستون أنه من خلال حرب يوجورتا أرغم هذا الأخير على دفع مئتان ألف من الفضة أو ما يعادل خمسة و ستون ألف و أربعمائة كليوغرام [168]. هذا يعني أن ميتللوس كان على دراية بما تشتمل عليه الخزائن الملكية. إلى جانب السبائك الفضية و الذهبية وجدت ضمن الكنوز الملكية، الأحجار الكريمة و اللؤلؤ [169].

فيما يتعلق بالذهب و الفضة فلم يعثر إلى الآن على بقايا أثرية تؤكد وجود هذا النوع من المناجم و من المحتمل أنها كانت مستوردة من موريتانيا فيما يتعلق بالذهب و من أسبانيا خاصة من طرشيش و جنوب أسبانيا التي توفرت بها مناجم الفضة.

أما عن الذهب فقد ذكر أن الملوك النوميدين قد كسبوا كنوز تتكون من سبائك ذهبية و غيرها من المعادن الثمينة. و السؤال المطروح هو كيفية الحصول عن هذا المعدن فهل كان حصيلة تبادل تجاري أو كان يستخرج محليا؟ أو كان إيرادا من الجزيات؟

ذكر هيرودوت أنه إستخرج الذهب من بحيرة تقع في جزيرة [170] Cyraunis و من المحتمل أن يكون الذهب هو الدافع الذي أدى القرطاجيون للإستيطان في تلك المنطقة. و إذا رجعنا إلى علم المسكوكات نلاحظ أن المعادن الثمينة نادرة قبل الملك يوجورتا. فقد نسبت إلى فارمينا ثلاث قطع فضية و قطعتين من الذهب إلى يوجرتا [171].

من المحتمل أيضا أن الذهب كان يستورد خاصة من الصحراء الغربية من جزيرة كرني Cerne و هذا بعدما عرفنا أنه كان يتردد على مدينة كرتا تجار من الأثيوبيين من وراء الأطلس المغربي. دلائل أثارية أثبتت أنه وجد عند منابع نهر النيجر و نهر السنغال (غينيا و مالي حاليا) أثر لإستخدام قديم لمناجم الذهب خاصة في المناطق المعروفة بإسم البامبوك Bouke, Bambouk [172] و من المحتمل أن الجرامانت قد لعبوا دور الوساطة في هذه التجارة عبر الصحراء و أوصلوها إلى الأسواق النوميدية التي كان يتوافد إليها التجار من كل أنحاء العالم القديم.

- البرونز

إعتبر البرونز من المعادن النادرة و راح بعض العلماء بالقول أن نوميديا لم تمر بهذه المرحلة. لكن عثر على بعض البقايا من البرونز تتمثل في فؤوس من هذه المادة و تبدو قد إستخدمت قبل الألف الأول ق.م . خاصة بالقرب من مدينة شرشال، و فاس آخر عثر عليه بالجزائر العاصمة، وشظية من البرونز في مكان مجهول لكن جزائري. و تبدوا الفؤوس التي عثر عليها من النوع الذي إنتشر في أوربا الغربية في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، و نوع نادر في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط.

كما عثر على فاس من مادة البرونز في تلمسان. وجد بالكرنك كتابة ترجع إلى الملك منفتاح بالقرن الثالث عشر ق.م ذكرت أنه بعد إنتصار كبير على الليبيين غنم المصريون كؤوس من البرونز لرئيس الليبيين و ما يعادل 9000 سلاح من البرونز من المشاوشة الليبية [173].
لكن جزال ذكر أن سكان شمال أفريقيا لم يعرفوا طريقة سبك البرونز

التي تتطلب مادة القصدير و هي مفقودة بشمال أفريقيا. و بهذا فإن الأدوات المذكورة كانت مستوردة و ليست من صنع محلي.

ثالثا : الحرف و الصناعة

أ- صناعة المواد المعدنية

رغم صمت المصادر عن إمكانية وجود حرفيين و صناع بنوميديا فبإمكاننا من خلال المصادر النقشية و الآثار إستنتاج وجود حرفيين و صناع بنوميديا. فكان الصناع يمدون المزارعين بادوات العمل مثل المحراث و المجرفة و عربات النقل و المنجل. كما إختص البعض في صنع الأسلحة الخاصة بنوميديا مثل الحربة و الخنجر و الرمح اليدوي. و من الملاحظ أن سترابون[174] و بلين[175] قد أطلقوا على سكان منطقة جنوب سرت الكبرى، إسم حاملي الحراب Longopari.

كما عثر في صومعة الخروب قرب كرتا على بقايا رماح[176] و رؤوس معدنية للحراب، و بالمغرب الشرقي ظهرت حراب مرسومة على مسلات ليبية. كما عثر بمنطقة القبائل على صور مماثلة مصحوبة بإهداء لاتيني لأله أو شخص معبود من المحتمل أن يكون الملك ماسينيسان.

كما إستعمل النوميديون الحسام حيث عبر عليه بصومعة الخروب[177] يرى جزال انه مستورد من أسبانيا أو إيطاليا.

كما كانوا يصنعون أسلحة الرمى التي ظهرت على الرسومات الجدارية [178] في تيوت Tyout [179]. كما ذكرت النصوص [180] هذا النوع من الأسلحة و قد إستعمله المور في جيش حنبعل خلال معركة زاما.

أشير في العهد الملكي إلى حرفيين خاصة منهم الحدادين و النجارين و البنائين و معمارين قد ذكروا ضمن الذين أنجزوا و شيدوا معبد آتبان.

إعتبر فن النسيج مع الحرف المشهورة منذ القدم. و هذا يعود لوفرة الصوف. و نلاحظ في الرسومات الجدارية بالقرب من سيجوس Sigus أشخاص يرتدون المعطف المعروف إلى الآن بإسم «البرنوس» [181]. الذي نقش على نقود نوميدية [182].

كما إختص الحرفيون في صنع الأواني ذات الأغراض المنزلية و حفظ الطعام، و الجنائزية من الفخار.

ب- صناعة الفخار:

قد صنف العلماء المتخصصين في دراسة الفخار و الخزف بشمال أفريقيا إلى نوعين: نوع محلي، مصنوع باليد و محروق مباشرة على النار و إختصت في صنع هذا الفخار النسوة [183]. أما النوع الثاني فقد صنع في معامل تقع عادة بالقرب من الأراضي الطينية التي يستخرج منها مادة صنع الفخار و قد قام بصنع هذا الفخار الرجال و إستعملوا المخرطة و الفرن [184].

قد تم تحلية النوعين المذكورين من الفخار بزخارف هندسية مسبوغة بالرمادي و أحمر. و كانت الشظايا التي عثر عليها عادة هي عبارة عن بقايا قدور و جيفان و أقداح.

و قد إحتفظ الريف باشكال هندسية قديمة إنحدرت إليه منذ العصر البرونزي. أما المدينة فقد قلدت الأشكال الفينيقية.

و يبدو أن النوميديون قد إحتفظوا بالتقاليد القديمة في صنع الفخار خاصة في المدن الصغيرة. و في الفخار الذي عثر عليه بالرغم من التاثير البونيقي الواضح في الطقوس الجنائزية [185]- و قد إنتشر الفخار ذات التقليد البونيقي في المناطق الشرقية لنوميديا في تونس الوسطى و الجزائر الشرقية، كما عثر على هذا النوع من الفخار في المقابر المعروفة بإسم المصاطب و الشواشي.

و قد عثر على هذا النوع المذكور من الفخار في مقابر تونس خاصة في المناطق المدينة التي إنتشرت بها الثقافة البونيقية مثل مكتار [186] و نواحي مجراوة [187]، دوج [188]، بولاريجي [189] و جنوب جابس [190].

كما عثر في منطقة تبسة، في مقبرة جاستال Gastel على حوالي عشرين قطعة فخارية [191]. و أيضا بقسنطينة خاصة في مقابر تيديس [192] و سيلا [193] و عين الباي [194] و بوشان [195]، فقد عثر في هذا المركز الأخير على ثلاث أواني فخارية من طراز أغريقي.

كما عثر بمنطقة سيجوس على بعض المزهريات ترجع إلى العهد النوميدي و هي من تقليد بونيقي [196] (إلى حوالي القرن الثالث ق. م) . أما مقبرة روكنية فقد عثر فيها على عدد قليل من الفخار إلا أن فيدارب [197] إكتشف حوالي خمسة عشر آنية فخارية بها.

و إذا إتجهنا غربا فإن نسبة الفخار ذات الطراز البونيقي تبدو قليلة، فقد عثر في منطقة آلقبائل الكبرى بالجزائر على بقايا فخارية تبدو أنها جرات بونيقية الصنع و تعود إلى القرن الثاني ق. م [198].

أما بمنطقة الجزائر الوسطى و خاصة بضواحي العاصمة فعثر على فخار مصنوع باليد في مقبرة بني مسوس[199].

بنواحي وهران بكليبير عثر على جرة من صنع بونيقي[200].

و عن وظيفة هذا الفخار فيذكر كامبس أن غالبيتها هي عبارة عن أواني لحفظ المشروبات مثل الأباريق التي وجدت في إثنتا عشرة مقبرة[201]. إلى جانب المزهريات التي لها شكل رضاعة[202]، و الجرات[203].

أما الأواني التي كانت تستخدم لحفظ الطعام فهي عبارة عن كؤوس واسعة[204]، كما عثر على أطباق و صحون[205] و قدح[206]. و من المحتمل أن المزهريات ذات الفوهة الواسعة[207] كانت تستخدم هي الأخرى لحفظ الطعام.

إلى جانب الأدوات ذات الأغراض المنزلية و التي عثر عليها في مقابر بنوميديا فقد عثر أيضا على أدوات ذات أغراض دينية و هي عبارة عن قناديل و مباخر و مزهريات و قلل[208].

و قد ظهر الصنع اليدوي و الذي أشتهر به النوميد في أماكن عديدة و ذكرنا أن الفخار المخروط عثر عليه خاصة في المناطق المدنية التي تشبعت بالحضارة البونيقية و رغم وجود و معرفة إستعمال المخرطة و الفرن في صنع الخزف فقد فضل معظم النوميد الصنع اليدوي الذي إتنشر خاصة في القرى المحافظة للتقاليد العريقة النوميدية، حيث قلدوا الأشكال الجديدة البونيقية[209] و المتاثرة بدورها بالفن الخزفي الأغريقي.

و يلاحظ أن تقليد الأشكال البونيقية يعود إلى عهد بداية تاسيس قرطاجة حيث عثر على فخار مصنوع باليد و يبدو تقليد بونيقي في منطقة جاستيل و ماتور، الرأس الصالح [210] و تيديس [211] و أيضا في جيجل [212] و سميرات [213] و تيبازة [214].

قد ظهر في شمال أفريقيا نوعان من الفخار المصنوع، نوع محلي يرجع أصله إلى ما قبل الإستيطان الفنيقي في سواحل شمال أفريقيا و نوع ثاني من صنع بونيقي للنماذج الفخار البونيقي المخروط.

و ظهر التقليد النوميدي للنماذج البونيقية خاصة في الأدوات التي إستخدمت لأغراض جنائزية [215] و يظهر في هذا الصدد التاثير البونيقي على الحياة الدينية في نوميديا الذي دام حتى بعد تدمير قرطاجة.

فإلى جانب التاثير الخارجي إحتفظ النوميد ببعض المعطيات الحضارية المحلية. رأينا فيما يتعلق بالمدن الساحلية المازاسيلية أنه عثر على أدوات فخارية مصنوعة تعود إلى الألف الثاني ق. م من صنع أسباني و قد وصلت إلى الموانئ المازاسيلية في عهد البرونز.

و تلت هذه المرحلة وجود مزهريات من صنع صقلي. و قد دخل هذا الفخار إلى المغرب عن طريق شبه الجزيرة الأيبيرية. إبتداءا من الألف الثاني ق.م وجدت علاقات تجارية بين صقلية و أفريقيا و إزدادت مع مجيء التجار الآتين من بحر إيجا، و بذلك وجدت الصلات التجارية عن الطرق البحرية التي كانت معبرا أتت عن طريقه العديد من الأشكال التي تشكلت وفقا لها القطع الفخارية في ذلك العصر. إذ نجد أن الطراز الإيطالي الصقلي قد كثر الأخذ به في قطع الفخار و الخزف خاصة الأشكال التي لها زخرفة بدائية و التي لا يزال معمولا بها حتى الآن في شمال أفريقيا عند البربر.

و قد إستخدم لأول مرة الفخار المصبوغ بالشرق الأدنى ثم عبر عن طريق جزر الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط حتى وصل صقلية و منها دخل شمال أفريقيا. و من المحتمل أن شعوب البحر كان لهم دور في جلب هذا النوع من الخزف المطلي و الذي يعود إلى العصر البرونزي و هذا في العهد الذي لم يكن فيه طريق الساحل الأفريقي قد سلكه تجار البحر للوصول إلى أسبانيا. و من أجل الوصول إلى أسبانيا كان التجار يسلكون طريق الجزر البحرية و هي سردينا، مينوركا، مايوركا ثم إيبيزا، أو طريق الساحل الأفريقي إبتداءا من بنتيليريا Pantelleria.

و من المحتمل أن هؤلاء التجار قد أدخلوا إلى شمال أفريقيا الكؤوس ذات القواعد المعروفة بإسم «المثرد» المنتشرة في نهاية العصر البرونزي عند حضارات بنتاليكا Pantalica و كاسيبيليا Cassibile و حضارات الأرجار Argar باسبانيا، كما ادخلوا أيضا الصبغة بالصمغ على الفخار المحروق و التي إعتبرت من مميزات النوع الكاسيبيلي الصقلي لبداية عصر الحديد.

يلاحظ من ناحية أخرى في زخرفة الفخار أوجه التشابه مع زخرفة فخار كستالوكيو Castelluccio و فخار تيديس حيث نلاحظ نفس إتجاه المثلثات و نفس اللون. كما نلاحظ أيضا في نفس الفترة وفرة القبور المحفورة على الصخور الساحلية بصقلية و هي بداية إنتقال هذه الطقوس الجنائزية إلى شمال أفريقيا خاصة بالشمال التونسي قبل مجيء الفينيقيين.

عثر في ضواحي الجزائر العاصمة على فؤوس من البرونز لها كعب و هو نوع غير معروف في المشرق. و السؤال المطروح هو : من الذي أدخل هذه الصناعة الفخارية للعصر البرونزي إلى شمال غرب أفريقيا؟

من المعروف أن البحرية الكريتية، الميكينية لم تعد عبارة عن أساطير[216]. فالوثائق الأثرية أثبتت أن شعوب بحر أيجة قد وصلت صقلية و إيطاليا و جزر الليباري .Iles Lipari لكن من الذي كان يقوم بالرحلات البحرية وراء جزر الليباري؟

رأى البعض[217] أن الشعوب الغربية الأوروبية هي التي كانت تقوم بهذه الرحلات و يعتمدون في نظريتهم هذه على إنتشار الفؤوس البرونزية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في كل من أسبانيا و فرنسا و إيطاليا و صقليا، و هذا النوع من الفؤوس غير معروف بالمشرق، و بهذا نلاحظ وجود بحارة قد سبقوا الفينيقيين في نشر صناعة البرونز و الفخار المذكور سابقا في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

و إذا رجعنا إلى أصل صناعة البرونز و إستخراجه نجد أنه صنع لأول مرة في سوريا حيث كان معروف إستخدامه منذ بداية الألف الثاني ق. و. قد نشر هذه الصناعة شعوب البحر و الكنعانيين قبل الإستيطان الفينيقي و نرجع هنا إلى النصوص الأدبية التي أشارت إليها الهجرات الكنعانية التي ذكرتها المصادر العربية.

و حول نشر الأدوات و خاصة الفؤوس البرونزية و في كل الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط و في كل من إيطاليا و فرنسا و أسبانيا و منها إلى الجزائر العاصمة فلم يكن هذا النشاط التجاري من عمل المكينيين و لا من عمل الشعوب الغربية كما أشار إلى ذلك كامبس. و من المحتمل أن الأترسكيين Etrusques كان لهم دور في نشر هذه الصناعة البرونزية و الفخارية.

أما عن الأترسكيين فهي شعوب قد وصلت إيطاليا عن طريق البحر من الحوض الشرقي للسواحل الآسياوية و إستقرت عند مصب نهر التيبر و الأرنو (Arno) و أصلهم لا يزال مثار جدل. فقد ذكر

هيرودوتس أنهم وفدوا من ليديا [218]. كما إختلف الباحثون كثيرا حول أصلهم و أغلب الرأي أنهم من آسيا الصغرى و ليسوا من ليديا. و من المحتمل أنهم وفدوا من ساحل الشرق الأوسط مع شعوب البحر.

و إذا نظرنا إلى موجة شعوب البحر نذكر أنهم تحالفوا مع الليبيين و حاولوا غزو مصر في العام الخامس من عهد مرنبتاح 1227- 1226 ق. م، و يعتبر هذا التاريخ بداية إبحارهم إلى الساحل الأفريقي الشمالي و نستنتج أن الأتروسك الذين إعتبروا جزءا من هذه الشعوب هم أصحاب الفضل في نشر إستخدام البرونز والفخار المعاصر له في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، و قد أدخلوا نوعا خاصا من الفخار و أشكال هندسية إحتفظ بها الخزف البربري إلى الآن حيث يرى جينيب أن الرسومات الهندسية الموجودة على الفخار البربري يشبه إلى حد كبير الفخار الذي كان يصنع في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط في العصر الأول للبرونز و هي أشكال هندسية تمثلت إلى الآن في الوشم، و النسيج كما سبق أن أشرنا.

و نستنتج أن الفخار النوميدي نوعان :

نوع مصنوع باليد و محتفظ بتقاليد هندسية عريقة، و يرجع دخوله شمال أفريقيا إلى بداية عصر البرونز.

أما النوع الثاني فهو مصنوع أيضا باليد و هو تقليد لأشكال بونيقية و المتاثرة بدورها بالفن الخزفي الأغريقي و أدخل في شمال أفريقيا منذ العصر الحديدي مع بداية الإستيطان الفنيقي و إنتشر خاصة في المنطقة الشرقية المتاثرة بالحضارة البونيقية إلى جانب فخار يدوي أستخدم فيه النوميديون المخرطة و الفرن و يرجع الفضل في ديوع هذه الصناعة إلى الفينيقيين.

رابعا : التجارة الداخلية و الأسواق

عرفت نوميديا نظامين في الحياة ناتجين عن الظروف الطبيعية و المناخية و هما نظام الترحال و تربية الماشية، و نظام الإستقرار و الإهتمام بالزراعة و الصناعة.

و قد عرف النوميد نظام الإستقرار منذ العصر الحجري فاكدت المناجم الأثرية التي تحتوي على مصنوعات حجرية ترجع إلى الطور الحنشي الأشولي الموستيري. و قد تراكمت في هذه المناجم المئات و الآلات و الأسلحة، و هذا يدل على وجود قوم مستقرين. كما أنه في عهد الصناعة المعروفة بالجدولية Getulienne و الأورينياسية Aurignacienne وجدت رمديات بها كميات هائلة من الحلزون و هي دليل على وجود أجيال قد سكنت المنطقة. و أختيرت أماكن الإستقرار في مواقع محصنة و قريبة من نقاط المياه.

و قد وجدت ثلاثة أنواع من المساكن بالنسبة للمستقرين المزارعين و الحرفين.

1 - التجمعات القبلية و هو أقدم نظام عرفة النوميديون المستقرون.

2 - القرى و البلدات.

أشار بليني إلى أن أغلبية النوميد قد تجمعو في قرى و كانت سياسة ماسينيسان الزراعية قد ساعدت على إنشاء قرى و تجمعات سكنية. أشير إلى القرى و البلدات في النصوص الكلاسيكية بإسم Castellum.

يعرفنا علم الأثار أن الشمال الأفريقي عرف عددا كبيرا من القرى و دام عدد كبير منها معمورا حتى العهد الروماني.

هذا بالإضافة إلى القرى التي إحتلها ماسينيسان عام 150 ق.م في منطقة الكروميري و التي بلغ عددها حوالي خمسين قرية.

شيدت القرى في نوميديا عادة في الأماكن المحصنة بالمرتفعات و هذا على غرار ما جاء به في رسم القرية [219] ذات التقليد البونيقي و الذي عثر عليه في رأس الصالح منحوتا على جدار قبر بونيقي يعود إلى القرن الرابع ق. م [220].

أما القرى الواقعة في الأماكن السهلية فقد أحيطت بها أسوار و في قمة القرى وجدت عادة قلاع و هي عبارة عن ملاجئ في حالة ما إذا إقتحمت الأسوار. كما كانت تستخدم القلاع كمستودعات للتخزين المنتجات الزراعية في حالات السلم [221] و كانت الأسواق توجد خارج القرية و لا يوجد بها محالات بيع.

3 - المدن :

أما المدن فقد إنتشرت على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط و أغلبيتها كانت مستوطنات فنيقية أو قرطاجية إعتبرت بمثابة منافذ على البحر و مراكز تجارية تودع بها البضائع المصدرة و المستوردة [222]، و يرجع السبب في وفرة المدن الساحلية إلى الظروف الجغرافية و التضاريسية.

أما المدن الداخلية فكانت نقاط إتصال بين السهول و الجبال و السهوب. و وجدت بالمناطق الخصبة التي إستثمرت أراضيها و أيضا بالأماكن التي يستطيع فيها المربون الرعاة و المزارعون تبادل منتوجاتهم. كما وجدت المدن الداخلية في ملتقى الطرق التجارية عند نقاط المياه في المناطق الجافة.

و قد توفرت المدن الداخلية في الجزء الشرقي من نوميديا أكثر من غربه [223]. إلى جانب أسواق فاجا و سيكا، و ماكوما دبيوس.

كانت مدينة كرتا من أهم الأسواق الداخلية التي جلبت منذ القرن الثاني ق.م العديد من تجار العالم القديم و التي راجت فيها البضائع من كل أنحاء العالم. و يرجع الفضل إلى موقعها الجغرافي القريب من ميناء روزاكيد الذي لعب دورا هاما في التبادلات التجارية مع العالم الإغريقي و الروماني و مع المشرق، و أيضا بفضل موفعها القريب من المناطق التي أزدهر فيها النشاط الزراعي [224] كما كانت كرتا أيضا قريبة من منطقة السهوب حيث كانت تصلها بضائع بلاد الجدالة و الأثيوبيين.

و لنلقى الآن نبذة عن تاريخ كرتا:

كانت مدينة كرتا تابعة للماسيليين و هي من أهم المراكز التي راجت فيها الحضارة البونيقية في القرن الثالث ق.م و في سنة (205 ق.م) إحتل سيفاكس ماسيليا في زمن النزاع على خلافة جايا. و هل إحتل سيفاكس مدينة كرتا لأول مرة خلال هذا الحدث أم أنها كانت تابعة لممتلكاته ؟ يرى جزال، إستنادا إلى نص لتيتوس ليفيوس [225]، أن كرتا كانت عاصمة لسيفاكس و أن روما منحتها لماسينيسان، مع بعض المدن و الضواحي و قد أضيفت إلى أملاك أجداده [226] Regnum Paternum.

غير أنه يمكن التخلي عن هذا الرأي و إعتمادا على نصوص ترجع إلى ما قبل 205 ق. م تظهر سيفاكس معتكف في المنطقة الغربية و مهتم أكثر بالمسائل الأسبانية. و بهذا فإن كرتا كانت تابعة لماسيليا و إحتلها سيفاكس عام 205 ق. م فقط.

كانت كرتا و ضواحيها مهدا للعائلة الماسيلية، رغم أنها لم تذكر كعاصمة للملك جايا. فكانت إبتداء من 203 ق.م العاصمة الشرقية لسيفاكس، ثم أصبحت عاصمة لماسينيسان و من بعده ميكبسة، آذاربعل، يوجورتا.

أظهرت إكتشافات «الحفرة بقسنطينة»[227] بعض التوضيحات حول الحياة الإجتماعية بمدينة كرتا في عهد ماسنيسان و ميكواسن. فنلاحظ من خلال دراسة المسلات تفوق العنصر الفنيقي و خاصة القرطاجي بها و ضلالة العنصر النوميدي.

و من الجدير بالذكر أن مدينة كرتا لم تترك مخلفات أثرية ليبية ما عدا جزء صغير من كتابة ليبية نقشت على مسلة بونيقية. حمل الأشخاص المشار إليهم بالمسلات أسماء بونيقية و حملوا ألقاب و وظائف عرفت في قرطاجة و في المدن البونيقية. نلاحظ وجود كهنة و كاهنات (كاهنين عظيمين، و كاهنة عظيمة، كاهنة و أربعة كهنة من ضمنهم كاهن للإله ملقارت)، جنود (أربعة ضباط و أربعة جنود) كاتب، أطباء، و مامورين، من ضمنهم مامور على الينابيع أو على مخازن الماء، و نجارين، صناع الرماح، و بعض الحرفيين، و قاطعوا الأحجار، و السباكين.

كما ذكر أسماء لبعض الأشخاص وفدوا لتقديم القرابين للإله بعل حامون، من رؤساء القبائل و من القرى المجاورة مثل سيجوس Sugus و تيجيزيس Tigisis و بعض الأشخاص الأجانب من «Krl» (و هي كاراليس Caralis بساردينيا)، و شخص كنعاني و فد من إحدى جزر البحر الأبيض المتوسط يحمل إسم (Y'Rm).

نلاحظ أن مسلات الحفرة المنقوشة بالإغريقية و البونيقية و هي دليل على مزج بين الحضارتين و التشبع بهما في كرتا حيث ذكرت

النصوص أنه وجد بالعاصمة النوميدية تجار إيطاليين و أيضا إغريق و الدليل المادي لتواجد العنصرين يرجع إلى الكتابات الإغريقية، التي نقشت بمسلات الحفرة.

لكن في القرن الثاني ق.م أوحت كرتا من خلال النصوص النقشية مظهر العاصمة النوميدية المتشبعة و المتاثرة بالحضارة البونيقية التي لا تختلف عن غيرها من المدن الليبية البونيقية لو لم نرجع إلى أصلها النوميدي.

كما نستنتج من مسلات الحفرة أن مدينة كرتا عاصمة نشيطة و صناعية لها علاقات مع القرى المجاورة و مع العالم الخارجي، إذ جلبت بفضل نشاطها الإقتصادي و معارضها التجارية عدد كبير من الأجانب اليونان و الرومان و القرطاجيين و الأثيوبيين الذين وفدوا لكرتا من وراء الأطلس المغربي [228].

يعد عدد كبير من سكانها منحدرين من التجار البونيقيين الذين إستوطنوا بكرتا و إحتفظوا بتقاليد أجدادهم و ديانتهم و بسطوها في كرتا حيث أصبحت مركز تنوير و إشعاع الثقافة و الحضارة البونيقية.

كما هو معلوم قام بإدارة شئون مدينة كرتا «شفيت» إبتداء من القرن الثالث ق.م، كما نلاحظ أن مسلة من مسلات الحفرة مؤرخة من حكم صرم و صلوم و هم شوفيت المدينة [229].

أما عن تسمية كرتا يرى البعض فيه إسم إغريقي، كان الملك يوبا الأول قد أرجع نسبه إلى هرقل و شباس كرث [230] و هي والدته و أطلق يوبا إسم والدته على المدينة التي أسسها و التي أصبحت عاصمة له [231].

لكن يبدو أن هذه التسمية لها أصل فنيقي، إذ أن القطع النقدينة التي سكت بمدينة كرتا و التي عثر عليها بمدينة تيديس، رسم في الجانب الأيمن منها صورة إمرأة و التي رمزت إلى الآلهة حامية المدينة. نقش بالحروف البونيقية الجديدة و تعني كرثن أو (كرتا حسب النصوص)، و كرثن هو إسم ذات أصل فينيقي يعني مدينة. لكن نلاحظ أن الكلمة الفينيقية التي تعني مدينة تكتب في بدايتها بحرف «القاف» أو «قرط» بينما الحرف الأول في النقود كان حرف «كاف» [232]، و بهذا نستنتج أن مدينة كرتا تنسب إلى الالهة كرثن و لا إلى قرط بمعنى المدينة.

فشلا ماسينيسان و ميكبسة في تطوير و تنشيط الحضارة النوميدية و إهمالها على حساب الحضارة البونيقية، حيث أصبحت التقاليد و المعبودات و اللغة و الكتابة المتعامل بها و السائدة في كرتا و في المدن النوميدية الأخرى هي البونيقية. و قد أدركا عيوب سياستهما و بدآ ينهجان سياسة هلينيستية بدلا من أجلها مجهودات في جلب الإغريق و الإيطاليين إلى المملكة. لكن الجذور البونيقية بقيت راصخة في المدن النوميدية و حتى الإغريق الذين إستوطنوا في كرتا ساروا في نفس الحركة و بدأوا يعبدون بعل حامون و يتكلمون البونيقية و أعطوا لأولادهم أسماء بونيقية [233]. و إستمر هذا التاثير و البقاء البونيقي حتى عهد الإمبراطورية الرومانية و حتى الفتح الإسلامي.

من خلال دراسة نقود مدينة كرتا و النصوص الأدبية نلاحظ أن المدن النوميدية كانت محصنة باسوار تعلوها أبراج للمراقبة و يتمثل خلف قطعة نقدية من نقود كرتا، مدخل لقلعة المدينة، و يبدو أن لها

بابين لهما شكل نصف دائري و فوق المدخل حائط مسنن و بين نصف دائرة البابين و الحائط نقش للزخرفة شريط إكليلي. أثبت هذا الوصف ما جاء في نصوص تيتوس ليفيوس [234] و سالوستيوس [235] خلال الحديث عن أبواب كرتا و تحصيناتها، و قد أحيطت مدينة كرتا بالبلدات و القرى.

جدول لأهم المدن الساحلية و الداخلية من الشرق إلى الغرب

المدن و القرى النوميدية الساحلية من الشرق إلى الغرب

الإسم الحالي	الإسم العربي	الإسم اللاتيني
أنظر الموقع على الخريطة		Arae Philaenorum
رأس برجوار	هيبواكرا	Hippou Acra
مدينة السلطان	شاراكس	Charax
قصر زافران	برج أفرانتاس	Euphrantas
ملفا	ماكوماكا	Macomaca
رأس مسراطة	كيفالاي	Cephalai
لبدا	لبسيس ماجنا	Lepcis Magna) Nea (Polis
رأس جفارة	جفارة	Gaphara

Oea	أوى	طرابلس
Sabatha	سبراطة	سبراطة
Zouchis	ذوشيس	بحيرة البيان
Zita	زيتا	زاركسيس
Gighti	جيغثى	بوجرارة
Tipaza (Ile de Meninx)	تيبازا	جزيرة جربة
Tacapas	تاكاباس	جابس
Theanae	ثيناي	ثينا
Cercina	كركينا	جزيرة كركنة
Usilla	أوزيلا	أنشيلا
Ruspe	روسبيا	بادريا
Caput Vada	كابوت فادا	رأس كابوديا
Thabraca	ثابراكا	تابرقا
Tuniza	تونيزا	القالة
Hippo Regius	هيبو ريجيوس	عنابة
Rusicade	روزيكاد	سكيكدة
Chullu	شولو	القل

Igilgili	إيجيلجيلي	جيجل
Saldae	سالداي	بجاية
Rusasus	روزاسوس	أزفون
Rusuccuru	روزركورو	دلس
Rusguniae	روزبوثاي	رأس ماتيفو
Icosium	إيكوزيوم	الجزائر
Tipaza	تيبازا	تيبازا
Iol	أيول	شراشال
Catennae	كرتيناي	تنس
Gunugu	جونوجو	قورايا
Guelta	الجلتة	الجلتة
S[t] Leu	سان لوا	سان لوا
Andoulouses	الأندلس	الأندلسيات

المدن و القرى الداخلية من الشرق إلى الغرب ؛

الإسم اللاتيني	الإسم العربي	الإسم الحالي
Vaga	فاجا	باجا
Bulla Regia	بولاريجيا	حمام دراجي
Simithus	سيميثوس	شمتوا
Phelline	فالبيني	
Thugga	ثوجا	دوجا
Abia	أجبيا	عين الحجة
Aunobari	أوثوباري	هنشير قرن الكبش
Musti	موستي	الكريب
Thibursicu Bure	ثوبورسيكوبور	تابرسوك
Thimida Bure	ثميدابور	هنشيركوشباتيا
Thigibba Bure	ثيجيبابور	جيبا
Sicca	سيكا	الكاف
Lares	لاراس	هنشير لوربوس
Obba	أوبا	راجع الموقع على الخريطة
Tucca Terebinthina	توكاثيربوثيا	هنشير دوجا
Althiburros	التيبوروس	مادينا
Zama	زاما	جاما

Zama Regia	زاما ريجيا	سيد عمور الجديدي
Zama	زاما	هنشير جرجور
Masculula	ماسكولولا	سكبيا
Civitas Popthonsis	كيفيتاس بوبثنسيس	سيدي يوسف
Naraggara	نارا جارا	راجع الموقع على الخريطة
Thala	ثالة	راجع الموقع على الخريطة
Theveste	تيفاست	تبسة
Thagura	ثاجورا	راجع الموقع على الخريطة
Madauros	مادوروس	مداوروش
Calama	كالاما	قالمة
Suthul	سورثول	راجع الموقع على الخريطة
Macomades	ماكوماديبوس	جنوب عين البيضاء
Cirta	كرتا	قسنطينة
Sigus	سيجوس	راجع الموقع على الخريطة
Tigisis (Castellum (Tiditnorum	تيجيزيس	عين البرج
Tiddis	تيديس	راجع الموقع على الخريطة
Auzia	أوزيا	صور الغزلان
Zucchabar	زوخابار	مليانة
Regiae	ريجيا	أريال (نواحي وهران)

خامسا : الطرق التجارية الداخلية :

تصل البضائع المصدرة إلى الخارج و الآتية من القرى و المدن الداخلية عن طريق البر. بالنسبة للطرق التي كانت تربط بين المدن الداخلية و الموانئ، لم تتكلم المصادر الأدبية عنها و بقايا الطرق الوحيدة ترجع للعهد الروماني. لكن يمكننا القول أنها لسيت بإختراع روماني و أنها بنيت و طورت على أنقاض طرق و ممرات قديمة قد سلكها النوميد. من ناحية أخرى نجد أن الليبيين قد عرفوا في عهد هيرودوتس العربات التي تقودها الخيول و أن الشعوب الزواكاس غرب نهر التريتونيس و قبائل الأبسيت و الأوزاس المحيطة ببحيرة التريتونيس[236]، و أيضا شعوب الغرامونت على معرفة بالعربات التي تقودها أربعة خيول و أيضا الفاروسيين Pharussiens[237] و النيجريت Nigrites[238]. و كانت هذه العربات لها عجلات من الحديد و هذا يعني أنها كانت تقاد على طرق مهياة و معيدة من الإحتمال أنها كانت مبلطة.

و كون العربات دخلت شمال أفريقيا منذ 1250 ق.م و عرفها الليبيون دامت تستخدم من أجل الحرب أو التجارة في عصر هيرودوتس و هذا يعني أنها دخلت نوميديا و النماطق الغربية و إستخدمت في حمل البضائع إلى جانب الجدوانات مثل الحمير و البقال التي كانت تسلك الممرات الوعرة الرابطة بين القرى و المدن.

سادسا : التجارة النوميدية عبر الصحراء :

للبحث عن العلاقات التجارية الصحراوية و الليبية يجب الرجوع إلى دراسة الطرق التي كانت تربط بين المناطق الصحراوية من جهة و بين الصحراء و نوميديا من جهة أخرى. و يمكن رسم هذه الطرق من خلال الرسومات الجدارية التي مثلت العربات التي تقودها الجياد و من خلال وصف هيرودوتس للطريق الذي يربط بين طيبة بمصر و أعمدة هرقل.

نقشت رسومات العربات بمنطقة التاسيلي العجر، ثم تيم ميساوي Ti- M. Missasu الشيء الذي يؤكد أنها وصلت للهجار كما عثر على هذه الرسومات في مآوي (تيت) Tit و تكومبارات Takoumbaret، نهر التاكيشروات Takecherouet، و ماتوتاك Matoutak و أيضا بادرار الإيفورا Adrar des Ifforas [239].

إذا قارنا هذه الرسومات بنص هيرودوت الذي ذكر أن شعوب الليبية كانت تطارد الأثيوبيين على متن عربات تقودها أربعة جياد، و هذا يثبت أن الغرامونت قد عرفوا منطقة التاسيلي و قد سلكوا الطريق المعروف حاليا و الذي يربط بعد المرور من محاور التاسيلي الأسفل، بين واحة الغاث Ghat و واحة أهارارار (Ahararar). كما عثر أيضا على رسومات العربات بالحرافاك Herafek و تيت، و تيم ميساوي يدل على أن الليبيين عرفوا منذ هذا التاريخ طريق النيجر عبر أدرار الإيفورا حيث وجد بهذه الأخيرة رسومات خاصة في منطقة « أرلي» Arli و السوق (تادمكة) قديما و في عين فريت و نستنتج من خلال هذه الوثائق أن الطريق الذي كان يربط بين الصحراء الوسطى و النيجر كان معروفا. إبتداءا من لبدة كانت العربات تتجه نحو جرما Garama تعبر التاسيلي بعد أن

تمر من منطقة الكدية عبر الحرافاك و التيت و أباليسا [240] ثم تصل إلى تيم ميساوي، و منه إلى أدرار إليفورا نحو النيجر بعد أن تعبر آبار أرلي و تادمكة و واد التيليس و هذا الطريق موجود حتى الآن و هو الذي تسلكه القوافل المتجهة نحو غادامس Gadames و جاو Gao [241].

كانت الإتصالات الصحراوية متجهة خاصة نحو الشمال و الشمال الشرقي حيث لعبت شعوب الغرامونت دور الوساطة في التجارة بين الليبيين و الأثيوبيين، حتى منطقة الفزان و من الفزان تتجه الطرق نحو موانئ السرت الكبرى إلى طرابلس و سبراطة Sabrata و لبدة [242].

أما فيما يتعلق بالطريق الرابط بين مصر و ليبيا من جهة و ليبيا و الصحراء من جهة أخرى، قد وصف هيرودوتس هذا الطريق وصفا مدققا منطلقا من «طيبا» Thebe فيمر الطريق من واحة آمون (سيوه) في مرحلة تدوم عشرة أيام [243] و تليها بعد مسافة عشرة أيام بلاد أوجيلاس Augiles أو واحة أوجيلة تاتي إليها قبائل الناسمون في الخريف الإلتقاط التمر. أما قبائل الناسمون فموطنهم شرق قبائل Auschises جنوب برقة.

ثم تاتي مرحلة ثالثة تقطع في عشرة أيام و تنتهي عند قبائل الجاراست. ثم تليها مرحلة رابعة تقطع في نفس المدة و تنتهي عند العطارانت Atarantes و من المحتمل أن تكون هي مرتفعات الهجار.

بهذا نستطيع القول أنه وجد طريق يربط بين جاراما Garama و وادي النيل عبر واحات زويلةZouila ، زيلا Zilla، و أوجيلاAugila ، و سيوه Siwa أو عن طريق الجنوب إبتداء من كوفرة Koifra، التي كانت بمثابة مفترق الطرق [244].

هنا تطرح مرة أخرى مشكلة الإتصالات و العلاقات بين المشرق و المغرب منذ العصر الحجري الحديث و قبله و التي إعتبرت فيها تيبستي بمثابة نقطة إنطلاق و بعث [245].

أما من الناحية الغربية فوجد بها رسومات لعربات إعتبر لهوت [246] تاريخها متاخر عن العربات الأولى وجدت هذه العربات بالفزان و الأهاجار و أدرار الإيفورا و الصحراء الغربية و الجنوب المغربي. و بهذا نلاحظ أنه وجدت طريق يربط بلاد السودان الغربي بالفزان. و هذا ما أثبته نص سترابون الذي أشار أنه كان يوفد إلى كرتا الأثيوبيين من وراء الأطلس المغربي [247].

أما البضائع التي كانت تاتي من الصحراء فتتمثل في العقيق الأحمر (Carbunculus) و نوع من الحجر Calcedoine يصنع منه اللؤلؤ، و أيضا الزمورد، و حجارة أخرى نصف كريمة [248]. من المحتمل أنها إستخرجت مناجم في إيجيفي Egevi و زوما Zouma و مرتفعات الدوهون Dohone شمال شرق التيباستي [249].

و قد عرفت تجارة الرقيقي [250] في عهد قرطاجة حيث ذكر هيرودوت أن الجارامانت كانو يطاردون الأثيوبيين على متن عربات إلى جانب هذا وجدت بقايا عظمية بقرطاجة نسبت إلى الجنس الزنجي [251]. أما بالنسبة لنوميديا فالإشارة لممارسة هذه التجارة تعود إلى تواجد الأثيوبيون في كرتا. فإلى جانب دورهم في تجارة الذهب [252] فكانو ياتون أيضا بالعبيد لبيعهم في أسواق كرتا و التي كانت ملتقى التجار من جميع أنحاء العالم القديم في العهد الليبي- البونيقي. و إنطلاقا من كرتا يحملون إلى الموانئ لبيعهم مرة أخرى في الأسواق الخارجية وراء البحر.

و لقد مارس الفينيقيون تجارة العبيد قبل إستطانهم في شمال أفريقيا. لقد عثر في الجزء الجنوبي من مقبرة " ذراع أبو النجا" بطيبة (Thèbes) على رسم جداري على قبر ينتمي صاحبه إلى الأسرة الثامنة عشر [253] يجسد هذا الرسم الجداري أسطولا فينيقيا صغيرا للتجارة. ففي إحدى السفن الراسية في الميناء، يبرز الجزء الخلفي منها صورة لثلاثة أطفال عرات، يحاول أحدهم أن يرمي بنفسه في البحر، مفضلا الموت عن الإستعباد. و بهذا نستنتج أن الفينيقيين مارسو تجارة العبيد و من المنطقي أيضا أنهم كانو ياتون بهم من المراكز التجارية التي أسسوها على طول الساحل الشمالي و الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط.

تمثلت البضائع الصحراوية أيضا في العاج و بيض و ريش النعام و الحيوانات المفترسة و الفيلة و وحيد القرن من تشاد و بحر الجزال [254]. مع إسترجاع منطقة الأسواق إستطاعت المملكة النوميدية أن تتحكم في التجارة الصحراوية التي كانت قد إحتكرتها قرطاجة.

سابعا : علاقات نوميديا مع العالم الإغريقي :

إستطاع ماسينيسان أن يؤسس أسطولا بحريا تجاريا و على عكس القرطاجيين فتح نوميديا للتجار الإغريق و المصريين و السوريين و الإيطاليين. إزدادت العلاقات و الإحتكاكات مع الإغريق خلال حكمه، حول هذا التواجد الإغريقي هناك دلائل أدبية، نقشية و أثرية. تشبعت نوميديا بالمؤثرات الحضارية الهلنسية بعد تدمير قرطاجة مباشرة. إمتازت علاقات نوميديا بالعالم الإغريقي خاصة مع جزيرة رودوس، حيث كان تجار المدن

الساحلية لهم علاقات تجارية معها. و قد تجسدت هذه العلاقات الودية في تشيد أحد تجار ديلوس تمثالا تكريما لماسينيسان [255].

كما كان ماسينيسان قد أهدى إلى أهل رودس خشب الثوبا و العاج [256]. عثر بكرتا على جرات من صنع رودي محفوظة في مقابر لجثث محروقة [257] و هي دلالة على مدى العلاقات التي كانت تربط بين نوميديا و العالم الإغريقي. و من خلال الختم المحفوظ على عراوي أغلبية الجرات، يمكننا تاريخها إلى بداية القرن الثاني ق. م [258]. الإكتشافات في صومعة الخروب حملت عراوى أحد الجرات ختم يعود إلى حوالي سنة 180 ق. م [259].

لم تقتصر العلاقات التجارية الماسيلية الإغريقية على مدينة رودس لكنها شملت مدن إغريقية أخرى مثل أثينا. حيث شيد أحد التجار الأثينين بديلوس تمثالا، تكريما لماسينيسان. و من المحتمل أن هذا التاجر الأثيني قد إستقبله ماسينيسان [260] و تعامل معه من أجل صفقة تجارية عادت بالفائدة على طرفين [261]. كما يذكر تيتيوس ليفيوس [262] أن ماسينيسان كان يرسل إلى أهل ديلوس كميات من القمح كنوع من الهبة لحساب معبد أبولون.

كما نتج عن هذا التبادل الإقتصادي تاثير على الحياة الإجتماعية و نلاحظ أن ماسينيسان أعطى لأبنائه تربية إغريقية خاصة إبنه ماستنبعل الذي فاز ما بين 168 – 163 ق.م في الألعاب الأثينية.

ذاع صوت ماسينيسان في العالم الإغريقي، فإلى جانب التاجرين المذكورين شيد الملك نكوماد Nicomedes، ملك بيثينيا Bithynie تمثالا تكريما له، و ترجع الكتابة المنقوشة على التمثال إلى حوالي 149 ق.م و قد نقش على كتابة أخرى إسم أحد أبناء ماسينيسان و هو جولوسا [263].

لم يكتف ماسينيسان بإنشاء علاقة تجارية مع الإغريق بل كان قد جلب جاليات إغريقية إلى نوميديا حيث وجدت بكرتا عاصمة المملكة جاليات إغريقية قد إستوطنت منذ عصر ماسينيسان. كما كان يرأس مادوبات تحيها فرق موسيقية إغريقية [264].

كما إنعكس هذا التبادل الإقتصادي على الحياة الثقافية في نوميديا حيث نلاحظ أن معبد بعل حامون بالحفرة يحتوي على كتابة بالإغريقية غير مؤرخة و من الأرجح أن تكون معاصرة إلى ماسينيسان. و كانت الجالية المقيمة بكرتا. تبدوا مقيمة بها منذ مدة بدليل تاثيرها بالبونيقية لدرجة أنه بدلا من كتابة إلاه كرونوس Kronos نقش الإسم الفنيقي الذي يعادله و هو بعل حامون، و نفس الشيء بالنسبة إلى الألهة تانيت «Tanit» قد أضيف إليها وصف بيني بعل نلاحظ أنهم كتبوا الكلمة السامية «إبن» بدل الكلمة الإغريقية VIOS [265] و التي تعني «إبن». كما أطلقوا على أبنائهم أسماء بونيقية. نلاحظ أن التاثير الإغريقي ظهر أيضا في الفن المعماري المتمثل في معابد الصومعة بالخروب، و المادغاسن، و ضريح الملوك الموريتانيين، و شمتو، و قبور كليب. كما إنعكس هذا التاثير في سك العملات و طريقة حمل التاج بالنسبة للملوك النوميد.

و قد إمتازت سياسة ماسينيسان و من خلفه بإنفتاحها على العالم الإغريقي لأول مرة في تاريخ نوميديا حيث كانت قرطاجة قد مثلت دور الوسيط في بث و نشر الحضارة الإغريقية.

ثامنا : تطور المسكوكات النوميدية :

من خلال الدراسات السابقة أشير إلى وجود مسكوكات قد ضربت في نوميديا في كل من سيجا و كرتا و لبدة و عنابة. أدرك الملوك النوميديون قيام عملة و تطوير نظامها خاصة بعد أن أصبح لنوميديا دورا إقتصاديا في عالم البحر الأبيض المتوسط إذ أقاموا علاقات مع كل من قرطاجة، و روما و بلاد اليونان، و يبدو أن قرطاجة كانت قد ضربت مسكوكاتها إبتداءا من القرن الخامس ق. م و هو تاريخ متاخر على بداية سكة بالنسبة للعالم الإغريقي خاصة و أن صقلية كانت قد أقامت نظام نقدي منذ منتصف القرن السادس ق. م.[266] و قد أخذ الأتروسكيون بإنشاء نظام نقدي منذ القرن الخامس ق. م. أما النوميديون فقد إستحدثوا نظاما نقديا إبتداءا من القرن الثالث ق. م على نمط النظام الإغريقي إستخدموا فيه مادة النحاس و الرصاص إلى جانب الفضة و الذهب و كان ماسينيسان قد تطور و شجع على إنشاء دور سك العملة و كثر التداول بها و هذا لا يعني أنه السبب في إنشاء نظام نقدي لأنه كما هو مذكور سابقا عرف النوميد المازاسيليين نظاما نقديا منذ أواخر القرن الثالث ق.م ن و كانت سيجا قد بادرت في خلق نظام نقدي محلي أفريقي بعد قرطاجة بقليل و السبب يعود إلى حكم جوارها مع أسبانيا و التي كانت بينهما إتصالات و تبادلات تجارية منذ العهد ابرونزي كما هو مذكور. حيث سكت نوميديا بعض نقودها في جنوب أسبانيا[267] لتوفر المواد المعدنية بها.

أما عن نوعية المادة التي سكت بها النقود النوميدية فغالبيتها هي من معادن رخيصة مثل الرصاص و النحاس إذا إستثنينا ثلاث قطع

نقدية من الفضة نسبت إلى الملك فارمينا و ستة قطع نسبت إلى الملك همبسيال [268] و قطعتين ذهبيتين نسبة إلى الملك يوجورتا [269]. أما «كنز» قسنطينة الذي شمل 237 قطعة نقدية فضية فكلها أجنبية أثينية، قرطاجة، مرسيلية، أسبانية، و خاصة رومانية و تعود إلى 79 ق. م.

و عدم وجود نقود من معدن ثمين خاصة بالنسبة لعصر ماسينيسان و الذي أغلب على نقوده مادة الرصاص. فقد حلل تروسال ذلك أنه في القديم كانت النقود من معدن الرصاص عبارة عن قطع نموذجية لتجارب نلاحظ أن الرومان إستخدموها للمناسبات الخاصة مثل أعياد الإاهه ساتورنيوس Saturnus أو كتذاكر دخول إلى الحفلات العامة و المسارح. من المعروف أن الملوك النوميد كانت لهم كنوز تتالف من سبائك فضية و ذهبية، و قد فضل ماسينسان الإحتفاظ بسبائك الفضة و الذهب بدل تذويبها إلى نقود وقد إتبع في هذا المنوال سياسة ملوك الشرق و الفراعنة و حتى الدويلات الإغريقية قبل أن تنضم إلى النظام النقدي الجديد [270]. و لا يرجع عدم إستخدام المعادن الثمينة إلى فقر في ميزانية الدولة خاصة و أننا نلاحظ أن سالوستيوس قد أشار خلال حرب يوجورتا عدة مرات إلى الكنوز الملكية النوميدية [271]. كما أن ميتللوس أرغم يوجورتا على دفع 200000 رطل من الفضة أو ما يعادل 65400 كيلوغرام علما بان القائد الروماني كان على يقين بان يوجورتا بإمكانه سداد هذا الوزن.

و قد إستخدم للتجارة الخارجية نقود فضية أجنبية أتته نتيجة بيع الموارد الداخلية إلى الخارج. إذ عثر على هذه النقود الفضية كما هو مذكور سالفا ضمن كنوز قسنطينة و أيضا على نقود فضية نسبت [272] إلى معامل أسبانية. و فضل إستخدام النقود ذات المعدن الرخيص للتداول بها داخليا الشيء الذي لا يمس بكنوزه. نرى هنا نظاما نقديا متطورا.

لوحظ أيضا أن إستخدام البرونز ضعيف جدا لم يتداول به داخليا و إستخدم فقط للتبادل التجاري الخارجي، فقد عثر ضمن كنوز بلاد البلقان بكرواسية و في مازين على 368 قطعة نقدية نوميدية من هذه المادة و أيضا ضمن كنوز كولا ببلغارية و عند مصب نهر ليجار بارموريكا.

هذا و لم يتخل النوميد عن نظام المقايضة خاصة بالأرياف خارج المدن المتشبعة بالحضارة البونيقية و الإغريقية.

و قد زادت الضرائب من ميزانية دخل الدولة المدفوعة للملك عن الأراضي و الممتلكات و نلاحظ أن إحصاء الخيول الذي أشار إليه سترابون قد ساعد نوعا ما على مراقبة الثروة الحيوانية، كما أن تطور التجارة و خاصة التجارة البحرية و الصحراوية جعلت ماسينيسان يكسب أموالا باهظة. و نلاحظ أنه منذ 193 ق. م طلب من قرطاجة دفع الضرائب التي كانت تدفعها لها مدن الأسواق (Emporia)، و قد أرغم فيما بعد قرطاجة على دفع الضرائب التي كانت تدفعها لها المدن التي إحتلتها منذ بداية الخلاف. كما طلب عام 150 ق. م من قرطاجة دفع 5000 Talentum تدفعها بالتقسيط خلال خمسين عام.

و بهذا نستنتج أن ماسينيسان كون له ميزانية ثابتة قد ضمنتها له الموارد الداخلية، كما إزداد هذا الدخل بفضل مراقبة المراكز التجارية الهامة الساحلية النوميدية و إسترجاع سهول السرت و السهول الكبرى الداخلية.

1 .Sall, Bell., Jug., LXXXIX, 7, Pomponius, Mela, I, 41

2 .St. Gsell, H. A.A.N. T.I, P.108

3 .Pliny, Hist ., Nat ., VIII, 31

4 .St. Gsell, H. A.A. N; Ibid, T.I. P.74 ; T. III, P. 304

5 .Strabon Geog ., II, 5, 33

6 .Titius Livius, XXXIX, 22 ; XLIV,8

7 .St. Gsell, H. A.A.N. T.I, P. 110, N°.9; T. III, P. 312, N°. 1

8 .Pliny, VIII, 24

9 .Pliny, VIII, 25

10 Pliny, VIII, 54 ; Lucain, IV, 685, 686. - H. Lhote, les Touaregs du .Hoggar (Ahaggar), Op. Cit., Pp. 66- 67

11 .Herodotus, Hist, IV, 181, 186

12 Sallustius, Bell., Jugh., XVII, 5 , XX, 3 , XLVI, 5, XLVIII, 4, LXXV, .4, LX, 2

13 .Polybius, XII, 3, 3, 4

14 .Titius Livius, XXIX, 31, 8

15 .Pomponius Mela, I, 41

16 .St. Gsell, H.A.A.N. T. I, Pp. 219, 225

17 .H. Lhote, les Touaregs du Hoggar (Ahaggar), Pp. 66- 67

18 .Loc, Cit

19 F. Mori, Tadrart Acacus, Arte rupestre e culture del Shhara .Prehistorico Thurin Einaudi, 1965) P. 260

20 .B. Wai Andah, L'Afrique de l'Ouest avant le VII Siècle, P. 644

21 .St. Gsell ., H.A.A.N, Op. Cit. T. I, P. 219

22 .St. Gsell. Loc. Cit

23 .Ibid., P. 221, N° 1

24 L. Joleauod, gravures rupestres et Rites de l'eau en Afrique du .Nord, Journal de la Société des Africanistes, T. III, 1933, Pp. 196- 282

25 H. Breuil, les roches peintes du Tassili. N. Ajjar, - H. Lhote, .Actes du III Congre Pan- Préhistorique, Pp. 153- 162

26 M. Dalloni, Mission au Tibesti, Mémoire de l'Académie des Sciences, T.62, 1936, P. 300. - P. Huard, Gravures Rupestres à la lisière Nord Occidentale du Tibesti, travaux de l'institut des recherches .Sahariennes, T.X, 1935, P. 93 P1. VII

27 P. Cadenat, les gravures rupestres des environs de Tiaret, actes .du 2eme Congres pan- Préhistorique, Alger,1952, Pp. 709- 713

28 M. Soliganc, Les pierres écrites de la Berberie orientale, Tunis, 1928, Fig., 13, 20, 62. - J. Bobo, et J. Morel, Les peintures rupestres de l'Abri du Mouflon et la Station Préhistorique du Hammam Sidi Djeballa dans la Cheffia (Est- Constantinois). Libyca, Anthropologie Archéologie, .Préhistoire, T. III, 1955, Pp. 163- 182

29 .Homerus, L'Odyssée, IV, 85n 89

30 .St. Gsell, H.A.A.N. T.IV, P. 44

31 .H. Lhote, Les Touaregs du Hoggar Ahaggar, Op. Cit. P. 68- 69

32 .Herodotus, IV, CLXXXIII

33 .H. Lhote, Op. Cit., Pp. 71, 72

34 R. Perret, Recherches archéologiques et ethnographiques au .Tassili Ajjer, Journal de la Société des Africanistes, T. 6, 1936

35 C. Ch. Picard, Images des chars romains sur les rochers du .Sahara, C. Raibl, 1958, P. 46

36 J. Spruyette, Le Cheval de l'Afrique ancienne, le Saharien, T. .48, 1968, Pp. 32- 42

37 J. Desanges, Les Proto- berbères, H.G.A. Afri Anc, Op. Cit., T.II, .P. 464

38 .J. Desanges, Les Proto- berbères, Op. Cit., P. 464

39 J. Spruyette, Le Cheval de l'Afrique ancienne, le Saharien, Op. .Cit., Pp. 32- 33

40 .J. Mazard, Corp. Numm, Numi, Maure, Op. Cit., Pp. 30, 42

41 .J. Desanges, Ibid, P. 464

42 .J. Spruyette, Le Cheval de Afrique Ancienne, Op. Cit., P. 35

43 G. Esperandieu, De l'Art Animalier dans l'Afrique Antique, .Alger, Imprimerie Officielle 1975, P. 15

44 .St. Gsell, Op.Cit, T.V, P. 174

45 .Strabon, Geogr, XVII, 3, 13

46 .Strabon, Geog, XVII, 3, 19

47 .Appian, Lib., 11

48 .Elien.Nat .Anim, III, 2. - Lucain, IV, 678

49 .Strabon, XVII, 3 , 7.- Live, XXIII,29, 5

50 .Elien.Nat .Anim, XII, 44

51 .Elien.Nat .Anim, III, 2

52 .Strabon, XVII, 3 , 7

53 .Appian, Lib., 100

54 .St. Gsell, H.A.A.N. T. II, P. 363

55 .Titius Livius, XXIX, 34, 5

56 .Titius Livius, XXIV, 48, 6

57 .J. Mazadd, Corp.Num ., Numi ., Maur ., Op. Cit ., Pp. 30- 40

58 .St. Gsell, T.II, P. 364 Note N°. 4

59 إستخدم المهماز في العهد البيزنطي بنوميديا لأول مرة.;Corippus, II, 46 .V, 212

60 .St. Gsell, H.A.A.N ; T.II, p. 364, N°. 5

61 .J.Mazad, Op. Cit., Pp. 30, 31, 32

62 Ch. Courtois, Les Vandales en Afrique, Paris, A.M.G, 1953, Pp. 98, 101. - K. Schauenburg, Die Cameliden, In Altertum, Bonner, Jahrbucher, 1955, 1956, Pp. 59- 94. - E. Demougeot, Le chameau et l'Afrique du Nord Romaine. Annales, Sociétés, Civilisations, Economies (Alger, 1960) Pp. 209, 247. - J. Kolendo, Le Praepositus Camellorum dans .une inscription d'Ostie (Paris, Klio, 1970), Pp. 287- 298

63 .St. Gsell, H.A.A.N, T. I; P. 102

64 H. Lhot, Problèmes Sahariens : L'Outre, La Marmite, Le Chameau, Le Dalou, L'agriculture, Le Nègre, Le Palmier, Bulletin des .Antiquités Marocaines, T.VII, 1967, PP. 57- 89

.H. Lhote, Le Touaregs du Hoggar (Ahaggar), Op. Cit., P. 74 65

Bos Asiaticus Titius Livius, XXXVII, 40 .و أعطوه إسم 66

R.Basset, Le nom du chameau chez les Berbères, Paris, Ernest 67
.Leroux, 1906, Pp. 7- 14

68 عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق ذكره/ ص 89.

.R. Basset, le nom du chameau chez les Berbères, Pp. 7- 14 69

M.G.B Flamand, Notes sur deux pierres écrites, l'Anthropologie, 70
.Juin 1897, P. 1 suite

.R. Basset, le Nom du Chameau chez les Berbères, P. 7 71

.St. Gsell, H.A.A.N, T.I, P. 228 72

إنتشر بمنطقة النوبة و بلاد الصومال و هو المعروف بإسم : Equius Taeniopus.

.Pliny, Hist, Nat , VIII, 108 ; VIII, 39; VIII, 174 73

.Arrien, Cyneg., XXIV, 1, 3, 4 74

.Elien, Nat, Anim, XIV, 10 75

St. Gsell, H.A.A.N, T. I ; P. 228, N°. 1(Grottes d'Oran), Ibid. 76
.Note, N°. 2

G. Camps, Amekini, Néolithique Ancien du Hoggar, Mémoire du 77
.C.R.A.P.E ; T.I ; 1969, Pp. 186- 188

S.Pons et P.Quezel, Première Etude Palynologique de quelques 78
.Paléosols Sahariens, Travaux de I. R.S ; 1957, Pp. 27- 35

H.J. Hugot, The Origins of Agriculture : Sahara C.A. 5, 1968, P. 79
.485

H. Lhote, À la découverte des Fresques du Tassili, Grenoble, 80
.1959, P. 118

J. P. Maitre, Etat des recherches sur le Néolithique de l'Ahaggar, 81
.Travaux de I .R .S . 1966, Pp. 95, 104

G. Childe, Wat Happened in History? - Harmonds Worth, Penguin 82
Books L. T. D; 1954, P. 1 et suite. - J. Erroux, Essai d'une classification dichotomique des blés durs cultivés en Algérie, B. S. H. N. A. N. T. 48, .1957, Pp. 239, 253

H. Basset, Les influences puniques chez les Berbères, Revue 83
.Africaine, T. 62, 1921, P. 340

J. Bobo et J. Morel, Les Peintures rupestres de l'abri du Mouflon, 84
et la station Préhistorique du Hamman. Sidi Djeballa dans la Cheffiae
Libyca. T. III, 1955, Pp. 163, 181. - J. Malhomme, Les représentations
.anthropomorphes du Grand Atlas, Libyca, T. I, 1953, Pp. 373- 385

.J. Desanges, les Proto- Berbères, Op. Cit. P. 465 85

.G. Camps, Massinissa, Op. Cit. Pp. 82- 83 86

J. Kolendo, L'influence de Carthage sur la civilisation matérielle 87
.de Rome, Archeologia, T.XXXI, Varsovie, 1970, Pp. 15, 16

.St. Gsell, H.A.A.N. T. IV, P. 18 88

H, Camp Fabrer, l'olivier et l'huile dan l'Afrique Romaine, 89
.Alger, Imprimerie Officielle, 1953, P. 11

.E. Laoust, Mots et choses Berbères (Paris, 1920), Pp. 444, 448 90

.H. Basset, Influences puniques chez les Berbères, R.A; P. 348 91

.J. Desanges, Les Proto- Berbères, dans H.G. A. Op. Cit. P. 465 92

.Ibid, P.466 93

.G. Camps, Massinissa, Op. Cit. P. 96- 97- 101- 107- 111 94

.Polybius, XXXVI, 16, 7- 8 95

.Herodotus, Hist ., IV, CXCVIII 96

In Africa, Rex Massinissa, Quumanim. - Advertissset quam » 97
mutae urbes circaNinorem Syrtin essent conditae qu illius olim ,
cupiditatis, oculis ad oes editus adjectis, qui uberumiinde provinebant »
.Polyb XXXII, II

F. Lacroix, Produits végétaux, Revue Africaine, T. 12, Année 98
.1868, Pp. 409, 410, 411, 412

.Polybius, XXXII, II 99

.(Virigile,Aen . 15 V 37. Quo Africa Terre, Triumphis Dives Alit 100

.Horace, Carm ., L. I, Ode. 1 101

.Titius Livius, XXIX, XXV 102

.Strabon, XVII, 3, 15 103

.Valerius Maximus, VIII, 13, Appian, Lib ., 106 104

105 البليثراهي وحدة زراعية يونانية تساوي قدم مربع و القدم المربع يساوي 33 سم [2]، و 10 آلاف بلثر يساوي 874 هكتار. - Diodorus Siculus, XXXII, 17.

106 Diodorus Siculus, XXXII, 17. - Polybius, XXXVI, 16, 8.

107 Diodorus Siculus, XXXII, 16.

108 Ptolémée Evergete, In C. Muller.- Frag., Hist., Graec., T.III, P. 187, N° 8.

109 Titius Livius XXXI, 19, 4 ; XXXII, 27, 2 ; XX, VI, 3, 1, 4, 8 ; XLIII, G. Camps, Massinissa, Op. Cit. P. 200.

110 Titius Livius, XLIII, 6.

111 J. Mazard, Corp. Num ; Numi ., Maur ., P. 55, Fig. 99, 100.

112 Ibid ., P. 47, Fig. 78- 79- 80.

113 Ibid, Fig 81.

114 Sallust , Bell, Jugh, 5 ., XXIX, 4 ., XLVI, 5 ; XLVIII, 4.

115 Sallust ., Bell, Jugh ., XLVII.

116 Sallust ., Bell, Jugh ., XLVII.

117 Sallust ., Bell, Jugh ., XLVI., 3.

118 Sallust ., Bell, Jugh ., XLVIII., 4.

119 Plutarque, Caesar, 55.

120 J. Desanges, Les Proto- Berbères, Op. Cit. P. 465.

121 J. Kolendo, L'inflluence de Carthage sur la civilisation matérielle de Rome, Op. Cit. Pp. 15, 16.

122 St. Gsell, T.IV, P. 16.

123 Caesar, Bellum, Africum, LXV, 1.

124 و منها جاءت تسمية أجادير المدينة الساحلية على ضفاف الريف و المطلة على البحر الأبيض المتوسط بالمغرب الأقصى.

125 Sallustius, Bell, Jugh, XC, 1.

126 St. Gsell, H A.A.N, T. VI, P. 170.

127 J. Mazard, Corp., Num. Numi., Maur., P. 46. Fig., 76, 77, P. 47, Fig., 78, 79, 80, 82, 83.

128 .Herodotus, Hist, IV, CXCv

129 Frederic Lacroix, Afrique ancienne, produits végétaux, Revue .Africaine, T. XIII, Mars 1869

130 .F. Lacroix, Op. Cit. Pp. 96- 97

131 . .F. Lacroix, Loc, Cit

132 .Sallustius, Bell, Jugh, LXXVII, 2

133 .Plutarque, Cesar, 55

134 .J. Mazard, Corp., Num. Numi., Maur., P.55, Fig., 99, et 100

135 .Pliny, Hist, Nat, XV, 3, 4, XVIII, 51, 52

136 H. Camps, Fabrer, L'olivier et l'huile dans l'Afrique Romaine, .Op. Cit. P. 13

137 .Columelle, De Rerust., V, IX

138 .Lacroix, Afrique ancienne, Produits Végétaux, Op. Cit. P. 97

139 .J. Mazard, Corp., Num. Numi ., Maur ., P. 55, Fig., 99, 100

140 .Gsell, H.A.A.N., T.V, P. 20 N°. 5

141 .G. Camps, Massinissa, Op. Cit., P. 90

142 .Ibid. P. 347

143 .Basset, Loc. Cit

144 Lacroix, L'Afrique Ancienne, produits végétaux, Op. Cit. Pp. .97- 98

145 .Herodotus, Hist., IV, CLXXXII

146 .Herodotus, Hist., IV, CLXXXII

147 .J. Mazard, Corp, Num, Numi, Maur ., P. 40 Fig., 60, 61

148 .Ibid. P. 23

149 A. Berthier, A. R. Charlier, Le Sanctuaire punique d'El Hofra, .Op. Cit. Pp. 186, 188

150 .Herodotus, Hist, IV, CXCIV

151 .Pliny, Hist, Nat, XI, 33

152 .St. Gsell, H. A.A.N ., T.V , P. 189

153 St. Gsell, Atlas Archéologique de l'Algérie, Op. Cit. 23, N°. 1

قد إختفى هذا النوع من الأشجار في عهد بليني لكثرة إستهلاكه .

.Pliny, XIII, 95 -

.F. Lacroix, Afrique Ancienne Produits Végétaux, Op. Cit. P. 97 154

.Herodotus, IV, CLXIX 155

.Herodotus, IV, CLXXXI, CLXXXII, CLXXXIII, CLXXIV, XLXXXV 156

N. Lambert, Les industries du cuivre dans l'ouest africain, 157
12. E.W. Herbert, Aspects Of the Use of Copper-W.A.J.A ., I, 1971, Pp. 9
.in Pre- Colonial West Africa, J. A.H. 14, 2, 19. 73, Pp. 179- 194

.St. Gsell, H.A.A.N. Op. Cit., T. I, P. 211 158

.St. Gsell, Loc. Cit 159

.Ibid. P. 211, Note N°.4 160

.Strabon, Geog., XVII, 3, 11 161

.Gsell, Atlas, 12, El Asnam, N°. 41 162

.Scyllax (Periple) Tauxier, R.A, TXII, 1868, P. 427 163

.Troussel, Le Trésor de Tiddis R.S.AC. P. 142 164

.Troussel, Loc. Cit 165

.St. Gsell, H. A. A. N., IV, Pp. 81, 82 166

.J. Mazard, Corp. Num., Num., Maur., Op. Cit., P. 26 167

.Troussel, le trésor de Tiddis, R.S.A.C, Op. Cit ., P. 131 168

.Troussel, Ibid. P. 144 169

.Herodotus, Hist, IV, CXCV 170

.J. Mazard, Corp ., Num, Numm, Maur, Op. Cit, P. 46 171

J. Carcopino, Le Maroc antique, Pp. 105- 155. M. Posansky, 172
Les Sociétés de l'Afrique, Subsaharienne 1er Age du fer H. G. H (Af. An)
.Ch.29. P. 784

.St. Gsell, H.A.A.N ., T.II, P. 212 173

.Strabon, Geog ., XVII,3, 7 174

.Pliny, Hist. Nat .,VI, 194 175

.St. Gsell, H.A.A.N. T. V, P. 257 176

.Horn, Die Numider, Op. Cit ., P. 348, 349, 350, 351, 352 177

.Horn, Loc. Cit 178

G.b. Flamand, Les pierres écrites, Op. Cit. P. 322, 326, 328, Pl 179
.XXXI, XXXII, XXXIV, XXXVII

.Appian ., Lib ., 40, Iber ., 89 180

.J. Desanges, Les Proto- Berbères, Ch. 17, Op. Cit. P. 466 181

J. Mazard, Corp. Num ., Num ., Maur ., Op. Cit., Pp. 18- 19, 20 182
.Fig. 1, 2, 3, 6, 7, 8, 9, 11

H. Basset, Les Influences puniques chez les Berbères R. A. P. 183
.350

.H. Basset, Loc. Cit 184

E. G. Gobert et Pierre Cintas, smirat, R., Tuni., 1941, Pp. 83- 185
.121

D. Pauphelet, Monuments mégalithiques à Mactar Karthago, 186
T. IV, 1953, Pp. 49, 83. - L. Denis, Notes sur quelques nécropoles
.mégalithiques du centre Tunisien, B. A.C. 1913, P. 139

E. Cartaillac, Dolmens de la Tunisie, l'Anthropologie T. XIV, - 187
1903, P. 620. -Dr. Carton, Découvertes épigraphique et archéologiques
Faites en Tunisie. Mémoires de la Société des Sciences de Lille 1995, pp.
.350- 352

Dr. Carton, les Mégalithiques le bulla regia. L'anthropologie, T. 188
.II, 1891, P. 1- 16

A. Heron De Ville fosse Note, Sur les Découvertes faites à Gabès 189
et à Gafsa, compte rendu de l'Académie des Inscriptions et des belles
.lettres, 1899, P. 208- 211

G. Camps, aux origines de la Berbère, Monuments et rites 190
.Funéraires Protohistoriques, P. 410

G. Camps, La céramique des sépultures Berbères de Tiddis 191
.Libyca, T. III, 1956, Pp. 155- 2p3

L. Frobenius, Der Kleinafrikanische Grabau, Leipzig 1916, Fig. 192
.98 a 146

. Logeart, Grottes funéraires hypogées et caveaux sous roches 193
e silla, feuilles de 1933- 1934, recueil des notices et mémoires de la
Société Archéologique de Constantine, T. LXIII, 1935- 1936, pp. 96- 105

h. Thomas, recherches sur les sépultures anciennes des 194
nvirons d'Ain El Bey près de Constantine, Alger, Congres International
.(des Sciences Anthropologiques, Paris, 1878 (1880

195 A. Vel, Inscription Libyque inédite relevée sur le territoire de la commune Mixte d'Ain Mlila, Recueil des notices et mémoires de la Société Archéologique de Constantine, T TXXXVIII, 1904, Pp. 25- 34.

196 P. Cintas, Céramique punique, Op. Cit. Pl. XXVI, N°. 323, Pl. I, N°.4.

197 G. Faidherbe, Recherches anthropologiques sur les tombeaux mégalithiques de Roknia, Bulletin de l'Academie d'Hippone, T. IV, 1867, Pp. 1- 76.

198 G. Camps, Monuments et Rites Funéraires Protohistoriques, Op. Cit. P. 412.

199 Loc. Cit.

200 R. Thouvenot, Découverte d'une nécropole à Kleber, Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran, T. III, 1931, Pp. 213, 214.

201 منها مقبرة جاستل و مكتار و طبرسك و روكنية و سيجوس و بونزارة و تيديس و أئيت روانة و واد تادمة و كليبير و تازة.

202 التي عثر عليها في جاستيل و روكنية و بني مسوس.

203 التي وجدت بمكتار (نسختين) و جابس و سيلة و سيجوس و بوشان، و أئيت روانة، و بني مسوس و سيدي سليمان.

204 عثر عليها في عين الباي و على أربعة عشرة نسخة في سيلة و على سبعة نسخ في جابس، و سيجوس، و بوشان و مكتار.

205 عثر عليها في جاستال (سبعة نسخ) و ماكتار (نسختين) و أيضا في جابس و بولا ريجيا

206 عثر عليها في مكتار (عشرة نسخ) و في عين الباي (ثلاثة نسخ) و في سيلة (نسختين) و أيضا في مكتار و جاستل و سيجوس.

207 التي عثر على ثلاث نسخ منها في سيلا و أيضا في ماكتار و بومرزوج.

208 G. Camps, Monuments et rites funéraires protohistorique, P. .413, Note N°. 11, 12, 13

209 .P. Cintas, Céramique punique, Op. Cit. P. 448

210 G. Camps, La Céramique des monuments mégalithiques, collections du Musée du Bardo, Alger Actes du 2ème Congrès Panafricain, .de Préhistoire algérienne, 1952, 1955, Pp. 543- 547- 548 -550

211 .Cintas, Céramique punique P. 459. - Camps, Op. Cit. P. 414

212 J et P. Alquier, Tombes Phéniciennes à Djidjelli, Revue Archéologique, Vème Série, T.LXXI, Fig. 8. - P. Cintas, Céramique punique, .Op. Cit. P.453

213 .E. G. Gobert et P. Cintas, Smirat, R. T ; 1941, Pp. 83, 121

214 P. Cintas, Fouilles puniques à Tipaza, Revue Africaine. T. XCII, .(1945, Pp. 253- 330 (Fig. 15. P. 312

215 .P. Cintas, Op. Cit. P. 483

216 G. Camps, Monuments, et rites funéraires protohistoriques, .Op. Cit. P. 406

217 A. Lucas, Ancient Egyptian Building Materials and Industries, .Op. Cit. pp. 217, 218, 255- 277

218 .Herodotus, 1, 94

219 A. Lezine, Carthage, Utique, études d'architecture et ؛d'urbanisme, édition du C.R.N. S, Paris, 1968. P. 194

220 P. Cintas et E. G. Gobert, Les tombes du Djebel Mlezza, Revue .Tunisienne, 1969, T 38- 40, P. 130

221 .St. Gsell, H.A.A.N. T.V; P. 197

222 يمثل الرسم الذي عثر عليه بطيبة في مقبرة «دراع أبو البجا» و الذي ينتمي صاحبه إلى الأسرة الثامنة، أسطولا تجاريا فينيقيا راسيا في الميناء و يستعد أصحابه لتنزيل بضاعتهم. و نلاحظ من خلال هذه اللوحة أن الدكاكين التي هي على ما يبدو من الخشب، يوجد بداخلها بضائع متنوعة، (بدل) أثواب، نعل، أقمشة معلقة بالاستف أو موضوعة فوق مناضد خلطا ملطا مع العيش و الفواكه و السمك المملح، يظهر الرسم بعض الباعة بداخل الدكلكن، حيث نلاحظ أحدهم ينادي عن الزبائن مشيرا إلى دقة ميزانه. و بالقرب منه نلاحظ إمرأة جالسة على مقعد صغير تنش بجزء من القماش المعروض الذباب أو ربما تعرض بضاعتها للزبائن للبيع فتعتبر هذه التشكيلة نموذجا حيا

للأسواق التي توجد بالموانئ في العهد الفرعوني و الفينيقي و الذي إمتد مما لا شك به تواجده حتى العهد النوميدي.

G. Darressy, Une flottille phénicienne d'après une peinture .égyptienne, Revue Archéologique, 1895, T.XXVII, P 289- 290

223 .Strabon, XVII, 3, 13

224 F. Decr et M'Hamed Fantar, L'Afrique du Nord dans l'Antiquité, .Op. Cit. P. 221

225 .Titius Livius, XXX, 12, 4, XXX, 44, 12

226 .J. Mazaad, Corp, Num, Numi, Maur, Op. Cit., P. 17

يرى هذا الأخيرأن جزءا من نقود سيفاكس كانت تضرب في معامل إسبانية.

227 A. Berthier et Abbe, R. Charlier, Le sanctuaire d'El Hofra, - G. Charles, Picard, Le sanctuaire punique de Cirta, Revue Archéologique, 6 .Série, T. XLVII, 1956, Pp. 196- 199

228 .Strabon, XVII, 3, 7

229 A. Berthier et A.R. Charlier, Le Sanctuaire punique d'El Hofra, .P.23 Stèle N° 21

230 Ch. Vars, Cirta, ses monuments, son administration ses .1895, P. 1-magistrats, Constantine le 31- 12- 1894

231 .M. Troussel, le Trésor monétaire de Tiddis, Pp. 154- 155

232 .Troussel, Loc. Cit

233 A. Berthier et Ab. R. Charlier, le Sanctuaire punique, D'El .Hofra, B. A. C, 1955- 1965, Pp. 152- 158

أعطى أبولونيوس لإبنه إسم صافوط (مسلة رقم 47) أما أبولا فاعطت لإبنهما إسم عبد ملقارط، و هرماس أعطى إبنه إسم عبد ملقارط.

234 .Titius Livius, XXX, 9, 10, 12

235 .Sall., Bell. Jugh., XXI, 2, XXIII, 1, XXVI, 1

236 P .Salama, Les voies romaines de l'Afrique du Nord, Alger, .Imprimerie Officielle 1951 P. 13

من المحتمل أنه وجد طريق يربط بين كرتا، سكيكد (روزيكاد)، ميلا (ميلاف)، و القل (شولو).

237 .Herodotus, Hist., T.IV, CLXX ., CLXXX, XLXXXIII ., CXCIII

238 رسمت العربات على معبد دوجا.

239 .H. Lhote, les Touaregs, Op. Cit., P. 70

240 .Henri Lhote, Les Touaregs, Op. Cit. P. 70

241 E. W. Bovill The Golden Trade of the Moors, Oxford, 2ème .edition, 1968, P. 1 et suite

242 P. Salama, Le Sahara pendant l'antiquité classique dans H. G. .A., Afr. Anc., Op. Cit., P. 569

243 .Herodotus, Hist ., IV, CLXXXI, CLXXXII, CLXXXIII ., CLXXXIV

244 J. Leclant Per Africae Sitientia, Témoignage des sources classiques sur les pistes menant a l'oasis d'Ammon, B. I. F. A. O, T. 49, 1950, Pp. 193- 253. R. C. Law, The Garamantes and Transsahara an Entreprise in Classical times, J. C. H., 1967, PP. 181- 200. R. Rebuffat, Route d'Egypte et de la Libye intérieure S.M.T. 3, 1970, Pp. 1, 20. Ibid, Zella et les routes d'Egypte, Libyca Antiqua 1969, 1970, T. VI- VII, Pp. .181- 187

245 P. Beck et P. Huard, Tibesti, Carrefour de la préhistoire Saharienne, P. 1 et suite. -J. Gostynski, La Libye Antique et ses relations .avec l'Egypte, B.I.F.A.N. 37, 3, 1975, Pp. 473- 588

246 .H. Lhote, Les Touaregs du Hoggar, Op. Cit., P. 71

247 .Strabon, XVII, 3, 7

248 Posnansky, Introduction à la fin de la Préhistoire en Afrique .Subsaharienne dans H. G A (A. A) Op. Cit, P. 593

249 T. Monod, Mission du Fezzan, II« Reconnaissance au Dohone », .Paris, 1948, Pp. 151- 154

250 أعتبر العبيد في العهد الروماني ضمن الصادرات الإفريقية و تضعهم تعريفة زاراي Tarif de Zarai في المرتبة الأولى ضمن الحيوانات المصدرة و الخاضعة للضرائب ؛ P. Garnsey, famine and food supply in the greco-roman world: responses - to risk and crisis, Cambridge, 1988, P. 242- 243. - A. Giardina, societa Romana e impero tardoantico, III, 1986. - C.I.L, VIII, 4508 .- Y-P, Darmion, .« note sur la tarif de Zarai», cahier de Tunisie, 1964, No 47- 48, P 6- 23

251 Ibid, Le mythe de l'émeraude des Garamantes,)A.A(; T. VIII, .1974, Pp. 51- 66

Dosnansky, Introduction a la fin de la préhistoire en Afrique 252
.subsaharienne, H.G.A A.A., Op.Cit., P. 593

لقد وجدت تجارة سرية للذهب بين السنغال و الجنوب المغربي و الدليل على ذلك أن الملوك النوميد إكتسبو سبائك من الذهب و أيضا الحجارة الكريمة و اللؤلؤ، كان الفينيقيون من قبلهم قد مارسو التجارة لا الصمتة على حد قول هيرودتوس و هي تجارة الذهب ؛

A. Joden, Mogador, Comptoir phénicien du Maroc Atlantique, 1966,
.P. 173, 175

G. Daressy, une flottille phénicienne d'après une peinture 253
.Egyptienne, revue archéologique, 1895, T.XXVII, P. 19

P. Salama, Le Sahara Pendant l'Antiquité Classique, H.G.A.A.A. 254
.Op. Cit., P. 567

.G. Camps, Massinissa, Op. Cit., P 255

.St. Gsell, H.A.A.N., T. III, P. 307 256

A. Berthier, Découverte à Constantine de deux sépultures 257
.contenant des amphores Grecques R. A, T, LXXXVII, 1943, Pp. 23- 32

A. Berthier et A. R. Charlier, le Sanctuaire puniques d'El Hofra, 258
.Op. Cit., P. 232

Ch. B. Ruger, Die Keramik des Grabes Von Essoumaa Bei El 259
.Khroub Die Numider Pp. 339- 342

.Inscriptions Graecae, T. XI, 1115 260

.G. Camps, Massinissa, Op. Cit ., P. 199 261

.Titius Livius, XXXIX, XXII 262

P. Roussel et J. Hatzfeld, Fouilles de Delos Inscriptions de 263
Dicace du Roi Nicomedes au Roi Massinissa, B Bulletin de Correspondance
.Hellénistique, T. XXXIII, 1909, Pp. 473, 484, 485,522

Ptolémée, Evergète, C. Muller, Frag. Hist., Graec, T. III, P. 187, 264
.N° 7

.G. Camps, Massinissa, Op. Cit ., P. 201 . 265

Ch. Picard, Vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal, 266
.Paris, 1968, P. 182

.J. Mazard, Corp., Num., Numi., Maur., Op. Cit., P. 19- 20 267

J. Mazard, Corp., Num., Numm., Maur., Op. Cit., Pp. 20, 21; 268
.Pp. 45- 47. Fig. 73, 74, 75, 78- 79, 80

.Ibid., P. 46, N°. 76, 77 269

.G. Camps Massinissa, Op. Cit., P. 208 270

.Sallust; Bell, Jugh, XII, 2 ; XXXVII, 3 ; LXXV, 1 271

.G. Camps, Massinissa, Op. Cit., P. 208 272

الفصل الثالث : الحياة الفكرية

أولا الدين و المعبودات :

«أول ظاهرة يلمسها الباحث لتاريخ نوميديا في العصر الملكي هي الإمتزاج الواضح بين عدد من العناصر الحضارية في ذلك المجتمع، فإلى جانب العنصر القرطاجي الفنيقي وجد العنصر الليبي المحلي و العنصر اليوناني المتداخل في بعض مجالات المجتمع القرطاجي بالإضافة إلى العناصر الحضارية المصرية و الأتروسكية و القبرصية و الكريتية و الأفريقية. كل عنصر من هذه العناصر مقوماته الحضارية. بهذا فالمجتمع النوميدي في تلك الفترة كان مجتمعا مختلطا تبلورت فيه أنماط جديدة نتيجة هذا الإختلاط مما ساعد على إنتقاله من المجتمع المنعزل نسبيا في مرحلة العصر الحجري الحديث و القائم على النظام القبلي المحلي المحدود في نشاطه الفكري و الديني إلى مجتمع متطور له فاعلية في تاريخ منطقة البحر الأبيض المتوسط و القارة الأفريقية» [1].

من الملاحظ أن الإنسان في مرحلة العصر الملكي لا يزال يبحث عن الحقيقة و لذلك لم يقتصر مجهوده على تطوير فكره الديني في نطاق معين بل حاول الإعتماد على كافة ما يتراءى له من الأفكار الدينية الأجنبية محاولا الإقتباس منها مما يكمل تفكيره الخاص. و إتجه إنسان العصر الحجري الحديث في نوميديا إلى التعبير عن أفكاره بعد أن توفرت لديه القدرة الفكرية فقام بعمل نقوش كثيرة على بيض النعام و على الصخور و الهضاب و الجبال معبرا عن مفاهيمه الدينية و تعتبر مصدرا رئيسيا للتعرف على تفكير الإنسان، و هناك إمكانية وجود غاية سحرية على أساس إظهاره التحكم في قوى الطبيعة و أنها أيضا تعبر عن كونه لا يزال يبحث عن لأمان و الإطمئنان و الإنتصار على القوى الشريرة الضارة بحياته. و قد دامت هذه الإعتقادات حتى العصر الروماني. نلاحظ أن النوميد قد عبدوا إلى جانب الألهة الكبيرة المحلية أو المقتبسة، الحجارة و الحيوانات و الكواكب و الأنهار. و ترجع عبادة الحجارة إلى العصر الحجري الحديث و دامت حتى العهد الروماني. فمن خلال نص ذكره أرنوب الذي كان يدرس في الفصاحة تحت حكم الإمبراطور ديقليديانوس في مدينة الكاف، قد أشار إلى المعبودات القديمة في قوله قبل أن يعتنق المسيحية: "إذ عثرت على حجرة مسقولة و مدهونة بزيت الزيتون لتاكد أن بها قوة الأله ..." [2] كما أشار القديس أوغسطينوس [3] أن في عهده عبد الوثنيون النوميديون الأبادير و التي تعني بالفينيقية "الحجارة المقدسة" و لها أهمية دينية كبيرة لأنها تحمل رمز الإله المعبود. و قد أدخل الفينيقيون هذا النوع من المعبودات ولازموها المعابد حيث نقشت على مسلات بونيقية بقرطاجة و سوسا [4] و أيضا في معابد بونيقية بتانوس بسردينيا. كما عثر في كرتا على عدد من الحجارة المسقولة كتب عليها نقش بونيقي [5].

أما فيما يتعلق بعبادة الحيوانات فقد إمتازت بالخصائص التي عرفها النوميد كشعب رعاة و مزارعين و لذلك نجد أنهم أعطوا بعض الحيوانات المستانسة صفة الألوهية و إعتبرت هذه الحيوانات رمزا للخصوبة مثل الكبش و الثور و الحصان.

أما الإله الكبش فقد إنتشرت عبادته في كل شمال أفريقيا [6] و مثلته الرسومات الجدارية و على رأسه رموزا بيضاوية الشكل. و هو رمز لعبادة إبتدأت في الصحراء قبل الجفاف [7]، فالنصوص التي تشير إلى عبادة الكبش بشمال أفريقيا متاخرة عن الصحراء و لكنها ترمز إلى إسم " أمون" الإله، و ذكر أثاناز أن هذا الحيوان عبده الليبيون تحت إسم آمون [8] غير أنه يبدو فيما يتعلق بعبادة الكبش إختلاف بين نوعين من الكباش مثلتهم الرسومات في الصحراء و في شمال أفريقيا حيث يبدو أن النوع الأول ليبي بحت و الثاني يظهر به تاثير مصري.

و السؤال المطروح هو: هل عرف الليبيون الإله أعظم قبل مجيء الفينيقين ؟ بحث عدد كبير من العلماء حول هذا الموضوع و رأي البعض في الإله بليدير الموصوف Deus Patrius أو «الرب الأعلى» [9] غير أن هذا الوصف يحمله آلهة أخرى و أن بليدير أو بعل آدير هو إسم مشترك ليبي – بونيقي رأى فيه فيفري [10] أنه إله يحمل صفتين: الزراعة و القوة و هي صفات يحملها في بعض الأحيان بعل حامون الفنيقي. كما رأى بعض آخر في الإله الأعظم الليبي يولاؤوس Iolaos الذي ذكرته كتابة ليبية. غير أن هذا الإسم يتالف من الكلمة الإغريقية لاؤوس Aos و الكلمة البونيقية يول Iol و هو إله فنيقي [11]. و هو إله القوى الامنة في المياه و الأنهار و الأبار.

في الإله الأعظم الليبي الإله يوش أو إيجوس Iush و هو إله المطر عند قبائل بورغواطة غرب المغرب الأقصى في القرن التاسع و العاشر الميلادي، و حاول مقارنته بالإله آش Ash، الذي نقش إسمه في الوثائق المصرية في عصر الأسرة الأولى و الثالثة والخامسة [12]. غير أن الإله بوش و هو الإله السماء الذي يناسبه ساتورنينيوس [13] عند النوميديين.

و إذا ذهبنا إلى أقصى الغرب في جزر الكناري الذي إعتبر بمخبا لجات إليه القبائل الليبية فرارا من الموجات المتلاحقة على شمال أفريقيا من الشرق فقد إحتفظ الجوانش سكان هذه الجزر حتى عهد الإستعمار الإسباني بعبادة إله أطلقوا عليه إسم أمان Aman و هو إسم قريب النطق من الإله آمون [14].

أكدت المعطيات الجغرافية و التاريخية أنه وجدت علاقات و تبادل ثقافي بين مصر و ليبيا و حيث نتج عن هذا التبادل إنتشار عبادة الإله آمون رع الطيبي في واحة سيوه [15] و منها إلى قوريني حتى لبدة تحت إسم الإغريقي زوس آمون. و العتب واحة سيوه دور الوساطة في بث و نشر عبادة أمون رع و كما لم تلعب طرابلس في نشر زوس أمون إلا دورا ثانويا. و قبل التكوين المشترك الإغريقي المصري فقد إستطاع الإله آمون الطيبي الدخول إلى أفريقيا عبر الصحراء الشرقية و منها حتى جنوب وهران و الشرق القسنطيني. غير أن لبعض ينفي هذه النظرية حول إنتشار عبادة آمون الطيبي بافريقيا [16].

يرى لوقلي [17] أن الليبيين قد عبدوا الإله آمون الطيبي قبل مجيء الفينيقيين، و أن الفينيقيين أعطوه إسم آخر مع الإحتفاظ بنفس الخصائص لتي ميزت الإله المصري و هي خصائص سماوية و وظيفية الزراعة و حماية القطعان.

أما غزال ففي الجزء الأول [18] من تاريخ شمال أفريقيا القديم رأى في الكبش الصحراوي و الليبي تاثير مصري و لكنه تخلى عن هذه النظرية في الجزء السادس.

و بكل تحفظ يرى جرمان أن عبادة الكبش قديمة بنفس الأقدمية في كل من مصر و شمال أفريقيا. و لا يوجد أي تاثير من مصر على الكبش الصحراوي. و من المحتمل كما جاء به جرمان أن عبادة الكبش أتت إلى مصر و الصحراء و بالتالي إلى شمال أفريقيا عن طريق الرعاة الشرقيين، هذا لو تاكدت النظرية القائلة أن إستئناس الغنم بدأ في الشرق، و بهذا نستطيع أن نقول أن مصر و المغرب لهم مصدر ثقافي مشترك [19]. و يتاكد الخلاف بين النوعين من الكباش المصري الليبي في القرص الذي يدير الرأس، ففي مصر فإنه يرمز للشمس و يحمل الإله الطيبي إسم آمون رع، أما في المغرب فهو يرمز للمطر و لا يمكن لأفريقي أن يطلب من الشمس المطر و بهذا نرى أيضا أنه رمز كوكبي يمثل السماء [20].

حمل الكبش في العهد القرطاجي حمل إسم بعل حامون و قد رادف الإله الإغريقي كرونوس [21] و إنتشرت عبادته بكثرة في شمال أفريقيا في عهد ماسينيسان و ما بعده [22].

أما حول معنى بعل حامون فهو يعني " سيد الشمس" و أن كلمة حامون قريبة من كلمة "حمامين" و هي حجارة موضوعة قرب مذابح الضحايا و تختص بالشمس، و بهذا نستطيع أن نقول أن كلمة بعل حامون تعني سيد آشعة الشمس أو بعل الشمس. و هو لقب يقلل من أهمية بعل الذي يحمل وظائف عديدة، و بهذا يجب الرجوع إلى معنى كلمة حامان التي تحمل معنى الحرارة و قد إستطاع ليجلي أن يفسرها

"بهياكل البخور" و أن "بعل حامون" تعني "سيد هياكل البخور"[23] أو "المذابح المحترقة" التي بها الضحايا[24] و قد تجسد بعل حامون في تماثيل عثر عليها بقرطاجة و ثينيسوت[25] و أتيكا[26] و حضرموت[27] و الحفرة[28]، كما مثله بعض المسكوكات في العهد الملكي النوميدي[29].

ظهر في مظهر رجل ذو لحية يحمل على رأسه تاج من الريش جالس على عرش له مرافق يزينها أبو الهول. و أحيانا أخرى في عدد من النقود إلى جانب وجه مشعر بدا يحمل قرون على رأسه. و من المحتمل أن الشكل الثاني الذي ظهر على نقود نوميديا الذي يحمل قرون على الرأس هو إله ثاني يختلف عن الأول، و أن رمز القرون يقترن بإعتقادات محلية نوميدية ناجمة عن مشاكلهم الزراعية.

و نلاحظ أن الإله بعل و الإله آمون هما إلهة سماوية تتحكم في الشمس و العواصف أو آلهة المطر الذي يخصب الأرض و قد أعطى النوميد أهمية كبيرة لهذا الإله خاصة و أن الحياة في تلك المنطقة تعتمد على المطر و لا توجد أنهار يمكن الإعتماد عليها في سقي الأراضي الزراعية و هذا النوع من الزراعة هو معروف الآن بالزراعة "البعلية".

إلى جانب الكبش نلاحظ أن البربر عبدوا الإله الثور، و قد أشار كوريبيوس أن قبائل اللواتة بطرابلس في القرن السابع قد عبدت الإله جورزيل Gurzil و هو إبن الإله آمون من بقرة[30]. و مثل الكبش كان الثور من الإلهة الصحراوية القديمة التي ظهرت على بساطتها خاصة في الهجار و أخرى ظهرت متوجة باسطوانة، توفرت صور الثيران منحوتة على جدار صخرية بالفزان و التيبيستي و التاسيلي العجر. و قد إزدهرت عبادة أبيس[31] في مصر مع دخول الهكسوس و بهذا نلاحظ أن عبادة الثيران دخلت شمال أفريقيا عن طريق مصر[32].

أما الحصان فيحتمل أنه مثل عبادة قديمة غير أنه لا يوجد ما يؤكدها.

كما ظهرت عبادة الأسود وقد زينت المعابد و الأضرحة مثل الضريح الملكي بموريتانيا بالقرب من شرشال و أيضا الضريح الملكي بدوجا، و هو يرمز أحيانا أخرى إلى الإلهة أفريقية و يعتبر الأسد حامي القبور.

كما ظهر في ليبيا عبادة السمك في منطقة تونس حاليا و هذا ماكدته وفرة الرسومات التي مثلت السمك على الفسفساء.

يلاحظ بيكار [33] في بعض التسريحات التي كان يعتز بها النوميد مثل الضفيرة الجانبية و التي إنتشر إستخدامها من مصر حتى المحيط الأطلنطي، و قد إمتازت شعوب الماسيس المزارعة بحمل هذه الضفيرة كما مثلت الرسومات الجدارية رجال على رأسهم ضفيرة جانبية، ترجع هذه الرسومات إلى العهد النيوليتيكي الصحراوي.

ذكر هيرودوت [34] أن الليبيين كانوا يعبدون إلهه لقبوها بالإسم الإغريقي مينيرف [35] و طقوس عبادة هذه الإلهة تتمثل في مبارزة العذروات على طول بحيرة التريتونيس، و كن يحملن أسلحة إغريقية و يحتفلن به سنويا تكريما للإلهة مينيرف. و مينيرف هي إبنة نبتون Neptune أو Poséidon و بحيرة التريتونيس، فبعد أن تركت أباها تبناها Jupiter أو زوس Zeus. و ينقسم الحفل حسب وصف هيرودوت كل سنة إلى قسمين :

أولا : معركة العذروات مع تادية الطقوس السحرية. و نلاحظ في المرحلة الأولى عادات و تقاليد ليبية تعود إلى ما قبل الإلهة الأثينية. ثانيا : أما المرحلة الثانية فهي حفل ديني و تطوف الشابة العذراء التي أختيرت لتمثل أثينا البلاد و تعتبر حاميتها.

أشار الجغرافي سيلاكس إلى وجود معبد أثينا تربتونيس Athena Tritonis[36]. و قبل وصول الأسلحة الإغريقية كان الليبيون يستخدموا أسلحة مصرية لتادية هذه الطقوس[37].

يلاحظ أيضا أن النوميديين عبدوا الإله بوزيدون Poséidon[38] تمثل وجوده ضمن كنوز صومعة الخروب[39]. و من خلال خصائصه المحاربة يرى فيها الإلهة المصرية نيت إلهة سائس.

في العهد الروماني عبد النوميد إله الينابيع Neptunus[40].

و يبدو أن النوميد كانوا يقدمون ضحايا بشرية كقرابين إلى الإله كرونوس و يرى فيه البعض بعل حامون كما لقبته الجالية الاغريقية المقيمة بكرتا.

كما ذكر الإله هرقل[41] الليبي و ربما يقصد به الإله الفنيقي ملقارت[42]. و لا يوجد ما يؤكد أن هرقل مؤسس مدينة تبسة و قفصة هو الإله الإغريقي. كما أرجع الملك النوميدي يوبا الثاني نسبة إلى هرقل الإغريقي. كما وجد بنوميديا إله ليبي يحمل إسم أبولون إبن آمون. و فيما بعد أشار كوريبيوس في العهد البيزنطي أنه وجد بواحة سيوا «هياكل أبولون».

كما كرم مدينة سيكا (الكاف) إلهه تسمى باللاتينية فينوس[43] و يمكن إدماج هذه الإلهة بالفينيقية عشترت[44].

في القرن الرابع ق. م عبد القرطاجيون الإلهة ديميتير[45] و كورى[46] المستعارة من إغريق صقلية، و قد إنتشرت عبادتهما في كل أنحاء نوميديا.

أدخل ماسينيسان إلى نوميديا عبادة أغريقية لها أهمية زراعية و هي كرس[47] عن طريق قرطاجة و التي وصلتها منذ 394 ق.م و قد كرمها أيضا أهل فاجا في عهد يوغرتا. تشير بعض الدلائل المادية إلى أن كريس دخلت عبادتها الممتلكات القديمة التي إسترجعها ماسينيسان[48] و قد إنتشرت هذه العبادة خاصة في المنطقة الشرقية المتاثرة بالحضارة البونيقية اليونانية. و يذكر كاركوبينو أن كيرس عبادة لهلينستية في أفريقية لم يكن للقرطاجيين دورا في إدخالها و أنها الفضل يرجع إلى الملوك النوميد في نشر عبادتها، و هذا مما تحمله من فائدة زراعية[49].

كرم النوميديون أيضا الإلهة أفريكا. و ظهرت خاصة على نقود الملك يوبا الأول و يوبا الثاني[50] و على رأسها جلد فيل. كما أشارت كتابة لاتينية إلى إلهة ليبية تحمل إسم إفري[51].

أما الإلهة تانيت فيبدو أنها ليبية الأصل، هذا إذا رجعنا على قواعد النحو الليبي حيث تحمل الأسماء المؤنثة في آخر الكلمة حرف التاء كما يبدو أنها نتاج إندماج المعبودات الفينيقية إلات و عشترت، و لها خصائص الخصوبة و خصائص سماوية، فهي حامية المحاصيل الزراعية، و قد أعطتها بعض التكريمات صفة الأم و السيدة، و قد تجسدت الإلهة تانيت في بعض الرموز خاصة الرمز المعروف بإسم «رمز تانيت» و هو عبارة عن مثلث يعلو قمته حاجز أفقي وأسطوانة. أما رمز «الزجاجة» فهو يمثل الإمرأة التي ترمز إلى تانيت[52].

أكدت وثيقة ترجع إلى القرن الثالث الميلادي و عثر عليها بمنطقة بيجا وجود عبادة نسبت على آلهة موريتانية، و هي عبارة عن مسلة عليها صور و أسماء لسبعة آلهة بالإضافة للإله الأعظم بنشور Bonchor

و هم الإلهتين فيهينامVihinam، و فارسينيما Varsinima و إله يشبه أسكولاب Esculape و آخر يشبه ماكورجام Macurgam، و الإله ماتينام Matinam، و أخيرا الهيتين يمتطيان جوادين، و هما ماكورتام Macurtam و أيونام Ilinam.

و يبدو أن هذه الآلهة التي عثر عليها في القرن الثالث الميلادي ترجع للعهد الملكي النوميدي.

عثر على كتابات بكرتا و ضواحيها، أكدت أن النوميد كانوا يضحون باولادهم إلى الإله موركومور Molchomor و اشارت النصوص إلى هذا النوع من الأضحية في قرطاجة إلى الإله بعل حامون [5 3]. و لازم القرطاجيون هذه العبادة الشريرة حتى 146 ق.م.

كما أكدت الإكتشافات الأثرية من خلال وجود بقايا عظمية للأطفال و النقشية عن هذا التقاليد، كما أشارت نصوص بونيقية إلى تضحية الأطفال من أجل ملك Molk و الخاص بعبادة بعل تانيت. كما أكدت مسلاتين وجدتا بالحفرة أن النوميد كانوا يمارسون أيضا الأضحيات الأدمية أبرزتها صورة لطفل معوق قدمه أهله كقربان للإله ملك في النصف الثاني من القرن الثاني ق. م. و بهذا نلاحظ أن هذه التقاليد دخلت نوميديا عن طريق قرطاجة و هو تقليد قديم إنتشر عند الكنعانيين و الشعوب السامية الشرقية. و قد وضع فيفري [5 4] توضيحات حول طريقة تقديم الضحية و الإحتفال بملك. نلاحظ أن تضحية الأطفال قد إستبدلت بحيوانات و هذا في كل من قرطاجة و سوسا منذ نهاية القرن الأول ق.م و في دوجا منذ القرن الثاني ق.م. و كما لوحظ ذلك أيضا في St Leu بالغرب النوميدي. حيث يستنبدل الطفل عند تقديمه للمحرقة بحيوان.

و قد ذكرت نصوص المسلات التي عثر عليها في نقاوس إلى وجود كلمة Molchomor و هي ترجمة لاتينية لعبادة بونيقية وجدت بقرطاجة و كرتا [5 5] تحت شكل ملك مر Mlk Mr و قد ترجمت إلى «الوعد بخروف» و هي ترجمة غير مقبولة حاليا حيث أكد البعض أن كلمة مولك Molk تعني التضحية الحقيقية الدامية. و بعد أن عثر مؤخرا إلى عبارات أخرى جاءت لتعطي توضيحات أدق حول معنى «ملك». إذ وجدت العبارة: ملك مر، عثر عليها في الحفرة و بجزيرة مالطة و هي قريبة الشبه من العبارة: ملك دم Mlk Dm و التي تعني على ضوء ملاحظة القديس أوغسطينوس و التضحية الدامية أو ملك بسر Mlk Bs'r و التي تعني «لتضحية التي عوضت الطفل» [5 6]. و نستنتج من الدراسات الأخيرة أن الكتابة البونيقية ملك مر ترادف الترجمة اللاتينية مولكومور أو موكومور Mochomor Molchomor. أما الهدف من تقديم الضحايا إلى ملكومور فهو من أجل إسترجاع صحة الجسم. و نلاحظ أن نوميديا عرفت تاليه الأشخاص و خاصة منها الخيرة و التي شيدوا لها أضرحة و معابد في كل أنحاء نوميديا.

ثانيا : التقاليد الجنائزية :

وجدت منتشرة عبر كل شمال أفريقيا مقابر و أضرحة و مرتفعات من الحجارة، و تلال و دوائر من الحجارة و كهوف محفورة على الصخور الساحلية و تحمل هذه المقابر الأسماء التالية :

أ- أنواع المقابر :

- التلة Tumuli :

إنتشر هذا النوع نم المقابر بالجزائر الوسطى و الشرقية و عرف بإسم بازينا و هو إسم بربري يعني هضبة أو تل، أما في الجنوب الجزائري فاطلق عليه الإسم العربي «رجم» و هو عبارة عن ركام من الحجارة كما أطلق عليه إسم كركور. فهي مشيدة عادة على شكل رسم دائري أو بيضاوي أو مربع أو هرمي أو مخروطي، فالمقابر التي لها شكلا دائريا يتراوح قطرها ما بين ستة أمتار و خمسة أمتار و في بعض الأحيان يفوق قطرها عشرين مترا [57]. و أن هذه التلال تحتوي عادة على عدة قبور و يوضع الجثة مباشرة على الأرض. أما فيما يتعلق بوضع الجثة فهي مقرفصة خاصة بالصحراء، و هذا النوع من المقابر الليبية الأصل شيدوها أينما وجدوا حيث وجدت بكثرة في جزر الكناري.

- المصاطب Dolmens:

إستعمل النوميد لتشييدها حجارة عريضة و طويلة. و الخانة التي تشكل الدوملن هي عبارة عن صندوق مغلق و متين و هي إما مربعة الشكل أو بيضاوية الشكل أو على شكل مربع منحرف. و المقاييس العادية تتراوح بين 1,20 م أو 1,50 م طولا و مترا واحدا عرضا، 0,80م،

أو 1,20 م عمقا. و هذا النوع من المقابر منتشر في المنطقة الساحلية من شمال غرب المغرب حتى الساحل الشرقي التونسي و توفر خاصة في ولاية قسنطينة و غرب و وسط تونس و أقيمت هذه المقابر بجوار المدن و القرى النوميدية.

- المقابر الطاقية Chouchets :

تحمل إسم شوشات، و تعني الطاقية و سميت كذلك نسبة إلى شكلها البرجي، و هي عبارة عن أسطوانة قطرها حوالي خمسة أمتار، و عمقها 2,50 م وجدت داخل الشواشات خانة أو أكثر لوضع الجثة داخلها، و قد إنتشر هذا النوع من المقابر في ولاية قسنطينة و خاصة بشمال الحضنة و الأوراس. كما إنتشر أيضا بالصحراء، و يرجع تاريخها إلى ما قبل القرن الثالث ق.م.

- الحوانيت Hanout:

و هي عبارة عن قبور على الصخور الساحلية المطلة على البحر و قد أطلق عليها السكان إسم «حوانيت» و مفردها «حانوت» و تعني «دكان» و إنتشر إستعمالها خاصة في شمال تونس و بالشرق الجزائري. و هو نوع إنتشر في كل عالم البحر الأبيض المتوسط و ترجع أقدميتها إلى العصر الحجري الحديث، و شيد أحيانا أمام «الحانوت» المقابر التي تحمل إسم الدولمين. و قد تم دفن الجثث داخلها على شكل هيئة مقرفصة و هو تقليد قديم أفريقي لم يكن للفنيقيين دخل في نشره و من المحتمل أنه يرجع إلى الألف الثاني ق.م.

ب- طريقة الدفن :

أن هيئة وضع الموتى تدل على عادات و طقوس جنائزية قديمة و مختلفة. و في غالبية الأحيان وجدت على شكل مقرفص و هي عادة ترجع إلى العهد الحجري الأعلى لوحظت هذه الطريقة في مقابر الدوملين و الشواشات و التلال. و هذه الأجسام المقرفصة عادة ما توجه إلى الناحية اليمنى أو اليسرى أو على الرأس غير أن الطريقة الغالبة هي المحنية و تعود إلى القرن الأول ق. م. أما طريقة وضع الجثث الممدودة على طولها فقد عثر عليها في دوملين مع نقود بونيقية و نوميدية خاصة بدوجا و سيجوس و ترجع عادة إلى ما بين القرنين الرابع و الثاني ق. م.

كما نلاحظ أيضا أنهم إستخدموا طريقة حرق الجثث و قد لوحظ هذا التقليد خاصة في معبد الخروب و معبد المادغاسن.

و نلاحظ في جنوب تونس و بدوملين بالمغرب الأقصى أنه وضع على العظام طبقة من التراب قد مزجت باكسيد الحديد أعطت للعظام لونا أحمرا و ترجع المقابر التي إستعملت هذه الطقوس الجنائزية إلى القرنين الثالث و الثاني ق. م. غير أن هذه الطقوس قديمة و ترجع إلى العصر الحجري الأعلى حيث لوحظ على بعض الجماجم المنتمية إلى هذا العصر أنها مصبوغة بلون أحمر.

فقد عثر في هذه المقابر على أثاث و أواني فخارية و أدوات للزينة من حجارة منقوشة و عقد من بيض النعام و خواتم و أسورة و خلاخل من معدن الحديد أو النحاس و البرونز و نادرا أن تكون من الفضة. أما الأسلحة فهي قليلة و تمثل عادة أدوات عمل مثل المنجل و الخنجر، كما عثر على نقود في بعض القبور إلى جانب وجود بعض بقايا عظمية حيوانية أو لبعض الطيور.

نستطيع أن نقول من خلال دراسة الحياة الدينية المتمثلة في المعبودات و الطقوس الجنائزية و المقابر الذي من خلاله يمكننا إستنتاج بعض التقاليد الإجتماعية و الإقتصادية المتمثلة في تبادل بين الصحراء و عالم البحر الأبيض المتوسط و الشرق الأقصى.

ثالثا : الفن المعماري :

أ- الفن المعماري المدني :

الإستقرار السياسي الذي ساد في عهد ماسينيسان و حكمه الطويل، و الإزدهار الإقتصادي و التطور التجاري الداخلي و الخارجي الذي نتج عن سياسة الإستقرار، أدى إلى إنطلاق حضاري و مدني سريع المدى و قد إزدهر فيه الفن المعماري.

لم يبقى شيء من القصر الذي أقام فيه سيفاكس و ماسينيسان و خلفائه، في كرتا [58] و حتى عن المباني و القصور التي شيدها ميكواسن [59]، و من خلال بعض الظواهر التاريخية لتلك المنطقة في ذلك العهد، نلاحظ أنها شيدت على نمط الإغريقي البونيقي [60]. فقد عثر بالقرب من المسجد الكبير و في حدائق سيدي مبروك بضواحي مدينة قسنطينة على تاجين عموديين من طراز دوري، و من المحتمل أنها بقايا لبعض المنشآت المعمارية النوميدية.

رسمت على الوجه الثاني لنقود من الفضة نسبت إلى يوبا الأول واجهة لمعبد رأى فيه مازار [61] شبه القرابة من معبد إغريقي روماني

كلاسيكي. و نلاحظ أنه إبتداءا من يوبا الأول بدء يظهر نوع جديد من الفن المتاثر بالفن الروماني في كافة المجالات الفنية، و هذا مع بداية الإستيطان الروماني. كما نلاحظ في نقود من البرونز نسبت لنفس الملك رأى فيه مازار رسم لقصر بكرتا أو زاماو هي عاصمة يوبا الأول. تعتبر هذه العملة وثيقة نادرة تؤكد لنا أن الفن المعماري النوميدي الذي تبنوه في القرون الأخيرة لقبل الميلاد يرتبط في خصائصه الهامة بالفن المعماري الإغريقي الروماني [62].

عثر في الرأس الصالح على رسم منحوت على جدارة أحد القبور البونيقية المؤرخة في القرن الرابع ق.م، و يمثل قرية بونيقية و تعود أهمية هذا الرسم في كونه يفتح لنا مجالا لدراسة الفن المعماري المدني البونيقي الذي تاثر به الفن المعماري النوميدي.

و يبدو من خلال الرسم أن المنازل لها أسطح [63]. و قد رأى فيها البعض نوع من قباب تعلوا المنازل [64]، كما كانت المنازل لها شكل مربعات مرسومة على خط مقوس و مبنية فوق تل أو ربوه. أننا لم نتمكن من الحصول على وثائق تثبت لنا الشكل الداخلي للمنازل. أما مادة البناء فهي من الحجارة كما هو الحال فيما يتعلق بالعمارة الجنائزية.

ب- الفن المعماري الجنائزي :

أبرز علم الآثار إلى وجود بقايا أثرية ترجع إلى الفن المعماري الجنائزي. و تعود هذه المعابد التي جسدت هذا النوع من الفن المعماري إلى القرن الثالث و الثاني ق.م، و قد قامت مجموعة من علماء الآثار الألمان لدراسة و إعادة تصميم هذه المعابد و مقارنتها بالفن المعماري الجنائزي السائد في تلك الفترة في العالم القديم خاصة مع معبد ورشليم و أجريجانت، و من أهم هذه المعابد نذكر:

صومعة الخروب Soumaa Du Kroub :

هي التسمية التي أطلقها السكان على المعبد و تعني « البرج»، و قد أطلق عليه الفرنسيين بخطا إسم قبر قسنطين Constantin و يقع هذا المعبد على هضبة على بعد ثلاثة كيلومترات شمال شرق قرية الخروب بضواحي قسنطينة، و ينتمي معبد الخروب إلى نوع المعابد ذات الأدوار و الذي إعتاد تشييده منذ القرن الرابع ق. م في كل من آسيا الصغرى و سوريا و صقلية و غاليا، و لا ينتمي إلى العهد الروماني، و أن التجان الدورية هي من نوع إغريقي بحت. كما نلاحظ تاثير مصري إسكندري خاصة في إستخدام « العنق» [65] و هو نوع إستخدمه الفنيقيون.

و نرى من خلال دراسة خصائص هذا المعبد إمتزاج بونيقي و إغريقي صقلي حيث من المعروف أن إغريق صقلية إستخدموا الفن الدوري. و أن دراسة هذا المعبد لها أهمية تاريخية بالنسبة لشمال أفريقية، حيث نلاحظ أنه شيد من طرف معماريين متاثرين بالفن القرطاجي و من الجدير بالذكر أن الحضارة الهلينستية قد دخلت مباشرة إلى كرتا حث وجدت كما هو مذكور سابقا في عهد ميكبسة جالية إغريقية أقامت بكرتا منذ النصف الثاني من القرن الثاني ق. م [66]، و من الملاحظ أيضا أن القرطاجيين لم يستخدموا الشكل الدوري Dorique. و بهذا نستنتج أن النوميد قد إستفادوا من الحضارتين من الناحية الفنية.

معبد دوجا Mausolée de Dougga :

يقع هذا المعبد على بعد 300 م من موقع هذه المدينة النوميدية، و هو مثل صومعة الخروب من نوع المعابد ذات الأدوار، مزين من الزوايا الأربعة باربعة أعمدة و ينتهي في الأعلى بحلزونيتين، و هو النوع المعروف بالتاج الأيولي.

يعتمد الدور الثاني على ثلاث مدرجات و كل واجهة يزينها عمودين و قد وجد بالمجموعة الواحدة إثنتا عشر عمودا. يظهر هذا الدور على الواجهة الشمالية و الشرقية يظهر بابا مسدودا بنفس طريقة نوافذ الدور الأول، و قد إلتصقت المدرجات الثلاثة في الزوايا بالقواعد التي تحمل تماثيل فرسان. و فوق هذه المدرجات شيد الدور الثالث، و يبدو ضيق. و في الجزء الأسفل لهذه الواجهات نلاحظ نقوش مثلت عربات نقل تقودها أربعة خيول. وجدت بالزوايا ركائز التجان الأيولية بالقمة، ثم عنق مصري. يصل طول المعبد إلى 21 م، و هو على شكل هرم له أضلاع مجتمعة و ملتصقة باربعة تماثيل لنساء مجنحة يمسكن باليد اليسرى كورة، و في القمة وضع أسد على شكل مقرفص. لم يعثر على غرف دفن، و داخل المعبد وجد حجارتين لها نفس الطول كتب على الأولى نص بالكتابة الليبية و على الأخرى نص بالكتابة البونيقية.

المادغاسن Medracen :

يقع بمنطقة باتنة على بعد تسعة كيلومترات جنوب شرق قرية عين الياقوت و هو مخروطي الشكل و له مدرجات قائمة على قاعدة أسطوانية و مزين بستين عامود على الطراز الدوري يحمل أفريز في جانبه يمثل العنق المصري، و طول المعبد 18,35 م و قطر القاعدة 58,86 م في وسط المعبد وجدت غرفة الدفن، و من المحتمل أن هذا المعبد كان الماوى الأخير لأحد الأمراء النوميد، و يشبه نوع القبور النوميدية السائدة في ذلك العصر مثل النومولوش الجدار و البازينا و الكروملبخ. نلاحظ من خلال المخلفات الأثرية المتمثلة في الحجارة المحيطة بالمعبد أن له طابعا نوميديا و يظهر فيه تاثير بونيقي إغريقي خاصة في العود ذات

الطابع الإغريقي و الإفريز الفينيقي. أرجع بعض المؤرخين إسم مادغاسن الذي حمله هذا المعبد إلى جد البربر، و قد أطلق عليه البكرى إسم قصر مادغسن، و قد سكن أحفاد مادغيس منطقة الأوراس و هي المنطقة الجبلية المحيطة بالمعبد، و تحمل حتى الآن القبيلة التي تسكن منطقة المعبد إسم «حراكته مادغيس»، و قد أطلق الرومان على البحيرة المجاورة له إسم «بحيرة الملوك» Lacus Regius و أن الأمير الذي شيد هذا المعبد يحتمل أن يكون زعيم قوي أو رئيس قبيلة [6 7].

المعبد الملكي الموريتاني

يقع هذا المعبد بين الجزائر العاصمة و مدينة شرشال و مرتفعات الساحل و عرف بإسم « قبور الرومية» و يقع على مرتفع يصل طوله إلى 261 م فوق سطح البحر وقد وصف كما يلي : « له شكل أسطواني ذو صفائح يعلوه مخروط مدرج، و يزدان في دائرته بستين عمودا محلاه بتيجان بونيقية، تحمل أفريزا. و قد وضع هذا كله على قاعدة مربعة، و مسافة كل جهة من جهاتها 63,40 م و هذه القاعدة مبلطة. و المبنى موضوع على سلسلة من الدرج المبنية بالصخور. مقدار دائرته يصل إلى 185,50 م، و قطر دائرته 60,90 م، و علوه 32,40 م، أما المخروط فيتالف من 33 درجة، علو كل منها 0,58 م و ينتهي أعلاه بسطح.

و يمتاز القبر باربعة صفائح من الحجر على شكل منحرف، و بهي أربعة أبواب وهمية مقابلة للجهات الأربع علوها 6,90 م و يحيط بها إطار ذو نقوش بارزة يتراءى منها رسم شبيه بالصليب، و لكن هذا المبنى لا يمت باي صلة للمسيحية».

و عند إجتياز باب القبر يوجد باب مبلط، أما الدهليز فهو وطئ جدا و يقع تحت مستوى الأرض، و قد نقش على الحائط الأيمن، على الحجر باعلى الباب « دهليز ثان» وصورة أسد، و لبوة، و هذا النقش، الذي يصعب تاويله هو الزخرفة الوحيدة التي وجدت بالقبر، و يلي الدهليز الثاني رواق مستدير، يتوصل إليه بممر له سبع درجات و يبلغ طول هذا الرواق المقبب 141 م. و عرضه مترين، و علوه 2,40 م [68].

أما حول تاريخ هذا المعبد فاقدم نص كتب عن هذا المبنى هو للمؤلف اللاتيني بمبونيوس ميلا [69]. و الرأي السائد الذي يميل إليه الغالبية هو إرجاع بناء قبر الرومية إلى الملك يوبا الثاني و زوجته كليوباترا سيليني "القمر" بنت كليوباترا الشهيرة ملكة مصر.

و قد إتفق المؤرخون على إعتبار يوبا الثاني ملكا مثقفا ذات تذوق للفنون. و جلب إلى عاصمته شرشال تحف فنية إقتناها من بلاد اليونان، و يرجع الفضل في تملكه على عرش موريتانيا إلى الإمبراطور أغسطس. لكن إختلف العلماء في هذا الرأي و قد أرجع البعض منهم بنائه إلى ما قبل هذا الملك بكثير.

و هذا النوع من القبور يشبه لحد ما القبور الأفريقية العديدة المذكورة سالفة و التي تتكون ن أكداس حجارة و في وسطها غرفة لا يتعدى حجمها حجم التابوت على طريقة قبر مادغاس بمنطقة باتنة و أن كان يظهر مختلفا عنه من حيث الشكل و الزخرفة الخارجية و الهيكل الداخلي فإن هذا النوع من الأضرحة يرجع إلى أصول هندسية خاصة بشمال أفريقيا، إلا أننا نلاحظ في قبر الرومية نوعا من التفنن في الهندسة و النقش و الزخرفة يشهد على تاثيرات خارجية يونانية للفترة السابقة عن الحروب الميدية و المعروفة بالهندسة الكلاسيكية التي إحتفظت بها قرطاجة.

أما عن أصول الأعمدة التي بها نقشان مستديران فتسمى " أصولا أتيكية" و هي منتشرة في رسومات المسلات الفينيقية للقرنين الثالث و الثاني ق. م، و بهذا نستنتج أن الزخرفة الخارجية تنفى إنتساب القبر إلى يوبا الثاني. و يرى الأبعض أنه يرجع إلى الملك بوكوس الذي عاصر يوليوس قيصر و كانت عاصمته أيول (شرشال) أو أنه كان قبرا لبوكوس القديم الذي حكم حوالي 105 ق. م. و الموضوع لا يزال مطروحا للدراسة حتى الآن.

و قد لاحظ البعض أن هذا النوع من الأضرحة [70] هو من طراز محلي " مغطى بقميص يوناني" و المقصود بهذه العبارة الأفارقة هم الذين شيدوا هذه المعابد، مع إضافة عناصر زخرفية مستوردة من العالم اليوناني، و بهذا نقول أن النوميد كانوا على علم بالفن الزخرفي المنتشر آنذاك في حوض البحر الأبيض المتوسط، و هذا العنصر الفني له جانب كبير من الأهمية لأنه يدل على وجود مجتمع أفريقي متطور و متفتح للتاثيرات الخارجية، و قد برع المهندسون المعماريون و الصناع الذين عاشوا في عهد الممالك النوميدية، في خلق إنسجام بين الأساليب المحلية و العناصر الخارجية و إعتبرت هذه المنجزات المعمارية، دليلا قاطعا و حيا لوجود مجتمع متطور، قادر بفضل إتصالاته بالحضارة الفينيقية و الإغريقية على إبداع فني أصيل.

رابعا : الكتابة النوميدية :

إلى جانب الكتابات التي أدخلتها الجاليات الأجنبية الإغريقية و الإيطالية و البونيقية توفرت نقوش ليبية في كل شمال أفريقيا و بالصحراء [71] من شبه جزيرة سيناء [72] عبر مصر السفلى و قوريني و طرابلسن حتى أرخابيل الكناري بالمحيط الأطلنطيكي و بجنوب غرب أفريقيا و بارخابيل الرأس الأخضر في نهر السنغال [73]، و يدل هذا الإنتشار على الوحدة اللغوية بشمال أفريقيا قبل مجيء الفينيقيين و خارج عن نطاق التاثيرات الأجنبية.

و أول مبادرة لتسجيل الأفكار بشمال أفريقيا عرفت منذ العصر الحجري القديم الأعلى حيث إزدادات قدرات ألإنسان النوميدي الفكرية في التعبير عن أفكاره في بعض مظاهر النحت و التي تعتبر مرحلة أساسية في تطوير تعبير الإنسان في المراحل الحضارية إلى أن وصل إلى مرحلة التعبير بالكتابة و بداية العصر التاريخي [74].

قد عرف النوميد بوادر حضارية قبل مجيء الفينيقيين بكثير و إعتبر النظام الكتابي أداة تحضر نشا خارج عن أي تاثير فنيقي، رأى البعض أن أصل الكتابة الليبية غامض و هو إنشقاق قديم من الأبجدية الفينيقية [75]. غير أنه من خلال دراسة الأبجديتين و مقارنتهما ببعضهما البعض ، نلاحظ أن الأبجدية الليبية لها خضائصها القائمة بذاتها و حتى شكل الحروف بعيد كل البعد عن الحروف البونيقية. فالكتابة البونيقية قد خططت من أجل أغراض تجارية و تمتاز الحروف بالشكل المقوس و الحلزوني أما الحروف الليبية فهي مستقيمة أو مقرنة أو هي عبارة عن أشكال هندسية بدائية، و قد لاحظ فيفري أن هذه الكتابة لم تستخدم على ما يبدو، إلا لنقش نصوص على الحجارة أو على المواد الصلبة [76].

و يمكن إيجاد بعض أوجه التشابه بين الكتابة الليبية و كتابة جنوب الجزيرة العربية.

أ- طريقة الكتابة الليبية :

أما حول طريقة كتابة النصوص الليبية فهي تكتب أما أفقية من اليمين إلى الشمال مثل ما جاء في كتابة دوجا أو عاموديا من الأعلى إلى الأسفل و هو أقدم نظام كتابي عرفه الليبيون و أعتبر النظام الأول الذي ظهر بدوجا كتقليد للبونيقية.

فمثل الكتابات السامية القديمة لا تعرف الحروف الصوتية، و تحتوي على 23 حرف[77] بعكس الأبجدية الصحراوية المتعامل بها حتى الآن عند قبائل التوارق بإسم الكتابة التيفيناغ وتحتوي هذه الأخيرة على أكثر من أربعين حرف و رمز و هي إستمرارية و تطور للكتابة الليبية و تعني كلمة تيفيناغ في الأدب التوارقي : «الرموز» و تحتوي على رموز هندسية بسيطة من بينها ثلاثة حروف صوتية : الألف (أ) و يكتب دائما في آخر الكلمة إلى جانب هذه الحروف، 24 رمز يضاف إليهم رموز مزدوجة مثل جمع الباء (بب)، و الباء و التاء (بت)، و التاء و النون (تن) و اللام و التاء (لت) إلى غير ذلك كما هو مذكور في الجدول و هي كتابة قديمة الأصل بقيت بدائية و لم تتطور.

و قد عرف كل سكان شمال أفريقيا الكتابة الليبية حيث إنتشر إستعمالها في عهد الملوك النوميد في ماسيليا و مازاسيليا و المور و الجدالة.

و يبدو أن الكتابة الليبية أو النوميدية قد إستخدمت خاصة في الريف المحافظ، حيث نلاحظ كما هو مذكور سابقا أنه لم يعثر حتى الآن عن كتابات ليبية بالمدن بإستثناء مدينة دوجا و كرتا و في هذه الأخيرة إحتلت الفقرة الليبية المرتبة الثانية، و ساد القول أن البربر لم يخترعوا شيئا أو أنهم قلدوا ما جائهم من الخارج حيث يرى بعض المؤرخين أن الأبجدية الليبية أصلها من المشرق. و يعتمد دعاة هذه النظرية على خصائص الحروف الصامتة التي ميزت الأبجدية الليبية و أبجدية جنوب الجزيرة العربية و شمالها. و أن الأبجدية الوحيدة من أصل شرقي التي عرفها الليبيون بحكم الجوار هي البونيقية و التي كما رأينا تختلف عن الكتابة الليبية و رأى بعض آخر أن الكتابة الليبية مرتبطة بالكتابة البونيقية الجديدة و هو رأي خاطئ، لأن الكتابة الليبية النادرة و المؤرخة هي عبارة عن تكريم لمعبد ماسينيسان بدوجا و كتب هذا الإهداء عام 139 ق. م في عهد لم تكن فيه الكتابة البونيقية الجديدة قد ظهرت للوجود [78]، و يرى كامبس [79] مرة ثانية أنه حول هذه الكتابة المرسومة أفقيا أنها أحدث الكتابات الليبية، و أن أقدم كتابة ليبية هي المرسومة عموديا، و قد أظهرت منذ عام 139 ق. م تطورا ملموسا بحكم التاثير البونيقي عليها، و لو وجد إقتباس عن الكتابة الفينيقية فهو قديم جدا و ينحصر في تقليد الرموز الصامتة. كما يرى البعض أيضا أن الكتابة الليبية هي من إختراع ماسينيسان و يرى فيفري [80] أنه إخترعها منذ القرن الثالث أو بداية الثاني بعد إقتباسها من الكتابة البونيقية و تطوير كتابة قديمة محلية. لكن هناك ظواهر أخرى سادت في عصر ماسينيسان تتركنا ننفي هذا الرأي لأن هذا الأجليد النوميدي رغم قوة شخصية و تفطنه لأصالة الشعب النوميدي قد أهمل عناصر الحضارة النوميدية في صالح الحضارة البونيقية و تبلورت هذه الظواهر في إستعمال اللغة و الكتابة و أصبحتا

هي اللغة و الكتابة الرسمية السائدة في المملكة و خاصة في المدن. و نلاحظ أن كل المسكوكات المنسوبة إلى الملوك النوميد لا تحمل حرف بالليبية و حتى الكتابة المزدوجة الليبية البونيقية لدوجا أعطت للنص الليبي المرتبة الثانية، و أن النص الوحيد بالليبية الذي عثر عليه في كرتا يحتوي على ثلاثة حروف ليبية.

و نلاحظ حسب توزيع الكتابات الليبية بشمال أفريقيا أن الشعوب الريفية هي التي إستخدمت الكتابة الليبية [81].

ب- أصل الكتابة الليبية :

حول عناصر تكوين الكتابة الليبية نجد أن الرموز التي تكون الكتابة تنبع من أصول الفن الهندسي البربري القديم و المستخدم في زخرفة الفخار و الوشم و بعض المنسوجات [82] و قد لوحظ إستخدام الصليب، و النقاط و الدوائر و مجموعة الخطوط مصحوبة برسم بعض الحيوانات في بعض الرسومات الجدارية ذات التقليد النيوليتيي (العصر الحجري الحديث) [83]. قارن سولينياك [84] بعض نقوش "كاف الخراز" بالكتابة الصومالية [85]، و يجب الرجوع إلى هذه المنطقة للبحث عن أصل الكتابة الليبية التي تمثل بدورها بعض أوجه التشابه مع الكتابة الحميارية [86]، و من المعروف أن اللغة البربرية ترتبط ببعض الفروع الحامية التي هي قريبة من الفروع السامية، و يجب أيضا الرجوع إلى هذه المناطق جنوب الجزيرة العربية و القرن الأفريقي للبحث عن أصل جزء من سكان شمال أفريقيا و ليس كل السكان [87].

من جهة أخرى نلاحظ أن سكان جزر الكناري قد إستخدموا رموز كتابية لها شبه قرابة بالرموز الليبية كما نلاحظ أيضا أن أبجدية جنوب

غرب أسبانيا و التي يرجع وجودها إلى ما قبل 200 ق.م [88] لها بعض أوجه الشبه بالأبجدية الليبية.

جاءت إكتشافات جديدة بالمغرب الأقصى في الأطلس الأعلى، تمثلت في وجود أقدم كتابة ليبية، و هي عبارة عن رموز كتابية وضعت عمودية على بقايا عظيمة آدمية مرسومة على صخور الأوركيمادن، و يرجع هذا الرسم من خلال شكله إلى مجموعة الرسومات الجدارية للأطلس الأعلى و المنسوبة إلى عصر البرونز[89]، يرى كامبس أن العلاقات القديمة بين المغرب الغربي و شبه جزيرة ايبيريا، قد ساهمت في تطوين الكتابات الليبية و الكنارية و جنوب غرب أسبانيا [90]. غير أنه يمكننا الرد على ما جاء به كامبس أن الكتابة الليبية هي التي ساهمت في تكوين الكتابات الكنارية و جنوب غرب أسبانيا، هذا و من المعروف أن جزر الكناري كانت بمثابة ملجا وجد باقصى الغرب و لجات إليه الشعوب الليبية القديمة تحت التاثيرات الخارجية و الموجات البشرية الآتية من الشرق منذ العهد الحجري القديم الأعلى. لكن في نفس الوقت، يناقض كامبس نفسه بنفسه، إذ يقول "لم تنتقل نقلا عبوديا عن النماذج البونيقية و ليست من إختراع ملكا فإن الكتابة الليبية تبدو محلية".

في بداية تاسييس الممالك النوميدية كانت للشعوب البربرية بعض العناصر الحضارية المحلية النابعة من علاقات عبر السهوب و التي لم تكن قاسية آنذاك، و عبر المنافذ البحرية و التي عبرتها البواخر، و بعد تحررها من المراقبة القرطاجية و قبل أن تخضع للنفوذ الروماني فإنه كان لنوميديا بعض الفرص لتطوير جذور حضارية أصيلة أفريقية غير أن ماسينيسان رغم وعيه بضعفه، ضمن تفوق الحضارة التي ظنها أحسن لأنها أجنبية.

1 د. رشيد الناظوري، تاريخ المغرب الكبير- المرجع السابق، ص 206.

2 Arnobe, I, 39.

3 Apulée de Madaure, Flor., 1.

4 M. Leglay, Saturne l'Africain. P. 279.

5 St. Gsell, H.A.A.N, Op. Cit., T.IV, P. 374.

6 G. Ch. Picard, La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal, P. 11.

7 G. Ch. Picard, Images de Chars Romains sur les Roches du Sahara, C.R. A. I. B.I. 1958. P. 11.

8 Athanase, Contre Gentes, 24.

9 G. Mercier, Les divinités Libyques, R.S.A.C., T. 34, 1900, P. 184.

10 J. G. Fevrier, A propos de Baaladdir, Semitica, T.II, P. 21- 28.

11 St. Gsell, H.A.A.N, T.IV, P. 316- 322- 324.

12 M. Leglay, Saturne l'Africain, Op. Cit ., P. 425. Note N°. 5.

13 M. Leglay, Loc. Cit.

14 M. Leglay, Saturne l'Africain, Op. Cit ., P. 425.

15 G. Germain, le Culte du Belier en Afrique du Nord Hesperis, 1948, P. 93- 124.

16 St. Gsell, H.A.A.N, Op. Cit, T.I, P. 251- 252.

17 Loc. Cit.

18 Ibid, T. VI, P. 126- 128.

19 R. Cornevin, Histoire de l'Afrique du Nord, des Origines au XVI, Siècle, Paris Payot, 1964, T. I, P.40.

20 G. Germain, le Culte du Belier en Afrique du Nord Hesperis, P. 93- 124.

21 M. Leglay, Op. Cit., P. 432.

22 A. Berthier et R. Charlier, Le sanctuaire punique d'El Hofra, Op. Cit., Passim.

23 M. Leglay, Saturne, Op. Cit., P. 440.

24 Loc. Cit.

25 M. Leglay, Ibid., P. 443, N°. 6.

26 P. Cintas, Karthago, II, 1951, P. 53, Fig. 20.

27 P. Cintas, Revue Africaine, 1947, P. 14, Fig., 48- 49.

28 A. Berthier et R. Charlier, Op. Cit.., Pi. II, A- B.

29 Charrier, Description des Monnaies de Numidie et de Maurétanie, Op. Cit., P. 17. - J. Mazard, C.N.N. M, Op. Cit., P. 51, Fig., 90, Pp. 51- 92.

30 Corippus, Johannide, II, 110- 111.

31 هو الثور المقدس الذي يجسد مفتاح Path، كرم في منفيس Menphis على شكل ثور أبيض مبقع بالأسود، يرمز إلى الحصوبة و الإنبعاث. يربط في بعض الأحيان بازيريس Osiris.

32 J. Berard, les Hyksos et la Légende d'Io, Syria, T. XXIX, 1952, Pp. 22-23.

33 G. Ch. Picard, Images de Chars romains sur les rochers du Sahara, CRAIBL, 1958, P. 14.

34 Herodotus, Hist., IV, 175.

35 هي سيدة أثينة و إحدى المعبودات الإثنة عشر في الأولامب (Olympe) و هي إبنة زوس (Zeus)، وصفها هوميروس Homère كمحاربة قاسية- كما لديها صفات أخرى كتعليم النساء النسيج و هي التي إخترعت المزمار. أفخم معابدها هو البارتنون باثينة Parthénon حيث كانت تكرم كعذراء عطيفة و حكيمة و تجسد العقل ؛ هي إلهة الفنون من أصل أتروسكس، ترأس الفنون و الذكاء.شبهت في بعض الأحيان بإلهة أثينة (Athéna)- يحتفل بها مرتين في السنة و إحدى الحفلتين تقام في شهؤ جوان (Juin).

36 Scyllax, Périple in Geog., Grae., Min ., C. Muller., P. 110, I., P. 88.

37 Herodotus, Hist., IV, Cl. XXX.

38 هو إله أعماق البحار و يقدم عادة على متن عربة من الذهب تسير فوق الأمواج حاملا مذراة ثلاثية (Trident)- يثير غضبه العواطف و الفيضانات و مد البحر العال المفاجيء هو الذي وهب الإنسان بالحصان. خاصية بوزيدون هي الثور و الحصان و الدولفين.

39 Hesianax, C. Muller, Geogr., Greac., Min ., III, P. 70- 71, N°.11.

40 نابتون Neptune هو إله لاتيني يوناني يعادل بيزيدون (Poseidon) من أصل أتروسكي- لإسمه علاقة بالنار فوق الماء- هو سيد المياه في روما- يحتفل به بحاره نهر التيبر (Tibre).

41 هرقل (Hercule) هو إله يوناني لاتيني و هو الإسم الروماني لهيرقلس (Heracles) و هو بطل الأعمال الإثنة عشر ، يحتفل به في منقلب الصيف (Solstice d'été) أي 21 جوان- له خصائص سماوية- و أعماله الإثنة عشر لها علاقة بفلك البروج.

42 ملكات Melqart أو Melkarth هو إله صور الفنيقي و إله قرطاجة. و إسمه يعني « ملك المدينة» كان في الأصل إله النباتات و ادمج فيما بعد بهرقلاس (Heracles) و بعل (Baal)- يحتفل به في الربيع حيث تقام المراسيم حول محرقة يقدم فيها الأضاحي الآدمية، و ينبعث من المحرقة نسر، يرمز إلى الإستئناف الأزلي.

43 فينوس (Venus) هو إله يوناني لاتينية و تعادل أفروديت (Aphrodite) إلهة الحب- تكرس لها بعض الحيوانات مثل ، الحمامة، العصفور الدوري، الحجل السنتونوة، الدجاج، الأرنب البري، الكبش، التيس و أيضا نبات الريحان.

St. Gsell, H.A.A.N ., Op. Cit., T. VI, P. 157, N°. 5.

44 عشترت Ashtart أو Astarte أو Ishtar هي إلهة كنعانية تعادل أشتار Ishtar لبلاد الرفيدين و أيضا أفروديت Aphrodite و هي إلهة الخصوبة و سيدة الحيوانات- لها صيفات حربية- معبدها الرئيسي يوجد في أوجاريت (Ugarit).

Ibid ., T.IV, P. 402.

45 ديميتر (Demeter) هي إلهة يونانية- لاتينية تعادل كريس (Cérès) و هي نموذج للإلهة الأم- لها خصائص زراعية.

46 كوري Kore .Core أو Persephone هي إلهة الأرض و الزراعة و إبنة دميتير و إسمها يعني الشابة. Ibid ., T.IV ., P. 346.

47 سيريس أوكيريس Cérès يعادل ديميتير هي إلهة يونانية- لاتينية. تبرز لها الرسومات متوجة بإكليل مسنن يحتفل بها ثلاث مرات في العام كإلهة للزراعة و المحاصيل الحيوانات التي ترمز لها هي : أنثى الخنزير، الكبش، الغرنيق، الترغلة.

J. Carcopino, Le culte des Cérès et les Numides, Revue Hist., T.CLIX, 1928. P. 21- 22. Carcopino, Aspects mystiques de la Rome païenne, Pp. .13- 47

48 .Audollent, Cérès, Mélanges Gagnat, Paris, 1912, Pp. 359- 381

A. Berthier, J. Juillet, et Abbo, R. Charlier, le Bell, Jugh., de Salluste .et le problème de Cirta, P. 113

49 .J. Carcopino, les Cérès et les Numides, Op. Cit .,P.21- 22

50 Troussel, Le Trésor monétaire de Tiddis, Op. Cit ., P. 151. - J. .Mazard, Corp. Num., Numi., Maur.,P

51 .C.I.L ; VIII, 5973

52 H. Slim, et A. Mahjoubi et K. Belkhodja, Hist., de la Tun., L'antiquité, des origines à la conquête romaine, Rome et l'apogée de la .Tunisie antique, Tunis, non daté, P. 88

53 Platon, Minos, 315 E. - Denys d'Halicarnasse, I, 38. - Diodorus Siculus, XII, 86, 3, XX, 14, 4- 6. - Silius Italicus, Punica, IV, V, 765. - .Plutarque, De Superstitione, 13

54 J. G. Fevrier, Sacrifice d'Enfant chez les Numides, Annales de l'institut de Philosophie et d'Histoire, T.XIII, 1953, Pp. 161- 171. - M. Leglay, Saturne, Op. Cit., P.325. - J. G. Fevrier, Journal Asiatique, 1960, .184-P. 183

55 J. et P. Alquier, Stèles Votives à Saturne découvertes prés de .N'Gaous, CRAIBL, 1931, P. 21

56 .M. Leglay, Saturne, Op. Cit., P. 335

57 M. Reygasse, Monuments funéraires préislamiques de l'Afrique .du Nord, Arts et Métiers Graphiques, Paris, 1950, P. 207- 209

58 Titius Livius, XXX, 12.

59 Appian, Guerres Puniques, 27, 206. - Strabo, Geo, XVII, 3, 13.

60 St. Gsell, Monuments Antiques de l'Algérie Paris, 1901, T. I, P. 55- 74.

61 J. Mazard, Corp., Num., Numi., Maur ., P. 50. Fig., 84- 85.

62 J. Mazard, Corp., Num., Numi., Maur ., P. 51. Fig. 91.

63 A. Lezine, Résistance à l'hellénisme de l'architecture religieuse de Carthage, Les Cahiers de Tunisie, 26- 27. 1959, P. 261.

64 G. Picard la Vie Quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal, Op. Cit., P. 49.

65 St. Gsell, Monuments antiques de l'Algérie, P. 55- 74.

66 Strabo, XVII, 3, 11.

67 St. Gsell, Monuments antique de l'Algérie, Op. Cit., P. 55- 74.

68 م. بوشناقي، الضريح الملكي الموريتاني تعريب عبد الحميد حاجيات (الجزائر) 1970، ص 5. 11.

69 Pomponius Mêla, De Situs Orbis, I, 38, 6.

70 إلى جانب الأضرحة المذكورة نضيف معبد قبور كليب Kbour Klib الذي يعود إلى ما قبل حملة قيصر على أفريقيا و معبد شمبتو Chemtou

71 G. Marcy, L'Epigraphie berbère, numidique et saharienne, Annales de l'institut d'études Orientales, Faculté de Lettres de l'Université d'Alger, Paris V, T. II, 1936, P. 128.

72 O. Bates, The Eastern Libyans, Op. Cit., Pp. 253. 254.

73 G. Marcy, Ibid., Pp. 128- 129.

غير أن لهوت يرى أن النقوش التي عثر عليها بصحراء سيناء تختلف عن الرموز الليبية و لم يعثر حتى الآن عن نقوش ليبية بوادي لنيل و في مصر العليا. و أقصى حد لإنتشار هذه النقوش شرقا من واحة دخلة

74 ر. الناضوري، المغرب الكبير المرجع السابق، ص 121.

75 G. Camps, Aux origines de la Berbèrie, Massinissa, P. 269.

76 .J. G. Fevrier, Histoire de l'Ecriture, Paris Payot, 1948, P. 319

77 و نلاحظ في هذا تاثير بونيقي.

78 .G. Camps, Massinissa, Op. Cit., P. 269

79 .Loc. Cit

80 St. Gsell, H.A.A. N., T.VI, Pp. 107- 108. - J.G. Fevrier, Histoire de l'Ecriture, Op. Cit ., P. 320. - G. CH. Picard, Le Monde de Carthage, .Op. Cit ., P. 78

81 .G. Camps, Massinissa. Op. Cit., P. 274

82 .O. Bates, The Eastern Libyans, Op. Cit., Pp. 85- 86

83 .St. Gsell, Hist. A.A.N, Op. Cit., T.VI, P. 101

84 Solignac, Les Pierres Ecrites de la Berberie Orientale, Op. Cit., .Pp. 120- 122

85 .Solignac, Loc. Cit

86 P. Carette, Bouvet et H. Neuville, les Pierres Gravées de Siaro .et de Dega Beid (Somalie) l'Anthropologie T.XVII, 1906, Pp. 383- 392

87 .G. Camps, Massinissa, Op. Cit., P. 272

88 .J. G. Fevrier, Histoire de l'Ecriture, Op. Cit ., P. 327

89 J. Malhomme, Corpus des gravures rupestres du Grand Atlas (1ere Partie), Publication du Service des Antiquités du Maroc, Fascicule .13, 1958

90 .G. Camps, Massinissa, Op. Cit., P. 274

الخاتمـة

يتضح من خلال دراسة الحياة السياسة في نوميديا من حكم الملك جايا حتى بداية الإحتلال الروماني ما يلي:

من خلال دراسة هذه المرحلة تعرض القرطاجيين إلى إنتفضات و حروب من طرف النوميد عبروا فيها عن إستيائهم لعمليات التوسع على حساب الأراضي النوميدية و التي بدأ القرطاجييون يطبقونها منذ القرن الخامس ق. م.

و كان لنمو الروح الإستقلالية و نمو حركات المقاومة في الداخل و ظهور بعض القوى الوطنية المتمثلة في شخصية سيفاكس و جايا خطرا يهدد كيان قرطاجة بشمال أفريقيا لذا كانت قرطاجة دائمة التخوف و كانت ترغب بالإرتباط بإحدى القوى الوطنية لعدم ترك الفرصة لتوحيد الجهود ضدها. و تبين ذالك الصراع خاصة بعد وفاة جايا و الذي فتح الباب أمام العديد من الصراعات الداخلية حيث بدأت قرطاجة تشجع مازاتول على

الإيطاحة بكابوسا الشيء الذي لقى إستحسان منها. و فضلت قرطاجة أن يكون إلى جوارها في المنطقة حليفا أقل طموحا و أكثر ملاينة لها مما عليه حال ماسينيسان.

لم يجد القرطاجيون بدا من العمل السافر في مواجهة ماسينيسان فايدوا سيفاكس في أعمال حربية أمكنه من خلالها أن يمد نفوذه على معظم أراضي ماسيليا إضظر لعدد من القهقرات التي طوحت به خارج بلاده مطاردا دون أن يثنيه ذلك عن عزمه الأكيد على العودة.

و قد إستفاد ماسينيسان في هذه الفترة من أمرين ساعدوه على إستعادة ملكه و قهر أعدائه من القرطاجيين و المازسيليين.

أول الأمور هو وصول سكبيو إلى منصب قنصل و رغبته بتجديد حملة على أفريقيا.

و ثاني الأمور هو وصول أسطول روماني إلى خليج سرت لمباشرة منوشات في المنطقة و قد وجد الرومان في شخص ماسينيسان عاملا مساعدا و مسهلا لمهامهم في المنطقة فامدوه بالعون و أمدهم هو بالولاء و تتباعت الأحداث على نحو الذي إلى إنتصار ماسينيسان على القرطاجيين و حليفهم سيفاكس بل و وصل الأمر على الإقاع بسفاكس و إبنه فارمينا.

و كان سيفاكس شخصية ممن يميلون إلى تصريف ألمور بالعقل لا بالسيف و لهذا إتسمت إهم أعماله البارزة بكونها أعمال سياسية لا حربية، و لم يكن في سياسته يتصف بالدهاء بل كان صاحب شخصية غير ملتوية إنعكست على خطوط سياسته بالوضوح و العلني. و يميل إلى الإستقرار الحضاري و السلوك النظري و التنعم و الهدوء أكثر من ميله إلى سلوك الحرب و الدمار..

أما مبعث رغبة ماسينيسان في الإرتباط بروما هو التخلص من قرطاجة. و قد وضع لذلك ثلاث خطط.

الأولى هو إستعمال الأسلوب الدبلوماسي إذ أسند حججه وفقا لمادة القانون الروماني ظهرت لأول مرة و هي حق الممتلكات و أسباب الممتلكات و أن قرطاجة لم يكن لها بافريقيا و قد تمادى في المطالبة بحقوقه في ضم الأراضي الشرعية وفقا لإتفاقية 201 ق.م.

و الخطة الثانية و هو إستخدام الأسلوب الحربي و قد بادر في جس نبض القرطاجيين على المستوى العسكري ذلك بالإقتراب من دفاعاتهم الحصينة في المناطق الإقتصادية و إسترجاعها بالقوة.

أما ثالث الخطط فهو جس نبض الرومان على المستوى السياسي بإختبار حدود نواياهم في تعضيده و موازرته سياسيا و إطلاق يده و آماله في المنطقة خاصة و أنه كان ينوي إحتلال قرطاجة و جعلها عاصمة لإمبراطوريته.

و الحقيقة أن لعبة السياسة و الحرب لها قواعدها الثابتة في كل زمان و مكان و بالقياس إلى هذه القواعد يمكن وضع إحتمالات إثنين لتفسير المرمى السياسي لمساعدة مجلس الشيوخ الروماني لتوسعات ماسينيسان.

(1) أن يترك الفرصة أمام ماسينيسان لإضعاف قوة قرطاجة حتى يسهل تدميرها.

(2) التدخل في الوقت النماسب و منع الملك النوميدي من جني ثمار جهودها في أفريقيا.

و بالفعل نجحت خطة روما و ربما يعود السبب إلى أن ماسينيسان لم يتمكن من الوصول إلى هدفه حيث وافته منيته و كانت تخشى روما أن تخوض غمار حرب جديدة ستكلفها نفقات بلا داع أو أنها كانت تخشى شخصية ماسينيسان الطموحة و لم تتحرك إلا بعد وفاته.

و بعد وفاة ماسينيسان أطلق العنان لروما في أفريقيا حيث أظهرت المبادرات الأولى لنواياها الإستعمارية. و وضعت تسوية في المنطقة كما أشرفت على توزيع و تقسيم إمبراطورية ماسينيسان بين أبنائه الثلاث جولوسا، ماستنبعل، و مكواسن. و هو تقليد جديد ظهر لأول مرة في تاريخ نوميديا. و كان هذا التقسيم قد تسبب في إرتياح روما للوضع في نوميديا و التي كانت من أهم الموارد الإقتصادية لها.

و بعد تدمير قرطاجة عام 146 ق. م و إنشاء ولاية أفريقيا فقد قطعت خط الرجعة لقيام أي قوة تنازعها من جديد في قرطاجة و في نوميديا. خاصة و أن مكواسن الذي دام حكمه مدة طويلة لم يظهر أي عدوان ضدها و قد ظل الملك الحليف و الصديق لمجلس الشيوخ الروماني..

أما بعد وفاة مكواسن فظهرت معارضة عسكرية جديدة تمثلت في شخصية يوجرتا و كانت روما قد قامت على الفور بإعداد الجيوش و وكلت قيادها إلى أكبر الضباط الرومان للقضاء على الملك النوميدي و إنهاء الإضطرابات بها و يعود هذا إلى ما كانت عليه نوميديا من أهمية بالنسبة لروما.

و نلمس هذه الظاهرة مرة أخرى عند بداية الحرب الأهلية الأولى بين ماريوس و سوللا و في الحرب الأهلية الثانية بين بومبي و قيصر و التي كانت نوميديا معقد أمال المتصارعين حيث كان كل طرف يرغب في السيطرة على أفريقيا من أجل حرمان الطرف الأخر من خلال نوميديا.

مرة أخرى حاول يوبا الأول أن يلعب نفس لعبة جده ماسينيسان في التحالف مع إحدى القوى المتصارعة بعد أن أدلى أحد الأطراف نيته في الإستيلاء و ضم نوميديا إلى حوزة الإمبراطورية الرومانية غير أن يوبا الأول لم ينجح و إستطاع قيصر أن يقضي على خصومه من أنصار بومبي و بالتالي على يوبا الأول.

و قد نتج عن هذه الحرب تسوية جديدة، حتى يضمن قيصر الحصول على حاجته من الحبوب قام بإنشاء ولاية أفريقيا الجديدة عام 46 ق.م. كما إقتطع من أملاك يوبا الأول إمارة إلى المغامر ستيوس جعلها دولة حاجزة بين ولايتي أفريقيا و مملكة موريتانيا.

و النتائج التي يمكن أن يتوصل إليها الباحث من خلال دراسة المظاهر الحضارة بنوميديا في عصر الممالك النوميدية فتتلخص في النقاط التالية :

لقد إمتازت نوميديا بوجود نوعين من الشعوب، شعبا من النوميد الرحل، الفرسان و رعاة البقر الذين يسكنون في البيوت المتنقلة، النابالبا الذين أتو من الصحراء قبل حلول القحط عليها و ينتمون إلى حضارة ما قبل الجمل و شعبا مستقرا، مزارعا و حرفيا متعدد الأصول و اللغات و يقيم في القرى و المدن المحصنة مثل الأوبيدوم و تاجوروم.

و لقد نجح النوميد الرحل الآتين من الصحراء في إجراء عملية التحول التاريخي من العصر الحجري القديم الأعلى إلى مرحلة الإستقرار و الزراعة و إنشاء القرى و المدن و إنشاء الأنظمة الدستورية و الإقتصادية و تطوير الكتابة المحلية الشيء الذي تسبب في إنطلاق حضاري سريع المدى من المجال المحلي البحت إلى مجال البحر الأبيض المتوسط.

فيعود لهم الفضل في إثراء البنتيون الفينيقي و الفرعوني فادخلوا مع إحتكاكهم بالفينيقيين و مع الغزوات التي شنوها على مصر الفرعونية، تربية الماشية و بعض الممارسات الدينية المتعلقة بالماشية مثل عبادة أوش و حوروس و نايت و أيضا طقس عبادة البقرة حاتور و الثور أبيس و الكبش أمون. و هي عبادات ذات طابع رعوي تنسب إلى

الليبيين، و التي توجد بقاياها في الرسومات الجدارية بالصحراء الكبرى.

كما إكتسب النوميد من إحتكاكهم بالحضارات المجاورة الفينيقية-البونيقية و إتصالاتهم بالعالم الهلينستي و الروماني الكثير من الأنماط الحضارية الشيء الذي ساعد على إزدياد عملية التطوير الحضاري.

فجمع النوميديون في عهد الممالك بين الأنظمة المحلية التي تعود جذورها إلى حضارة الصحراء ما قبل الجمل و بين التاثير الفينيقي-البونيقي و اليوناني و الروماني المتمثل في المجالات الدستورية و الإقتصادية و الفكرية و الدينية.

هذا و نلاحظ أن النوميد بالرغم من إستمرار التاثر الفعلي بالحضارات القرطاجية و اليونانية و الرومانية فقد إحتفظوا ببعض المقومات الحضارية المحلية.

قائمة المصادر:

1) Ammien Marcellin, traduction, A. Fantoli, La Libia, Negli Critti Degli Antichi, Rome, 1933.

2) Arrien, Anabase, édition E.I. Robson, 1932- 1934.

3) Antonin (Itinéraire), C. Muller in géographie, graeci, Minores, 1882.

4) Appien, histoire romaine, édition P. Viereck dans Bib, collection, Teubner, 1905 ; Iberiq ; (III, WWVIII) ; Libyca, 1- 67 ; Guerres Civiles Punica traduction Odet de Marez 1559.

5) Apulée de Madaure, Apologie, Frides, Métamorphoses, Collection Bude, édition et traduction, de P. Vallette, 1954.

6) Arnobe, Adversus Nationes, édition Reifferschied dans, C.S.E.L. (Corpus deVienne), T. IV, 1875.

7) Athanase, Contra Gentes.

8) Aurelus Victor, Liber de Caesaribus, édition F. Pichlmayr, collection Teubner 1911, édition Reed, avec additions de R. Grundel, 1906.

9) Bellum Africum, édition et traduction de P. Fabre, collection Bude, 1949.

10) Caessar, Bellum Civile, édition et traduction. de P. Fabre, collection Bude, 1936.

11) Ciceron, de Lege Agraria, Verrines, de Senctute, édition A, Boulanger, D.U.F, 1932.

.Corippus Johanide, édition Diggle, Goodyear, Londres, 1970 (12

Cornelius Nepos Amiclar, Hannibal, Lysandre, édition traduction (13
.A.M. Guillemin, dans collection G. Bude

.Corpus, Inscriptononum Latinorum (C.I.L) Berlin, 1881, 1942 (14

.Denys d'Halicarnasse C.Muller in Geogra., Graec., Min., 1882 (15

Diodorus Siculus, Bibliothèque Historique, édition F. Vogel, (16
Th. Fisher, dans Bib, Teubner, 1888- 1906. (XXII, XXVII, Fragments),
.traduction, F. Hoefer, 2[eme] édition, 1865

Dio- Cassius, Hist., Rom., édition P. Cary, collection. Leob, 1914 (17
.((réimp., 1961

Elien, Naturalis Animals, traduction, st. Gsell, H.A.A.F. T.II, (18
.Paris, 1927

.Hannon (Périple) C.Muller, Geo., Graec., Min., 1882 (19

.Hecatee de Millet, C. Muller in Geogra., Graec., Min., 1882 (20

.Herodotus, Histoires, traduction P.H. Larcher, Paris, 1980 (21

.Hellanicos C. Muller in Fragm., Hist., Graec., 1882 (22

.Hesianax, C. Muller in Geogra., Graec., Min., 1882 (23

.Homerus, Iliade et Odyssee, traduction, P. Mazon, Paris, 1955 (24

.Horace, Odes, Translation, Various Hands, London, Ltd, 1911 (25

.Julius Honorius, in Riese, Geographici Latini Minores (26

Justin, édition, Fr.Ruehl, A. Von Gustschimid dans Bib, Teubner, (27
1915 traduction, E. Chambry, L. Thely Chambry dans Collection Garnier,
.1936

.Lucain, traduction, A. Bourgery, Paris, 1926 (28

.Ovides, Fastes, traduction, G. La Faye, Paris, 1955 (29

Paul Orose, Adversus Paganos VII, édition, K. Zangemeister, (30
.dans C.S.E.L, T.V, 1882

Platon, The Loeb Class, Libarary, édition E.H. Warmington, (31
.Harvard, 1967

Pliny, Naturalis Historia, edition. C. Mayheff, collection Teubner (32
.(5 Vol), 1892- 1909

Plutarque, Vies Parallèles (Marius, Sylla, Pompee) édition, et (33 traduction de R. Flaceliere, et P. Chambry, collection Bude, édition, G. Lindskog, et K. Ziegler Collection Teubner (8 Vol) 1914- 1938 (Renouv., .(1960- 1973

Polybius, Histoire, édition Th. Buttner Wobst, collection (34 Teubner, 1882- 1904 (reed., 1962- 1963), traduction de Roussel, .collection « La Pléiade», 1970

.Pomponius Mela, de Sitis Orbis, collection Nisaid, Paris 1850 (35

.Ptolemee, Geographica, traduction, C. Muller, Paris, 1921 (36

.Sallustius, Bellum Jughurtinum, édition A. Ernout, 1941 (37

.Scyllax (Périple) C. Muller in Geog., Graec., Min., 1882 (38

Silius Italicus, Punica, édition L. Bauer dans Bib., Teubner, 1890- (39 .1892, traduction D. Nissard, 1862

Strabo, Geographie, édition H. L. Jones, collection Leob, 1917- (40 .1949

Tacites, Annales, édition et traduction H. Geelzer Collection (41 .Bude, 1924

Titius Livius, Histoire romaine, édition W . Weissenborn, H. S, (42 .Muller, W. Heraeus, collection Bude, 1933

Victor Aurelus, Liber de Caesaribus, édition F. Phichlmary, (43 .collection Teubner, 1911

.Virgile Aeneis, édition Goelzer Durand, C.U. F. 1925 (44

.Zonaras, édition L. Lindorf, dans Bib., Teubner, 1868- 1875 (45

المراجع

46) إبن خلدون (عبد الرحمن) ، كتاب العبر و ديوان لمبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي لسلطان الأكبر، الجزء السادس، بيروت 1971.

47) إبن زكريا ، معجم مقاييس اللغة.

48) الشرقاوي (محمد عبد المنعم)، الصياد (محمد محمود) ملامح المغرب العربي، الإسكندرية، 1959.

49) الناصري (سيد أحمد علي) ، تاريخ حضارة الرومان من ظهور القرية حتى سقوط الجمهورية، دار النهضة العربية، 1982.

50) بوشناقي (منير) ، الضريح الملكي الموريتاني، تعريف عبد الرحمن حاجيات، الجزائر 1970.

51) خرشيد (إبراهيم زكي) و آخرون، دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة 1975.

52) طريح شرف (عبد العزيز) جغرافية ليبيا، الطبعة الثانية، الإسكندرية 1971.

53) نشوان (بن سعيد الحميري)، ملوك حمير و أقوال اليمن، تحقيق إسماعيل إبن أحمد الجرافي و علي بن إسماعيل، دار العودة بيروت، دار الكلمة، صنعاء، الطبعة الثانية 1978/2/1.

54) نصحي (إبراهيم) تاريخ الرومان، الجزء الثاني ط2، بيروت 1978.

55) عبد المنعم عبد الحليم، صوماليا، دراسة لبيئتها الطبيعية و إمكانياتها الإقتصادية و نظم الصوماليين الإجتماعية و عاداتهم، القاهرة 1960.

56) هيدادرسبل ، مصر من الإسكندر الاكبر حتى الفتح العربي، ترجمة عبد اللطيف أحمد علي، القاهرة 1968.

قائمة المراجع و المجالات و الدوريات و القواميس :

57) Alquier (J. P), Stèles Votives à Saturne, découvertes près de N'Gaous, C.R.A.I.B.L, 1931.

58) Alquier (J. P), Tombes Phéniciennes à Djidjelli R. Arche, 8eme Série, T.L XXI.

59) Astruc (M), La Necropolis de Villaricos Commissaria General de Excavaciones Arqueologicas, Informes Y Memorias, Madrid, 1951.

60) Astruc (M), Supplément aux Fouilles de Gouraya, Libyca, Archéologie, épigraphie T.II, 1954.

61) Audollent, Cérès Mélanges Cagnat, Paris, 1912.

62) Aurigemma (S). l'Elephante di Leptis Magna III Commercico dell Ovario e delle Ferae, Libycae Negli, Emporia Tripoitana Africa Italiania T.VII, 1940.

63) Bahrfeld (M), Dermunz Fund Von Mazin (Croatien) Afrikanische und Italishe Kupfer Munzen Aes Rude und Signatum Eine Von Lanfige Erorterung Der Barrenfrige, Berlin 1901, compte rendu, revue Numismatique, Série 4, T.V, 1901.

64) Basset (A.), Le Berbère à l'école Nationale des Langues orientales vivantes, cent Cinquantenaire de L'E.L.O, Paris imprimerie Nationale, 1948.

Basset (H.), les Influences puniques chez les Berbères, R.A. (65
.T.62, 1921

.(? Basset (R), études sur les Dialectes Berbères, Paris, (1906 (66

Basset (R), Le nom du Chameau chez les Berberes, Paris Ernest (67
.Leroux 1906

.Bates (O.), the Easter Libyans, Londres Mac Millan, 1919 (68

Beck (P), Huard (P), Tibesti Carrefour. de la Préhistoire (69
.Saharienne, Paris Arthaud, 1969

Bencheneb (S), Massili - Masssila, Revue d'Histoire et de (70
.Civilisation du Maghreb, Alger, 1968

.Berard (J), Les Hyksos et la Légende D'io, Syria, T. XXIX, 1952 (71

Berger (PH), Inscription Néopunique de Cherchell en l'Honneur (72
de Micipsa, revue d'Assyreologie; et d'Archeologie; Orientale, Publiée
sous la Direction de G. Contenau et E. Dhorne, Imprimerie des Presses
.Universitaires de France, Paris, 1888

Berthier (A), (Charlier- R), Le Sanctuaire Punique d'El Hofra à (73
.Constantine, Paris, arts et métiers graphiques, 1955

Berthier (A), Découverte à Constantine de deux Sépultures (74
.Contenant des Amphores Grecques, R.A. T,LXXXVII, 1943

Berthier (A.), Juillet (J), Charlier (R), Le Bellum Jughurthi Num (75
.de Salluste et le Problème de Cirta

Berthier (A.), La Numidie, Rome et le Maghreb, préface d'Andre (76
.Wartelle, Paris, Picard, 1918

.Bloch (G), Carcopino (J), La république romaine, Paris, 1935 (77

Bobo (J), les Peintures rupestres de l'Abri du Mouflon et la (78
station préhistorique du Hammam Sidi Djebabla dans la Cheffia (Est-
Constantinois), Libyca, Anthropologie, Archéologie, Préhistoire, T. III,
.1955

Boucher Colozier, Une statuette grecque d'Orante ou musée (79
.d'Alger, Monuments Piot, T. XLVII, 1953

.Breuil, les roches peintes du Tassili N- Ajjer, Paris, 1955 (80

Cadenat (P), les gravures rupestres des environs de Tiaret, (81
.Actes du 2eme Congre pan préhistorique, Alger, 1952

Cagnat (R.), L'armée romaine d'Afrique sous L'occupation (82
.militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris, Imp. Nat, 1912

Camp, Fabrer (H.) L'Olivier et l'Huile dans l'Afrique Romaine, (83
.Alger, Imp, Off, 1953

Camp (G.) Amekeni, néolithique ancien du Hoggar, mémoires du (84
.C.R.A.P.E, T. 10, 1959

Camps (G.) aux origines de la Berberic, Massinissa ou les débuts (85
.de l'histoire, Libyca, Archéologie épigraphie, T.VIII, 1961

Camps (G.), Aux Origines de la Berberie, monuments et rites (86
.Funéraires protohistoriques, Paris, 1961

Camps (G.), La Céramique des sépultures Berbères de Tiddis, (87
.Libyca, T.III, 1956

Camps (G.), la céramique des monuments mégalithiques, (88
collections du Musée du Bardo (Alger) Actes du 2ème Congre Panafricain
.de préhistoire algérienne, 1954- 1955

Camps (G.), Origine du Royaume Massyle, Revue d'Histoire et (89
.de Civilisations du Maghreb, Alger 1967

Cagnat (R.), l'armée romaine d'Afrique, Carcopino (J), aspects (90
.mystiques de la Rome païenne, Paris, 19

Carcopino (J), Le Culte des Cérès et les Numides, R. H, T. CLIX, (91
.1928

.Carcopino (J), Le Maroc Antique, Paris, Gallimard, 1948 (92

Carette (E) Recherches sur l'origine et les migrations (93
des principales tribus africaines de l'Afrique septentrionale et
.particulièrement de l'Algérie, Paris Victor Masson, 1840- 41- 42

Carette (P) Bouvet, Neuville (H), les pierres gravées de Siaro et (94
.de Daga Beid (Somalie), l'Anthropologie , T. XVII, 1906

Cartaillac (E), dolmens de la Tunisie, L'Anthropologie, T. XIV, (95
.1903

Carton (Dr), découvertes épigraphiques et archéologiques faites (96
.en Tunisie, mémoires de la société des Sciences de Lille, 1895

Carton (Dr.), inscription relative au territoire des Musulames, (97
.Craibl, 1923

Carton (Dr.), Les Mégalithiques de Bulla Regia, l'Anthropologie, (98
.T.II, 1891

Casson (L), los antiguos marinos, bucnos aires. Editorial paidos, (99
.1969

Casson (L), ships and seaman ship in the ancient world. Priceton, (100
.1971

Casson (L), the international journal of nautie archaeology and (101
.under water exploration, 1980

Cat (E), essai, sur la Province romaire de Maurétanie césarienne, (102
.Paris, 1891

Chabot (Abbé J. B), Note sur l'inscription punique d'une borne (103
.limite découverte en Tunisie, B. A.C, 1943

Chabot (Abbé J. B), recueil des inscriptions Libyques, Paris, (104
.1940

Chabot (Abbe J. B)- Sur deux inscriptions puniques et une (105
.inscription latine d'Algérie, C.R.A.I.B.L, Paris, 1916

Charrier (L.), description des Monnaies de la Numidie et de la (106
.Mauretanie, Paris, Macon, 1912

Childe (G.), What Happned in History? Harmonds Worth, Penguin (107
.Books, L.T.D, 1954

.Cintas (P.) Céramique punique, Tunis, 1954 (108

Cintas (P.) Compte Rendu de la Necropolis de Villaris, Karthago, (109
.T. VII, 1956

Cintas (P.) découvertes Ibero- Punique d'Afrique du Nord C.R.A.I (110
.B.L, 1953

.Cintas (P.), fouilles puniques à Tipaza, R.A. T. XCII, 1945 (111

Cintas (P.) Gobert (E. G.), les tombes du Djbeel Mlezza, R. T.T. (112
.38- 40 1939

Cornevin, Histoire de l'Afrique du Nord des origines du XVI (113
.Siècle, Paris. Payot, 1964

Courtois (CH), Les vandales en Afrique, Paris, A.M.G. 1953, (114
.Mission au Tibesti

.Dallon (M) Mémoires de l'Académie des Sciences T. 62 ; 1936 -(115

Darressy (Georges), une flottille phénicienne d'après une (116
.peinture égyptienne, revue africaine, T. XXVII, 1895

(Darmion (J. P (117

Decret (F.), contribution à la recherche archéologique (118
à Siga, centre de documentation et de recherche, Université d'Oran,
.Département des Sciences Sociales, Bulletin N°.2, 1917

Decret (F.), Fantar (M.), L'Afrique du Nord dans l'antiquité, des (119
.origines, au V Siècle, Paris, Payot, 1981

Defoucalt (P.Ch), dictionnaire abrégé touareg- Français, T.II, -
.Amenohal

De Lauriere, 2 Mausolées Africains : Le Medracen et le Tombeau (120
de Chrétienne, mémoire publie dans le bulletin Monumental, 5^{eme} Série
.T.II, 1874

Demaeght (L.), bulletin de la Société de Géographie d'Oran, (121
.1893

Demaeght (L.), catalogue raisonné du musée d'Oran, Section (122
.des Médailles, B.S.G. O, T.XV, 1895

Demougeot (E.) Le Chameau et l'Afrique du Nord romaine, (123
.annales Sociétés, Civilisations, économies, Alger, 1960

Denis (L.), notes sur quelques nécropoles mégalithiques du (124
.centre Tunisien, BA.C ; 1913

Desanges (J), catalogue de tribus africaines à l'Ouest du Nil, (125
.Dakar, 1962

Desanges (J), recherches sur l'activité des méditerranéens aux (126
.confins de l'Afrique, Paris, 1978

Erroux (J), essai d'une classification dichotomique des blés durs (127
.cultivés en Algérie, B.S.H.N.A.N, T. 48- 1957

Esperandieu (G), de L'Art Animalier dans l'Afrique Antique (128
.Alger, Imprimerie Officielle, 1975

Fage (Y.D.), the Cambridge History of Africa, Vol.II, Cambridge (129
.University Press, 1978

Faidherbe, (le général), collection Complète des inscriptions (130
.numidiques et Libyques avec aperçus ethnographiques sur les Numides

Fernandez Jurado (Jesus), la presencia griega arcaica en huelva. (131
.Servicio de arqueologia de la excma. d'putacion de huelva, 1984

.Fevrier (James. G.), à propos de Baliddir, Semitica, T.II (132

.Fevrier (James. G.), borne de Micipsa, B.A.C, 1951- 1952 (133

Fevrier (James. G.), borne de Micipsa,, Cahiers de Byrsa, T. VII, (134
.1957

Fevrier (James. G.), la constitution municipale de Dougga de (135
.Carthage, 1964- 1965

Fevrier (James. G.), inscription funéraire de Micipsa, R.A.A.O. (136
.T. 45, 1951

Fevrier (James. G.), inscription Punicolibyque de Mactar, J.A, (137
.T.CCXXXVII, 1949

.Fevrier (James. G.), Histoire de l'Ecriture, Paris, Payot, 1948 (138

Fevrier (James. G.), sur une Bilingue de Guelta Abou. Seba, (139
.B.A.C, 1951

Fevrier (James. G.), sacrifice d'enfantin chez les Numides, (140
.annales de l'Institut de Philosophie et d'Histoire, T.XIII, 1953

.Fevrier (P.A.), art de l'Algérie Antique Paris, 1971 (141

Flamand (M.G.B), note sur deux pierres écrites, l'Anthropologie, (142
.Juin 1897

(Garnsey (P (143

Giardina (A), societa romana e impero tradoantico, III : le (144
.merci, gli insediamenti, 1986

.Frobenius, De Kleinafri Kanisch Grabau, Leipzig, 1916 (145

Gaid (M.), Aguellids et Romains en Berberie, Alger, S.N.E.D, (146
.1972

.(.Gaggiotti (M (147

Gardel (G), Les Touaregs Ajjer, éditions Baconnier, I.R.S. Alger (148
.1964

.(Galza (G (149

Garcia Y Bellido (Antonio), la navegacion ibeuca en la (150
antiguedad segun los textos clasicos y la arqueologia. Revista de estudios
.geograficos, 1944

Garcia Y Bellido (Antonio), el mundo de la colonzaciones (151
.(historia de espana), I, 2. de D.R. Menendez pidal, Madrid, 1952

Gascou (J), Marius et les getules, Mélanges d'archéologie et (152
.d'histoire, publié par l'école française de Rome (M.E.F.R),T. 81. 1969

Gascou (J), politique municipale de l'Empire romain en Afrique (153
.Proconsulaire de Trajan à Sévère, Rome, 1972

Gauthier Du Mottay (J), recherches sur les voies romaines du (154
département des cotes du Nord, mémoires de la société d'émulation des
.Cotes du Nord T.VI, 1867

.Gauthier (E.F.), structure de l'Algérie, Paris 19 (155

Gennep (Van), études d'ethnographie, et de sociologie, revue (156
.d'ethnographie et de sociologie, T.II 1911

Germain (G), Le culte du belier en Afrique du Nord, Hespens. (157
.1948

.Gobert (E.G.), et Cintas (P.), Smirat, R.T, 1941 (158

.Gobert (E.G.), les « Mapalia », R.T ; 1938 (159

Gostynski (J), la Libye antique et ses relations avec l'Egypte, (160
.B.I.F.A.N, 1975

Gregoire (L.), dictionnaire encyclopédique d'histoire et de (161
.géographie, Paris, 1884

.Grimal (P.), les Fouilles de Siga, M.A.H.R, T. LIV, 1937 (162

.Gsell (ST.), atlas archéologiques de l'Algérie, Paris, 1912 (163

Gsell (ST.), de la confédération Cirthenne de Cuicul et de la (164
.tribu Suburbures , (préparées par Albertini et J. Zeller), Paris, 1957

Gsell (ST.), inscriptions latines d'Algérie de la proconsulaire, (165
.Paris, 1922

.Gsell (ST.), Herodotus, Paris, Hachette, 1916 (166

Histoire ancienne de L'Afrique du Nord, T. I. a. VIII, Paris, (167
.Hachette, 1927

Gsell (St) et Joly (A), Khamissa M'Daourouch, Announa, 1ere (168
.Partie, Khamissa, Paris, 1916

.Gsell (ST), Monuments antiques de l'Algérie, Paris, 1901 (169

Hans, P, Rose chinsk, die mikwassan (170

Hatzfeld (J), Roussel (P), fouilles de Delos, inscriptions (171
dédicaces du Roi Nicomedes au Roi Massinissa, bulletin de Correspondance
.hellenistique, T.XXXIII, 1909

Herbert (E.W.), aspect of the use of copper in Pre-colonial West (172
.Africa, J.A.H, 1973

Heron de Villefosse (A.), mote sur les découvertes faites à (173
.Gabes, Crai, 1899

Holscher, Libyer und Agypter Beitbagezur ethnologie und Geschi (174
.Te Libyscher Volkerscha Ten. Agyptischen Forschungen, 1955

Hor (Heinz Gunter), B. Rugger (Chri.), Die Numider, Rneinisches (175
.2- 1980-Landes Museum Bonn Aussellung 29- 1979- 29

Huard, gravures rupestres à la lisière nord- Occidentale du (176
.Tibesti, Travaux de L'I.R.S, T.X, 1935

.Hugot (H.G.), The Origins of agriculture Saharien, C.A.5, 1968 (177

.Huyghe (G), dictionnaire Français- Kabyle, Article Roi (178

Jean Leon L'Africain, description de l'Afrique, Traduction, de (179
.l'Italien, par (A.E), Paulard, Paris, 1956

Joleaud (L), gravures rupestres et rites de l'Eau en Afrique du (180
.Nord, J.S.A. T.III, 1933

Julien (CH.A.), Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, des (181
.origines à la conquête Arabe, Paris, Payot, 2Vol, 1931

Kolendo (J.), l'influence de Carthage sur la civilisation (182
.matérielle de Rome, Archéologie, T.XXI, Varsovie, 1970

Kolendo (J.), Le Prae Positus Camellorum, dans une Inscription (183
.D'Ostie, Paris, Klio, 1970

.Lacroix (F.), produits végétaux, R.A.T. 12, 1868 (184

Lambert (N.), les Industries du Cuivre dans l'Ouest Africain, (185
.W.A.J.A, 1971

Lancel (ST.), Suburbures et Nicives, une Inscription de Tigisis, (186
.Libyca, Archéologie, Epigraphie, T.III, 1955

.Laoust (F), notes et choses Berbères, Paris,1920 (187

.(Lassere (J. Marie (188

Law (R.C), The Garamantes and Transsaharian entreprise in (189
.Classical Times, J.C.H. 1967

Leclant (J), Per Africae Sitientia t'emoignage des sources (190
classiques sur les pistes menant à l'Oasis d'Ammon B.I.F.A.O, T. 49,
.1950

Le Cœur, Les « Mapalia » numides et leur survirance au Sahara, (191
.Hesperis, T.XXIV, 1937

Le Glay (M.), Saturne L'africain, Histoire, édition, E. De (192
.Broccard, Paris, 1966

Lezine (A.), Carthage, Utique études, d'Architecture et (193
.d'Urbanisme, édition, du C.R.N.S, Paris, 1968

Lezine (A.), résistance à l'hellénisme de l'architecture (194
.religieuse de Carthage, les Cahiers de Tunisie, T. 26- 27, 1959

Lhote (H.), actes du 3^{eme} Congre Pan- Préhistorique, Alger, (195
.1952

Lhote (H.), à la découverte des fresques du Tassili, Grenoble, (196
.1959

Lhote (H.), Les problèmes sahariens : L'outre la marmite, Le (197
chameau, Le delou, L'agriculture, le mégre, le palmier, bulletin des A.M.
.T.VII, 1967

Lhote (H.), Les Touaregs du Hoggar (Ahagar), Paris (198

Logeart (F.), grottes funéraires, hypogées et gaveaux sous- (199
.roches de Sila, Fouilles de 1933- 1934, R.S.A.C, T. LXIII, 1935- 1936

Lucas (A), Ancient Egyptain, building materials and industries, (200
.F. Arnold, 4 edition; 1962

Maitre (J.P.), état des recherches sur le néolithique de (201
.l'Ahaggar, travaux de l'I.R.S, 1966

Malhomme (J.), Corpus des gravures rupestres du grand Atlas, (202
.publication du service, A.M, fascicule 13, 1958

Malhomme (J.), les représentations Anthropomorphes du Grand (203
.Atlas, Libyca, T.I, 1953

Marcy (G.), l'épigraphie berbère numidique, saharienne, (204
.annales de I.E.O, Université d'Alger, Paris V,T.II, 1936

Marcy (G.), remarques sur l'habitation berbère dans l'antiquité, (205
.à propos de « Mapalia », Hespêris, T.XXIX, 1942

Mazard (J.) Corpus Nummorum Numidae Mauretanieque, Paris, (206
.arts et métiers graphiques, 1955

.Mazel (J.), Avec les Phéniciens, Paris, 1968 (207

.Mercier (G.), Les divinités libyques, R.S.A.C, T. 34, 1901 (208

Mercier (G.), La langue Libyenne et la toponymie antique de (209
.l'Afrique du Nord J, .A. 1924

Merlin (A.), inscriptions latines nouvellement découvertes en (210
.Tunisie, C.R.A.I.B.L, 1909

Monod (T.), Mission au Fezzan, reconnaissance du Dohone, (211
.Paris, 1948

Monod (T.), Le Mythe de l'émeraude des Garamantes, A.A.T.VIII, (212
.1974

Mori (F.), Tadrart Acacus : Arte Rupestre e Culture Del Sahara (213
.Prehistorico, Turin, Einaidi, 1965

Muller (L.), numismatique de l'Afrique ancienne, Forni editore, (214
.Bologna, 1862

Pareti (M.) Atti Dell Accademia Dell Sienze di Torino, T.XLIV, (215
.1910- 1911

Pauphelet (D.), monuments mégalithiques à Mactar, Karthago, (216
.T.IV, 1953

Perret (R), recherches archéologiques et ethnographiques au (217
.Tassili Ajjer, J.S.A, T. 6, 1936

.Picard (G.CH), Civitas Mactaritana, Karthago, T.VIII, 1957 (218

Picard (G.CH), Images des Chars romains sur les rochers du (219
.Sahara, C.R.A.B.L. 1958

.Picard (G.CH), Le Monde de Carthage, Paris, 1956 (220

Picard (G.CH), Le sanctuaire punique de Cirta, Re. Arch, 6 Série, (221
.T.XLVII, 1956

Picard (G.CH), la Vie quotidienne à Carthage au temps (222
.d'Hannibal, Paris, 1968

.Poinssot (L.), une inscription de Souani al adani, R.T. 1942 (223

Pons (S.), Quezel (P.) étude palynologique de quelques palesols (224
.sahariens, travaux de I.R.S, 1957

Posnansky, introduction à la fin de la préhistoire en Afrique (225
.subsaharienne

Rebuffat (R.), route d'Egypte et de la Libye intérieure S.M.T, 3, (226
.1970

Rebuffat (R.), Zella et les routes d'Egypte, Libyca antiqua, T.VI. (227
.VII, 1969- 1970

Reygasse (M.), monuments funéraires préislamique de l'Afrique (228
.du Nord (arts et métiers graphiques), Paris, 1950

.Reyne (P.), deux inscriptions de Vina, Karthago, IX, 1958 (229

Sanez Roguart, A, diccionario historico de las arts de la pesca (230
.macional

Salama (P.), Les Voies romaines de l'Afrique du Nord, Alger, imp. (231
.Off, 1951

Saumagne (CH.), les prétextes juridiques de la 3eme guerre (232
.punique, R.H.T. CLXVII, 1931

Saumagne (CH,), la Fossa Regia, Cahiers de Tunisie, T. 10, (233
.1962

Schauenburg (K.), Die Cameli Den, Altertum, Bonner, (234
.Jahrbucher, 1955- 1965

Schur, Massinissa, realencyclopadie der Altertum Sw- (235
.issenschaft

Slim (H.) Mahdjoudi (A.) et Belkhodj (K.), histoire de la Tunisie, (236
L'antiquité des origines à la conquête romaine, Rome et l'Apogée de la
.(Tunisie antique, Tunis (Nom Daté

Solignac (M.), les pierres écrites de la Berberie Orientale, Tunis, (237
.1928

Spruyette (J.), le cheval de l'Afrique ancienne, le Saharien, T. (238
.48, 1968

Sureda (Nuria), las fuentes sobre tartessos y su relacion con el (239
.sureste peninsular, universidad de murcia, 1979

.Talbi (M.), L'emirat, Aghlabide, histoire politique, Paris, 1966 (240

Thomas (PH.), recherches sur les sepultures anciennes des (241
environs d'Ain El Bey (Prés de Constantine) Congres international des
sciences anthropologiques, Paris 1878

Thouvenot (R.), découverte d'une Nécropole à Kleber, B.S.G.A, (242
.T.III, 1931

Tissot, géographie comparée de la province romaine d'Afrique, (243
.Paris, 1884- 1891

.Troussel, Le Trésor Monétaire de Tiddis, R.S.A.C, T. LXVI, 1948 (244

Vars (CH.), Cirta, ses monuments, son administration, ses (245
.(magistrats (Constantine, 31- 12- 1894- 1895

Vel (A.), inscription Libyque inédite, relevée sur le territoire de (246
.la Commune Mixte d'Ain M'Lila, R.S.A.C, T. XXXVIII, 1904

Viullars (F.) Vases Attiques du V Siècle, A.J.C, Gouraya, Libyca (247
.Archéologie. Epigraphie ; T.VII, 1959

Vuillemot, Céramique ibérique aux Andalouses C.R.A.I.B.L, (248
.1956

Vuillemot (G.), Deux stèles de Siga, bulletin de la société des (249
.amis du vieux Tlemcen, 1954

Vuillemot (G), fouilles puniques à Mersa Madakh, Libyca, (250
.Archéol, epigr, T.II, 1954

Vuillemot (G.), note sur un lot d'objets découverts à Siga, (251
.B.S.G. O, T. LXXVI, 1953

Vuillemot (G.), la nécropole punique du Phare, dans l'Ile (252
.Rachgoun (Oran), Libyca, Arch, Epigr., T.III, 1955

Vuillemot (G.), reconnaissance aux échelles puniques d'Oranie, (253
.Autin, 1965

Vuillemot (G.), vestiges puniques aux Andalouses, B.S.G.O. (254
.T.LXXIV, 1951

.Walsh .(P.G.), The Journal of Roman Studies, London, 1956 (255

.Warmington (B.H.), Carthage, 1ere edition 1969 (256

.A.A: American Anthropologist, Washington (1

A.E.O : Annales de l'Institut des Etudes Orientales de la Faculté (2
.de Lettres de l'Université d'Alger

B.A.C : Bulletin Archéologique du Comité des Travaux (3
.Historiques

B.I.F.A.N : Bulletin de l'Institut Français (Puis Fondamental) de (4
.l'Afrique Noire

B.I.F.A.O : Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale (5
.Bibliothèque d'Etude, Le Caire

.B.S.A.T : Bulletin de la Société des Amis du Vieux Tlemcen (6

B.S.G.O : Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie (7
.d'Oran

B.S.H.N.A.N : Bulletin de la Société d'Histoire Naturelle (8
.d'Afrique du Nord

C.A.: Current Antropology a World Journal of The Science of (9
.Man, Chicago

.C.I.L : Corpus Inscriptionum Latinorum (10

C.R.A.P.E. Centre de Recherches d'Anthropologie de Prehistoire (11
.et d'Ethnographie d'Alger

Collection ; C.N.R.S : Colloques Internationaux du Centre (12
. National de la Recherche Scientifique, Paris

C.R.A.I.B.L: Compte Rendu des Séances de l'Académie des (13
.Inscriptions et Belles Lettres, Paris

C.S.E.L : Corpus, Inscriptorum Ecclesiaticorum Latinorum (14
.((Corpus de Vienne

.E.L.O : Ecole Nationale des Langues Orientales (15

.Hesperis : Institut des Hautes Etudes Marocaines, Rabat (16

.(I.R.S : Institut de Recherches Sahariennes (Université d'Alger (17

.J.A : Journal Asiatique (18

.J.A.H : Journal of African History Londres (19

.J.C.H : Journal of Classical History London (20

.J. R.S : Journal of Roman Studies (21

.J.S.A : Journal de la Société des Africanistes, Paris (22

Libyca : Bulletin de la Société des Antiquités de l'Algérie (23
.((Direction de l'Intérieur et des Beaux Arts, Alger

Libyca : Anthropologie Préhistoire Ethnographie Centre de (24
.Recherches Anthropologiques et Ethnologiques, Alger

M.E.F.R : Mélanges d'Archéologie et d'Histoire de l'Ecole (25
.Française de Rome

.R.A : Revue Africaine (26

.B.S.H.A : Bulletin de la Société Historique Algérienne, Alger (27

.R.Arch : Revue Archéologique, Paris (28

.R.A.A.O : Revue d'Assyriologie et d'Archéologie Orientale (29

R.S.A. C : Recueil des Notices et Mémoires de la Société (30
.archéologique de Constantine

.R.T: Revue Tunisienne (31

.(S.M : Studi Magrebinie Napoli, Instituto Universario Orientale (32

.W.A.J.A : West African Journal of Archaeology, Ibadan (33

ر.د.م.ك: 978-9961-769-27-0
الإيداع القانوني: 49-2007

طبع بمطبعة متيجة
ماي 2007

يتناول هذا الكتاب دراسة عن الحياة السياسية و الحضارية لنوميديا (ماسيليا و مازاسيليا) من حكم الملك جايا (Gaia) إلى بداية الإحتلال الروماني. الهدف منه هو إثراء المكتبة العربية ببحث عن تاريخ الجزائر باللغة العربية و إبراز شخصية المنطقة في ظل الصراعات المتعددة بين قرطاجة و روما.

ظاهرة التحول من المرحلة البدوية إلى المرحلة المدنية في نوميديا قد إستوجبت وقتا طويلا، لذلك، ينبغي إقرار حقيقة هامة و هي أن النوميديين نجحوا في إجراء عملية التحول التاريخي من العصر الحجري القديم الأعلى إلى مرحلة الإستقرار و الزراعة و إنشاء القرى و المدن و نمو المجتمعات الحضارية إلى درجة وصولها إلى ممالك ذات أنظمة إجتماعية، إقتصادية و سياسية قائمة بذاتها.

فتيحة فرحاتي حائزة درجة الدكتوراه في التاريخ القديم من جامعة القاهرة. هي الآن في طور الإنتهاء من الإعداد لرسالة دكتوراه دولة في التاريخ و الحضارات القديمة بجامعة السوربون (Sorbonne, Paris IV) و تحضر أيضا ماجيستر في الغة الفرنسية بجامعة جرونوبل (Grenoble III). و لها بعض المحاولات في الترجمة.

